

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190464**

UNIVERSAL  
LIBRARY







# الصخرة السوداء

أو

## إرادة الرجل

تأليف

أروني الفرهمي الذائع الصيت

سارل بيروجيل

— ١٩٢٢ —

تعريب

عبد السلام زهير

حقوق إعادة الطبع محفوظة

طبعة الهلال بشارع نوبار عمرة ٤ بمصر

سنة ١٩٢٢



## اهداء الرواية

الى كل شابة دعيت للزواج . فعليها أن تتمعن قليلاً قبل ان تحكم  
بالقبول ..

الى كل شاب طالب زواج . فعليه ان يحسن الاختيار ..  
الى كل متزوجة . فعليها أن تكون عفيفة النفس فلا تنقاد الى تيار  
أهوائها مهما كان شديداً ..

... لان أولئك الفاسدات لسن الا كمنقط سوداء تتخلل صفحات  
الهيئة الاجتماعية . فتورطن في الفساد بسبب شقاء الرجل في أهم ادوار  
حياته ويلحق به عاراً لا يمحي مدى الايام

المعرب

## كلمة

أطلق المؤلف على روايته اسم (الصخرة الدامية) نسبة الى بقعة من الارض في فرنسا وقعت فيها أتم حوادث هذه الرواية. وكان تسميته اياها بهذا الاسم يدلنا على انه كان في العصور السالفة طائفة من الدرود وهم الكهنة يقدمون الضحايا البشرية على تلك الصخرة تقرباً من آلهتهم ويهدرون تلك الدماء البريئة في منبع من الماء حتى ان من زار تلك البقعة رأى آثاراً حمراء على جدران ذلك المنبع مما يؤكد لنا صحة هذه الرواية وفريق آخري نسبون لها خلاف ذلك من الاقاويل مما لا يخرج عن حد الخرافات ولا محل لذكرها هنا

المعرب

# الجزء الاول

زلة والدة

## الفصل الاول

الموعد

تجري حوادث روايتنا هذه في شارع جرنيل في ضاحية سان جرمان وفي  
بناية وزارة التجارة . وتبدأ في منتصف شهر يونيو سنة ١٨٧٦ وقد ساد السكون  
في قاعة الجلسات المكسوة حدرانها بالورق الأخضر . وفي داخلها ستة من  
الموظفين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعشرين والخامسة والأربعين  
كان الحر في ذلك اليوم شديداً فبلغت درجة الحرارة خمسة وعشرين في  
مقياس سنتغراد وكنت ترى من في القاعة يشغلون الوقت بالمطالعة طلباً للراحة  
ففتح الباب وأطل منه رجل يدل هيئته على الاستقامة وصدق الطوية .  
ونادى : روبينييه ؟

فقام رجل من مقعده هو أصغرهم سناً نحيف النية أعرج . وأجاب :  
ها أنا يا مسيور دون

وأجابه : تقدم فاني في حاجة الي محارمك

فذهبا وانفلا الباب وراءهما عندئذ انتصب أحد الموظفين وهو في الثلاثين  
من العمر غليظ الجسم مورد الوجنتين وقال : ان هذا الحيوان يزعجنا دائماً  
ثم خاطب رفيقه الذي كان متشاعلاً في نقلم أظاهرة : كم بلغت الساعة الآن .  
يا لوريو ؟

— وأين هي ساعتك ؟

— ليست في جيبي

— يلوح لي أنك تزوجت حديثاً ؟

- ولم أندم هل ذلك
- هل أقتت وخرأ في بولييه ؟
- نعم
- هل كانت مزدحمة بالناس ؟
- نعم كان الاردحام عظيما . وانه ليصعب على الانسان أن يتنزه في تلك الغابات الجميلة والقيام بنقنات الطعام على نفسه وأصحابه اذا كان جيبه فارغاً
- تشاءب أحدهم ميشيل وكانت ملامحه تدل على البساطة ولونه ضارب إلى السمرة وهو من سلالة نورماندية عريقة فقال : متى ينتهي أسرابا وننجو من هذه الوهدة العميقة . ألا تعلم يا لوريو بأر لي رغبة في الزواج ؟
- دع المزاح يا صاح
- أنا لا أمزح بل أريد امرأة مثل . . .
- امرأة جون ردون ؟
- بعينها . فعند ما أقابلها في الشارع وهي تتيه بشوبها الجميل ورأحة المطور تفوح منها تتحرك عواظي وبرقص فؤادي لها طرباً
- يبلغ لوريو الأربعين من العمر وهو صفرأوي اللون مجمد الوجه . فقال بغيرة : أن ردون هذا يخدمه التوفيق . فبعد ان كان أحقرنا جميعاً أصبح نائب الرئيس . . .
- فأجابه النورماندي : وهو لا يزال يسمى ليهوز منصب الرئاسة
- كان ميشيل لا يهتم لردون ومنصبه انما همم الوحيد أن يوقع في قلب رفيقه الغيرة . فأخذ ينظر اليه خلصة ثم قال : سأعلمك شيئاً جديداً اذا شئت . . .
- بأي شأن ؟
- بشأن مدام ردون الجميلة ولكنك لا تكتم سرأ
- قل ولا تخف
- أتعدني بعدم افشائه ؟
- اذا صرحت لي بكل شيء أعدك
- لم أعود الرياء وشأني الصراحة
- وهل تمدني بالأ تكون سبباً في الخط من شأن النساء

... ربما ...

— قصر عليّ واقمتك يا ميشيل وإحبال نفسي في شك من صحتها

كانت مدام ردون الجميلة تفضل تمريق عهد الزواج ...

بل أن تحرقه عليّ ما أظن

كان لوريو متزوجاً وأباً لولدين قد ترعرعا. وهو لا يزال ينظر إلى ردون

السعيد بعين ملؤها الحسد والكراهية لأنواع شأنه

قال ميشيل: لم أر ما حدث بمعي

— من رآه إداً؟

— روبينييه

— ما معنى ذلك؟

— معناه أن روبينييه يقطن غرفة صغيرة في شارع باك في الطسقة الرابعة.

ونائب الرئيس يقطن في شارع سان سيمون

— أعلم ذلك

— في ساحة بقرب منزل روبينييه بناء مفرد (عباراً) يشتمل على حديقة

غناء. فبينما كان روبينييه جالساً بقرب نافذة يشاهد الهواء العليل ذلك حوالي

الثالثة بعد الظهر إذ رأى ...

وبوقف ميشيل عن الكلام وأخذ يتعمد السعال ثم تابع حديثه فقال:

رأى عربة دخلت إلى الساحة وأزوت تحت سقيفة عن بين النزل ونزل منها شاب

واحد في الحديقة. وبعد بضع دقائق رآه روبينييه يفتح نافذة الغرف لتجدد

الهواء والشاب في الثلاثين من العمر بلحية شقراء وبعد برهة لم يعد يراه وترك

النوافذ مفتوحة. ثم ظهرت امرأة من الرواق وسارت إلى الحديقة ومنها إلى

الطينة الأولى من المنزل وعلى ملاحظها الخوف كأنها تخشى مفاجأة

وأحست المرأة حينئذ بخطأ الشاب فأقبلت انوافذ وقد تمكن روبينييه من

أن يتبينها. أتعلم من هي؟

— مدام جون ردون؟

— هي بيمينها. وأصبحت الميراث بين الشاب والامراة أسراً مشهوراً ...

— ألا يحتمل أن يكون ذلك مختلفاً؟

— بل هو مؤكد

- ألم يخطيء روبينيه في حكمه ؟  
 — يقول إنه متأكد ذلك جيداً  
 — متى كان ذلك ؟  
 — السبت الأخير  
 — ومع ذلك فإن روبينيه لم يحضر . فإدا تمتد في الأمر يا ميشيل ؟  
 — اني أفضل أن أبذل حياتي حتى أكون بدل ذلك الشاب في ذلك الموعد  
 ثم وضع قبعته على رأسه وقال : إذا سئل عني لقضاء أمر فقل اني في ادارة  
 الداخلية . . . الى الغد  
 ما كاد يخرج ميشيل حتى آب الأعرج الى مكانه . فاقترب لوريو منه وخطبه  
 همساً : أصبح ما فاه به ميشيل ؟  
 — بأي شأن ؟  
 — بشأن السيدة . . . مدام . . .  
 — وأي سيدة ؟  
 — لا تنكر علي الأمر . . . في شارع باك . . . الموعد . . . مع شاب  
 جميل . . .  
 — وهل تعلم ذلك ؟  
 — نعم . فماذا يدعي ؟  
 — أجهل أمره البتة  
 — لا تنكر . . .  
 — أرجو منك ألا تخاطبني بهذا الشأن . . .  
 — أخاطب من إداً ؟ وماذا يفيدك إذا كانت مدام ردون تعشق أو لا ؟  
 هل كان ذلك يوم السبت ؟  
 — دعنا من أمر لا يهمنا  
 — أكان اليوم بعينه ؟  
 — نعم . نعم . إنما الصمت !  
 — ليكن  
 لم تمض برهة قصيرة حتى هذا الموظفون الخمس حذو النورماندي  
 وذهب كل منهم الى منزله . أما نائب الرئيس فإنه فتح باب غرفته فرأى المسكان

خالياً فاغتم تلك الفرصة ليعود الى منزله ويرتدي ملابس سوداء ويخرج بقدم  
سريعة الى حديقة التويلري

لم يكده يصل حتى وجد شابة في الثانية والعشرين من العمر هي قرينته  
جالسة على كرسي منفرد بجانب شجرة في الحديقة . وكانت ذات جمال باهر لاسيما  
بلباسها الرمادي الفاتح . أما عيناها الكبيرتان فسوداوان وشففتها الحمراءوان  
كالكرز الناضج

وإذ اقترب جون منها وضع يده على كاهلها فقالت بدون أن تدير اليه وجهها :  
ألا تعلم بأني لا أكره بمن يعاملني هكذا ؟  
فاقترب الرجل وبأسرع من لمح البصر ألقى على عنقها قبلة حارة وتمم بهذه  
الكلمات : لم هذا الجفاء يا عزيزتي وأنا أحبك حباً جماً ؟  
فأجابته بسخرية : لاتعتقد بأننا في أواسط غابات المورفان  
ثم نهضت فبادرها جون بالسؤال : الى أين ؟

— اني ذاهبة لأبحث عن بنتاي  
— أين هما ؟

وكانت الابنتان المنوه عنهما على مقربة منها فأسرعت اليهما . فالصغرى تبلغ  
من العمر سنة ونصف حنطية اللون . أما الثانية فأكبر منها بسنتين ذات وجه  
أسمر مثل والدتها

فسألت الشابة زوجها قائلة : أنعود الآن الى منزلنا ؟

— اذا أردت . انما لا بد من التنزه قليلا . . .

— أين ؟

— حيث تشاءين

— أمشياً على الأقدام ومعنا الاطفال ؟

— بل في عربة

— والدرام ؟

— فلنبق اذاً هنا . . . واستنشاق الهواء العليل أفضل من البقاء في الوزارة . . .

— أملك تنهك قواك من كثرة الأعمال ؟

— كلا . بل أكاد أختنق من شدة الحر

— أشرت لنا منزلاً منفرداً ( فيلا ) على شاطئ البحر

— أريد ذلك . انما لا بد من السعي وراء المستحيل

— يا للاسف !

— ماذا دهاك يا عزيزتي ؟

— لا تكثرت لأمرى . فالداء قد تعثرهن نوبات عصبية . وقدحانت الساعة

فقد جون يده لمصاغتها فامتنعت متلاهية في ملاعبة ابنتها بينما كانت ليوني

الخادمة تعتنى بريموند

ثم ساروا الى منزلهم في شارع سان سيمون حيث يقطنون ولم يكذ جون

يطأ عتبة الباب حتى أسرع الحاجب اليه وسلمه رسالة . فابتدره قائلاً : من أنى بها ؟

— لا أعلم فقد وجدتها في غرفتي

ففض جون الرسالة وهو في أسفل السلم . بينما كانت قرينته تسترق ما يدور

بين زوجها والحاجب وحدثت في زوجها فوجدت وجهه متغيراً . فسألته عن

مخوى هذه الرسالة . فوضع جون الرسالة في جيبه وتال متلها : لا شيء . . .

خدمة يطلب منى اداؤها . . .

لكن الحقيقة كانت خلاف ذلك . فقد تم حانقاً : نيممة وبهتان . . .

## الفصل الثاني

### زواج حب

اليك تاريخ جون ردون :

لم يكن منشأ جون في باريس بل في أواسط غابات المورفان . توفيت والدته شابة

وكان والده مزارعاً ويمتلك قطعة كبيرة من الأرض صالحة للزراعة وبجانها

منزل قديم البناء . وتعرف تلك البقعة بحمي سوفاجير من أعمال مقاطعة سوفلي

أرسل جون في حدائة سنة الى الكلية ليتلقى العلوم آملاً أن يكون في مستقبل

الأيام قائماً بميشة الفلاح في كوخه الوالدي متأهلاً بامرأة جميلة حائزة على الصفات

الزوجية . وقد تم لذلك

وهذه المرأة هي ابنة قبطان استقال من الجندية وأصبح يمش من إرادته

وقطن في منزله الكائن بقرب سوفلي  
وهذا القبطان يدهى فرنسيس تونيليه قد ترمل في الحسين من عمره وكان  
إذ ذاك ضابطاً في اللجيون دونور وقام ببعض أعمال باهرة جعلته في  
مركزه السامي

وتربت تريز ابنته الوحيدة تربية أضرت في مستقبلها لأنها اعتادت على عيضة  
الرغد والتأنق في كل شيء  
وكانت مطلقة الحرية قد اعتادت أن تأتنس بصديقة لها فتقضي لها ما ترغبه  
منها لما اعتادت عليه من العطف

وقد أحسن الأب ردون بضرورة إيجاد عمل لولده جون فكلف أحد  
القضاة المشهورين أن يستعين بأحد أصدقائه ليجد له مركزاً حسناً في وزارة  
الزراعة والتجارة

وكان جون يشمر بضرورة الاعتماء بمركزه. إلا أن أمراً آخر أهمي بصيرته  
وهو حبه لتريز

كانت تريز تشعر بضرورة السكنى في باريس مدينة المدينة الترفه. وكان  
جون كلما عاد إلى المورفان يراها تزداد نمواً وجمالاً وبهاء

وقد ازداد هيام جون بتريز إزداداً عظيماً. وكان حبه لها باخلاص. أما هي  
فكانت تلتقي إلى المستقبل نظرة الطمع والشهه ممأ

وكانت خطبتها لجون كضمانه للمستقبل سعيدة إذ كانت تفكر في ما عساها تفعل  
يوم تفقد به والدها. فإلى أين تذهب؟

كان جون لا يحب السكنى في باريس. إنما رغبة بارضاء حبيبته تريز رحل إليها  
في شهر مايو من فصل الربيع الزاهر عقد زواجهما في كنيسة القرية وكانت  
نفس العروس ساجحة في الفضاء الواسع

نعم كانت تحب زوجها وتنفر من الحياة إنما ذكر مدينة باريس كان يسرها  
كثيراً . . .

في باريس قطن الزوجان في الطبقة الخامسة في منزل حقير في شارع  
مونبارناس

كانت تريز في غياب زوجها تأخذ في التفكير. فنشغل الوقت في المتنزهات  
العديدة والاماكن البهيجة المختلفة. إنما كي تجاري رفيقاتها الباريزات في الترف

تحتاج الى دراهم تذكر . فأول ما طرأ على بالها والدها القبطان ثم والد زوجها مات بدون الاكبر أبو جون بدون عندما وضعت تيريز أول طفلة . فاستولى السكون على العائلة منذ ذلك الحين . فباع جون الأدوات الزراعية بمبلغ باهظ ثم أجز الأرض بإيراد سنوي لا يقل عن ثلاثة آلاف فرنك وهذه القيمة كانت تصرف على النفقات العادية

زد على ذلك أن ولادة الطفلة الثانية جعلت جون في أشد سروره فكان يحسب أنه أسعد الناس حظاً ويعتقد أن امرأته ملاك فيزداد هيامه بها وما أشد عجب جون من إسراف زوجته رغم إيراده الزائد . وكلما فاتحها بهذا الشأن كانت تقول له : لا تتداخل في أموري وكان الأب تونلييه ( والد تيريز ) يقضي مطالب ابنته حتى آخر درهم لديه

\*\*\*

كان تأثير الرسالة في قلب الزوج كوقوع الصاعقة . ففي ذلك المساء كانت تيريز قلقة البال من هذه الرسالة التي غيرت ملامح زوجها تغييراً صريحاً أشعل جون سيكاراً وقال لزوجته ؟ أتبتغين مني شيئاً ؟

— هل ما أدعيته بشأن الرسالة حقيقي ؟

— بلى . رسالة خطيرة تدعوني للتغيب عن المنزل

— إذا ؟

— سأعود الى الوزارة

— فليخل بالك من الأوهام

— لا تكثري المزاح

ثم اقترب منها وقبل جبينها بحرارة وتمتم قائلاً : اني أعبدك يا تيريز خرج جون وسار حتى وصل الى زاوية شارعي سان سيمون وسان جرمان والتفت حوله كمن يتأكد من خلو المكان في هذه المقطة ثم فاض الرسالة وقرأ ما فيها بيد مرتجفة كما يأتي :

سيدي

ان سيدة تجهل مقرها تسمى في انذارك عن أمر خطير قد يمس بشرفك وشرف أسرته

ان امرأتك تمخضك في الباطن فهي لم تكثف بابتزاز دراهمك بل سمعت

الى وسيلة أخرى غير قانونية لاستحلاب مايشبع شهواتها الشخصية من هوا  
وتنزهات

وإذا أردت أن تتحقق صدق قولي فسلها عما كانت تفعله يوم السبت في منزل  
بشارع باك عمرة ٣٧ بين الثالثة والرابعة بعد الظهر مع شاب حسن البزة كثير الغنى  
ان تقدمك السريع في المناصب لم يرق في عينها . فاذا أردت أن تتحقق  
أخلاصها لك فسلها عما دعاها الى خيانتك وخداعك ما

حاقدة مجهولة

فأحس جون بعد تلاوة تلك الرسالة ان نار الغضب يتصاعد الى رأسه وأخذ  
يخطر ذهاباً وإياباً وهو يتحسر على حالته التعمسة وما آلت اليه بعد هذه الرسالة  
المشؤومة

فتمتم بمجنون هذه الكلمات : كيف ! تزين خائنة ! تزين كاذبة ! تزين خادعة !  
واحسرتاه على حسن ظني بها . . . . .

ولم يزل جون سائراً لايعي لشيء من فرط التأثر حتى وصل الى قرب جسر  
رويال عند مدخل شارع باك المنوه عنه في الرسالة

فتقدم الى المنزل المذكور وهو قديم العهد ومتداعي الى السقوط  
فدخل الى الساحة ووجد المنزل المشار اليه بسلمه الخارجي ذي الخمس درجات  
فهز رأسه تحسراً وأتم سيره في الرواق المؤدي الى الحديقة . . . . .

وهنا ظهرت له الحقيقة بأجلى بيانها اذا علم أن امرأته تخدعه دون أن  
يشعر بأمرها

أجل أن تزين التي قد وهبها قلبه قد خدعته ومثلت دوراً يمس بشرفه  
ويشين بسمعته

ترى هل في امكانه ان يسألها عن الحقيقة ؟ . . . . . وهي المذبذبة التعمسة التي  
قادتها الاطعام الى هذه الهاوية . . . . .

تمتم جون كلمات ملؤها القنوط : « هنا تمت الجريمة . هنا أتت لمقابلة عشيقها »  
لنبد أن الدرهم كانت سبباً في هذه الجريمة الشائنة فما أتمس حال الزوج  
التي جون نظرة أخرى على هذا المنزل . وكان الباب العمومي لايزال

مفتوحاً فخرج وهو يقول : سيتقابلان هنا . فأكون أنا من ضمن زائري هذا البيت

وفي الساعة العاشرة والنصف حاد جون الى منزله وهو مكتئب . ولدى دخوله الى الصالون الصغير رأى امرأته تعلق قبعتها على الشاهة وتخلع رداءها فقال مندهشاً : عجبا ! هل خرجت ؟

— لبرهة وجيزة

— الى أين ؟

— الى الوزارة لأبحث عنك . وقد ضاعت أتعابي ومللت الانتظار فعدت حالا

— والطفلتان ؟

— نائمتان

ثم قبضت على يده وقادته الى مخدعها حيث كانت الطفلتان نائمتين في مهديهما وقالت : لا تحرك ساكناً

فألقي جون على زوجته نظرة ملؤها الغضب والحقد فارتابت منه وقالت بردد : ان نظراتك حادة يا جون فماذا دهاك ؟

— لا شيء . . .

— بماذا تفكر اذا ؟

— أفكر في المستقبل . ان موظفاً مثلي لا يمكنه أن يعيش على هذا الترف

الباريسي

— ان هذه الفكرة الصائبة قد طرأت على سراراً

وبعد سكوت طويل قال : اداً لقد ذهبت لتبחי عني ؟

— بدون شك

— الممذرة . اني في غاية الكدر

— لماذا ؟

— لا أعلم . استودعك

— فلتصحبك اليلامة

فارقها جون وهو يعلم أنها لازال تخدمه . والحقيقة أنها تكذب فيما أدعته

فقد ذهبت لتبعث برسالة الى عشيقها . وحقوى هذه الرسالة ما يأتي : « لديّ ما  
أخطبك به . . . أني أنتظرك عند الساعة الثالثة في المسكان المعلوم »  
« ت »

## الفصل الثالث

### على الأثر

في صباح اليوم التالي نهض جون مبكراً وذهب الى مكتبه في الوزارة. وكانت  
ملاحظه تدل على الهدوء والسكينة فقد ألقى نظرة الفاحص الى الماضي ولمن تسرعه  
وعدم تبصره في العواقب . وكيف ذهب فريسة الخيانة وهو خالي الذهن من ذلك  
ألم تقوده تيريز الى باريس ؟ ألم يكن لها علم بما ستفعله هنالك ؟ . .  
ألم يقبل بما تمنته وما كان أشد سرورها عند ما أجابها إلى طلبها  
وصل جون وهو شارده الفكر الى زاوية شارع بورجوني فالتظم بعابر سبيل  
خفق عليه قائلاً : انتبه يا صاح

لكنه ما كاد يراه حتى غير لهجته وقال : هذا أنت يا جون امن أين أنت أت؟  
— من المنزل .

— والى أين تقصد ؟

— الى هنا

وأشار له الى علم مركز على بناء الوراثة . فقال مخاطبه : هنا مكتبك ؟

— نعم . وأنت ؟

— أسمح لي بدقيقة ؟

— بل عشرة

وأراد الرجل أن يأخذ بذراع جون الا أن هذا صاح : ما هذا؟ هل أرفقت  
الليلة ؟

وكان الرفيق ضحكاً يعمد في احدى المنارل الكبرى فقاد جون الى شارع  
الاتقاليد وقال له : اني حاقده عليك بسبب العرس . ألا تذبني بزواجك وأنا ابن عمك؟  
— لم أعلم عن مقرك . هل كنت في الجنديّة

- بدون شك
- اذآ لعلي أهملت الواجب فالمعذرة . . .
- هل أنت قانع بمنصبك ؟
- نعم
- هل تذكر سان سلفستر عند ما أردت ترصيد حساب الايجار والتواليث والخدمة ولعب الاطفال والملابس وغير ذلك واعتقدت أنه لم يبق في محفظتك شيء يذكرك
- اذكر ذلك جيداً
- ولديك طفلتان جميلتان . . . . .
- نعم . فهل رأيتهما ؟
- منذ ثلاثة أسابيع فقط . بينما كنت سائراً أبصرت الطفلتين مع الخادمة وكنت أعرفها جيداً فسألتهما عنهما فأجابتا بأنهما ابنتا مدام ردون . . . فقبلتهما بكل عطف . . . ألا تأتق لمخاطبتك خادماً ؟
- أمر مضحك يا لويس
- وكان الخادم يدعى لويس ربول وهو ابن اخت رئيس مقاطعة سوفلي . وقد أخفى عليه الدهر واصبح فقيراً فاضطر للاستخدام . فقال
- أنت لا تسألني عن مقري
- عسى أن تكون مرتاحاً في المنزل الذي تعمل فيه . عند من ؟
- عند شاب يزعم بأنه سعيد
- سعيد ؟
- ولم لا . فهو شاب ظريف في الثامنة والعشرين من عمره ذو صحة جيدة تعشقه النساء لنمالته وجماله وغناه
- كيف عرفته ؟
- هو كولونيل . وقد سعى لادخالي في خدمته
- كم لك من الزمن في خدمته ؟
- ثلاث سنوات وقد توفي والده في المدة الاخيرة
- ماذا يدعى ؟
- المركيز بورد

— أين يقطن ؟

— في فندق بورد بشارع نابليون وهو منزل أنيق بمحادثات عظيمة

— لقد بلغت الماشرة الرابع

— متى أراك ثانية ؟

— متى شئت

— لم تعطني عنوانك

— سان سيمون نمرة ١٦ في الطبقة الثالثة

ثم افترقا . فذهب ربول الى منزل في شارع فيلار ليودع رسالة وقصد جون الى مكتبه في الوزارة

بينما كان جون مشتم الأفكار نحو زوجته الخادعة إذ طرق الباب

فقال : أدخل

وكان الطارق لوريو ويده ورقة بشأن السكر فأعطها لجون الذي قال :

الآن يمكنك أن تنصر .

فأراد لوريو أن يذهب فأوقفه جون بقوله : اني متأخر ويمكنك أن

تساعدني بالقاء نظرة على هذه اللوسيهات ريثما أطلع كافة الرسائل الواردة

وأشار الى زاوية من الغرفة فارغة وقال له : إذا كان ذلك يسبب ضجرك

فأرسل لي روبينيه

— كلا . اني طوع أو امرك أيها النائب

كان جون يطالع الرسالة تلو الاخرى دون أمهال ويلقيها بجانبه . وكان

لوريو يلاحظ سرعته وهو يسترق البصر الى ما يقرأه فتألم ناطقاً وتتم بصوت

حزين : الجميع يعلمون أسري . . . .

عاد جون الى منزله وقد امتلأ وجهه غمماً وكآبة فأحست زوجته بخطورة

مركزها وسألته : ألدك شيء جديد ؟

— لقد ارتكبت خطأ بتأخيري الى الآن

— أنت ؟ . . .

— لقد أخطأت في عمل مضاد لرأي الرئيس وهو الآن في غضب

— أهذا كل الشيء ؟

— أليس بكاف ؟ . . .

— لا تنزهج لامر يسير

سار جون لخضع زوجته وهو مطرق إلى الأرض ثم انده بجأه على نداء طفله الكبري تدهوه لمنارلة الطعام . فاستجمع قواه وذهب الى القاعة المعدة لذلك

لم تطل مدة مكثه لدى المائدة فنهض وقال : يجب أن أعود إلى العمل بعد الظهر وقد أتأخر هناك  
فأبرقت عينا الزوجة إلا أن ذلك لم يخف بل حون الحائق قابس سمعته وقال مستفهماً : أئخر حين ؟  
— لم أفكر بعد . ربما خرجت

خرج جون من منزله وهو يناجي نفسه قائلاً : لقد انتهى الامر . هي لا تفكر الا به . . . سوف تعلم كيف يكون انتقامي . . .

كانت الساعة الثانية عند ما وصل جون الى مكتبه ولكنه لم يات أن دعا لوريو وقال له : اني أشعر بصداع . فلبث حل عمل اليوم الى الغد  
وإذ خرج حون نتم لوريو مقهقهاً : اني أعرف سبب صداعه . . .

سار جون متجهاً نحو شارع باك الى المنزل الذي طابيه في صديحة اليوم . وكان المنزل لا يخلو من الدس والعربات المحملة بالاضائع فألقى حون نظرة شاءة على المنزل ذي الحديقة واذ وجسده خالياً تنفس العمداء وتقدم الى الداخل فلم يمرضه أحداً من البوايين

وسار في الحديقة الى أن دخل فسحبه الدار وصعد السلم الخارجي وولج باب المنزل

## الفصل الرابع

### أسرار العشاق

كانت أول غاية وجه اليها جون اهتمامه هي التفتت الى ما يدور في المنزل وكان السكون مخيماً إذ ذلك فدخل باب قاعة الاستقبال  
أراد أن يمتحن بقية الغرف ولما لم يجد ما يهيمه أسره صعد الى الطبقة الاولى

وولج غرفة مفروشة بغالي الاثاث وأتمس الرياش والسجاد  
وفي هذه الغرفة فراش مغلف بقماش من النسيج الحريري الاحمر وأرض  
الغرفة مفروش بالسجاد النادر. وعماك أيضاً طاولة تحتوي على جميع أدوات الزينة  
التي تلزم امرأة أريستقراطية . وفي وسط الفراغ الكائن بين نافدتين تطلان على  
الحديقة بيانو صغير

سرى في مخيلة جون في تلك اللحظة بريق من الأمل لم يلبث ان انطفأ نوره خفاء  
في هذه الغرفة الهائلة تمت حياطة زوجته وخداها هاله بصيرورتها حليلة شاب  
من أولاد الاغنياء . أخذ يفكر في وسيلة يزيل بها هذين الاثمين من الوجود  
كي يزول من مخيلته هذا الشر ويميش آمناً مطمئناً . ولكنه وقع بين طاملي  
الانتقام والشرف . أيقتل زوجته ؟ -- والأطفال الى ماذا تؤول دالهم ؟ ...  
انه لشريف وشرفه يطالب بسفك الدماء . . . .

كيف يأتي هذا المنكر فيزيد الطين بله . ألا يكفيه التستر فهو غير من  
الفضيحة الشائنة التي تؤدي الى هوة لا فرار لها فينحط مركزه الأدني  
والمادي مما في الهيمة الاجتماعية

وبينما هو يمثل هذه التأملات اذ انتمه الى صوت وقع أقدام حثيثة على مل  
الحديقة فألقى نظرة حائرة الى ما حواله ثم اندفع نحو غرفة الزينة واحتبأ  
بين ستائرهما

وقد أتى الشاب قبل مجي خليلته وجلس على مقعد وأحد يعزف على البيانو  
وبردد هذه الكلمات . كيف لا أجد أعداء . يقاهر أي وصات وألا أيها المعبودة  
الجميلة ذات العيون العسلية . . . .

تأمل جون قليلا ذلك الرجل الجهيمي الذي سلبه أعز ما لديه ألا وهي  
امرأته . فاذا هو . . . .

وكان المركيز ريمون دى بورد لوسان يناهز الثلاثين من العمر وينتسب الى  
أعرق طائفة في سان جرمان ممثدا القامة قوي البنية جميل الوجه يحن للنساء أن  
يمشقنه لصغر سنه

أخذ المركيز يخطر ذهاباً وإياباً وهو ينتظر بفراغ الصبر قدوم خليلته . ولم  
تمض عشر دقائق حتى سمع جون صوت امرأته فارتعدت فرائصه فاذا كان لا يزال  
في نفسه ذرة من الشك فقد صحح الصحيح وانقطع الرجاء

تصاعدت النيران الملتهبة في فؤاده وأصعدت الدم الى رأسه فأعمت بصيرته  
وكاد يفتك بهما في الحال لكنه توقف عن هذا العمل الجنوني ريثما يتم له الامر  
ويكشف الستار عن الحقيقة الجارحة

— لقد انظرتك طويلا فظننت أنك لن تأتي اليوم

— قد أكون على حق لو تغيبت

— ولماذا؟

— دعني أستريح لأنني تعمة فقد أسرع في سيرى . ثم لست مطمئنة

— ومن تخشين بأسه؟

— كل شيء حتى ظلي

— أراك مرتجفة

— أشعر بذلك لكثرة خو في ..

— ممن؟

— أمر يسير

— وما هو؟

— لقد كان في اعتقادي أننا في أمان

— وهل من حادث يكدر صفاءنا

— بل مصيبة

— بالله عليك لا تخيفيني . ماذا يداهنا؟

— ان زوجي قد تغيرت هيئته في المدة الأخيرة

— ليس هذا ما يستدعي الاهتمام بل أنها ظنون .

— هل حدثك بها؟

— كلا

— وأي ظنون تعنين؟

— وصلته رسالة خيابة

— هل قرأتها؟

— كلا إنما لاح لي أن ملاحظته تغيرت فجاءه بعد تلاوة الاسطر الأولى من

الرسالة . فكثرت في أن أستشيرك في هذا الامر لتلافي ما يؤول من الخطر المحدق...

— لا تنزعجي لأقل الظنون . والآن أين الطفلتان؟

— تركتهما في حديقة التويلري كسابق طادتهما وسأبرح بمد برهة  
— أرجوك . . . . .

— كلا . كلا . أي جزعة . ونفسي تحدثنني بوقوع ما لا تحمد عقباه  
— هل الطفلتان في صحة جيدة؟

— أيتهما تعني على الاخص؟

— ابنتنا بدون شك

— ريموند؟ . . . إنها على تمام العافية . ومرآها يسبب لي سعادة لا تقدر .

فهي على شا كلتك ياعزيزي

لم تكلمتوه المرأة بهذه العبارة الأخيرة حتى أصبح جون في حالة يرثى لها من شحوب اللون وقد علم بأن طمعة من اللتين يعتقد أنهما انتباه لم تكن إلا ابنة غير شرعية وقد دعيت على اسم أبيها المركيز ريمون . وقد دامت هذه الصلة الأثيمة والخيانة الفادحة مدة ثلاث سنوات فكان سعادته لم تكن الا خيالية بجملة

قامت تيريز وقالت : ابي كثيرة الجزع إذ لو فاحأنا جون لقتلنا بدون رحمة

— إنما لا بد من أن تجيبني على طلبي

— أعلى مفادرتة ؟

— بدون شك . لان الحياة لا تطاق على هذا المنوال ولا يمكنني أن أتركك

اني أحبك كالمعتوه . وهذه الطفلة التي هي من دمي يجب أن تكون معنا لانها نتيجة محبتنا . أجيبي . . . . .

— إن هذا المستحيل . كيف أترك إبنتي الاخرى وهي حشاشة كبدي أيضاً .

وهل تترك الوالدة أطفالها صفاراً . لست بامرأة قاسية . ولا أنكر أني أهواك بل أعبدك وأكرس حياتي لاجلك . لكن . لا سبيل إلى القبول

— إذا أنت ترفضين ؟

— لا بد من ذلك

— ربما أصبت . لكن ما العمل ؟

لو تمكنت تيريز أن تري زوجها مختبئاً في غرفة الزينة لماتت حزناً . ذلك لرحل الذي أصبح منظره كالاسود الضارية بعينين يتطارب منهما الشرر

فقال المريكز بلهجة المتوسل: يجب أن نتبصر جيداً في الأمر . وسوف  
أجد لذلك علاجاً ناجحاً  
بعد برهة انقضَّ المجلس وطاد كل من المريكز وعشيقته الى حال سبيلهما  
فنهض جون من مخبئه وقد شابه الأموات فقال وهو يصر بأسنانه: في  
اعتقادي إني وجدت العلاج . . . .  
ثم نزل من المنزل المشؤوم واختلط بين الجمع الفقير

## الفصل الخامس

### ذكرى قديمة

خرج جون من المنزل المشؤوم الذي تحقق فيه مهبط آماله في زوجته التي  
أحبها حناً أعمى وأن ذلك الحب لم يلبث أن زال فجأة  
تبسم حانقاً وقد علم أن زوجته لا تحبه بل تحب رجلاً آخر حباً يقرب من  
العباداة . هذا هو العار بعينه  
وقال في نفسه: — هل يمكن أن يكون لوريو هو كاتب هذه الرسالة ؟ وعلى  
كل حال لا بد أن كانتها قد قام بخدمة جلييلة لم أكن أنوقمها  
طراً على جون في بادئ الأمر الغضب ثم اليأس . لكنه عاد الى التفكير  
وصل وهو في سيره الى جسر الانقاليد وأخذ ينظر الى المياه الجارية التي  
تخرج من باريس غير آسفة على فراقها . . . . وفكر أنه سيفعل هو أيضاً . فالفرار  
لا بد منه

عادت اليه ذكرى قديمة أزالتها عن الأيام  
أراد أن يعود إلى الأرض التي نشأ فيها . أي « سوفاجير » تلك الضاحية  
الصفيرة التي كان فيها الاب ردون يزرع أرضه بكل نشاط  
أراد أن يحدو وحدو والده فيعود الى ذلك الوطن العزيز ويترك باريس التي  
نقضت حياته كلها . هنالك في الخلاء والشمس المشرقة تكسبه صحة قوية فتجدد  
قواه ولا يعود يفكر في ماضيه المؤلم

عزم جون على أخذ الطفلتين معه فيمضي بقية حياته منفرداً هن الدنيا وملذاتها . لكن قائماً حال دون مرامه وهو التصاقه بالمرأة الخادعة لقد علمنا أن المركز يطلب الطفلة ريموند . ولكن جون سيأخذها بمامل الحقد والضغينة

سيقوم بين الرجلين عراكٌ عنيفٌ ينتهي بأن تأخذ الزوجة الطفلتين لتربيتها بمقتضى القانون

سوف يذهب إلى البلاد القاصية حيث لا يعلم أحد مقره . لكن لا بد له من المال وهو لا يملك درهماً واحداً فقد بددت امرأته أمواله . أبيع سوطاجير التي لا تزال في قبضة يده ؟ — لا بد من ذلك

عندئذ سقطت دمة من مقلته أسفاً على هذه التضحية العظيمة

كانت الساعة السابعة عند ما عاد جون الى منزله شارداً الفكرة فبادرته تريز بقولها : لم تأخرت ؟

فاقرب منها وقبلها قبلة صادقة آنسها منه وعلمت أنها باخلاص . فتبسبت كأنها نجت من خطر محقق . فسألته قائلة : يظهر أنك لم تشتغل اليوم ؟

— كلا

— لقد جاءني زائر

— متى ؟

— عند الرابعة

— لم تخرجي إذا ؟

— بوهة فقط ...

— الى أين ؟

— إلى اللوفر لشراء قطعة من الدانتيل . وكانت الطفلتان في حدائق التويليري

كالمعتاد مع ليوني الامينة . ثم عدت الى المنزل لوضع السلعة . ولما أردت الخروج سمعت طرق الباب . تنبأ من يكون الطارق ؟

— لا أعلم

— أحد رجال القانون

— المسيو كولومبي ؟

— هو بعينه

- إنا مدينون له ٠٠٠٠
- بما منح لنا الوزير
- وبعد هذا المنصب ؟ ..
- ان الأمر لم ينته بعد فيجب والحالة هذه أن نرفض مساعدته
- لماذا ؟
- لأنه لا يقوم بمساعدتنا مجازاً

ذهب جون الى قاعة الطعام . وفي أثناءه قص على زوجته مقابله مع ابن عمه وأردف قائلاً : أنت تعامرين شيئاً عن لويس روبول الذي كان جندياً منذ ثلاث سنوات ؟

- نعم
- لقد اضطر أن يبحث عن عمل لأن والده لم يخلف له درهماً واحداً
- هل وجد ؟
- من حسن حظي . لقد نسيت أن أدعوه في حفلة زواجنا لأني لم أعلم مقره
- ماذا يعمل الآن ؟
- محمل خادم
- في منزل من منازل الكبراء ؟
- بدون شك لأنه ليس من وضعاء الناس
- منزل من ؟

فأجاب جون بدون اهتمام : يخدم عند الماركيز دي بورد في تلك اللحظة سقطت الأنية من يد الطفلة جان فالتفت جون اليها فنجت زوجته من نظراته القادة لانها كانت قد شابهت الأموات لدى سماعها هذا الاسم . ثم تحللت وملكت روعها وقالت مستهمة : وأين يقطن ؟

— في شارع نابليون وقد قيل لي أنه غني وجميل وحسن السيرة

في الساعة التاسعة كان جون مع زوجته في مخدعها وكانت الطفلتان نائمتين . فقال جون :

— لم أقم بعد الظهر في الوزارة . فقد أصابني نوبة شديدة فقصدت الى الشايزيلزيه عند مدخل بوا

- منفرداً ؟  
 — نعم وكنت أفكر في أثناء سيرى  
 — بأي شأن ؟  
 — كنت أفكر في شراء فيلا بقرب البحر في جهة فيلار أو تروفيل  
 — لم أقصد غير المزاح حين قلت لك أنى أود أن يكون لنا فيلاً  
 — وأما أنا فأجد الآن  
 — أليس هذا مستحيلاً ؟  
 — ليس بمستحيل لاني وجدت الوسيلة لتحقيق هذه الغاية  
 ثم نهض جون وقال : غداً أبلغك عن عزمى  
 — ولم غداً ؟  
 — لاننا سنذهب غداً للتنزه وتحدث سوية  
 — أين ؟  
 — في الضواحي  
 — ليلتك سعيدة  
 ثم انصرف فتنفست تزين الصعداء وأظهرت الارتياح ونتمت قائلة لنفسها :  
 لقد أخطأت في ظنى فهو لا يعلم شيئاً

## الفصل السادس

### الرسالة

أمطرت السماء في تلك الليلة ولم تهب العاصفة فكان الطقس جميلاً في الصباح.  
 أشرقت الشمس بأشعتها الذهبية على الأشجار الزاهرة فانمشتها وعلى الأعمار  
 فأنضجتها وعلى الأوراق فأكسبتها اخضراراً  
 فتح جون النافذة واستنشق الهواء العليل وشارك جمال الطبيعة بين  
 تلك البقاع الخضراء

ثم ارتدى معطفه المصنوع من القطيفة ذات اللون الكستنائي، وأخذ يتمشى على أطراف أصابعه كي لا يزعج أهل البيت في نومهم. لكنه سمع حركة آتية من المطبخ

كانت ليونى الخادمة الشقراء تمد مايلزم للنزهة من غذاء وحلويات . فاقترب جون من عتبة المطبخ وقال لها : لقد بكرت . . .

— لأن الأبطال متى استيقظوا لا يدعون وسيلة للعمل

— لا تتعبى نفسك . فسنتناول الطعام في حانة قريبة

— هل علمت سيدتي تریز ذلك قبل الآن ؟

— سأفاجئها به في حينه . لو تاملين؟؟؟

— ماذا؟

— قابلت أحد أصدقائك

فعلا وجه الخادمة حمرة الحجل وقالت : من هو يا ترى ؟

— لويس روبول

— الجندي القديم ؟

— نعم

— وخادم المركيز دى بورد ؟

— هو بيمينه

— لقد أراد أن يدخلني في خدمة المركيز . وهو طيب القلب

— هل رأيت منذ مدة طويلة ؟

— منذ سنتين . . . أي قبل أن أقوم بالخدمة عند سيدي

— ولم لم تقبلي إطلبه ؟

— لأنني لا أعرف الحياكة . وقد أحببته فهو من أقرباء سيدي

— هو ابن عمي

— قال لي ذلك

انتهى الحديث وذهب جون الى قاعة الاستقبال وشاهد رسم امرأته صنع

لبيرت المصور فأخذ يتأمله ويتنهد تنهداً حميقاً صادراً من أعماق قلبه

هناك مكتب صغير لتريز : فجلس جون ومد يده إلى غلاف عليه بضع رسوم لزوجته فالتقى منها رسمين ثم أخذ بضع رسوم للطفلتين وأخذ قلماً وخط على قرطاس مانصه :

سيدي

منذ سنة أخبرتني بأن رجلاً يريد أن يشتري مزرعتي في سوفاجير ليجمعها مركزاً للصيد والقنص وقد رفضت الطلب اذ ذلك . أما الآن فقد أحوجتني الضرورة لأن أوافقك على ما عرضته علي . وبما أنه لا سبيل الاجابة وأنا في باريس فسأحضر إلى نيفر للمباحثة في هذا الشأن . وأقبل تحيات صديقكم الأمين ما جون ردون

وعلى ظهر الغلاف كتب ما يأتي : المسيو بوشين . كاتب عقود في شاتوشينون نيفر

ثم وضع الرسالة في محفظته بجانب الرسوم وكانت ريموند وجان يتحدثان بأمور صيدانية مختلفة . وقد استيقظت تريز وأخذت تداعبهم ما ثم فتح جون الباب وقال بصوت هادئ : إن الطقس جميل فسأتنزه قليلاً ثم أهود في الساعة العاشرة

أخذت تريز بعد انصراف زوجها تناجى نفسها بعد أن رأت منه مسالمة ودية فقالت في نفسها : لم يعلم شيئاً لكنها تمتت بحزن : والنهاية ؟ . . .

أجل . كيف تنتهي هذه العلاقة الزوجية التي دامت مدة حتى أصبحت وثيقة العرى بحياتها المادية والأدبية

كيف تسهر على سلامتها وهي بين نارين : الأولى زوجها الذي تغيرت سعنته منذ يومين أثر رسالة غريبة . والثانية عشيقها المتمول الجميل الذي أصبح لا يمكنه مفارقتها وزاد حبه لها حتى أرادها لنفسه دون سواه

تمتت حينئذ هذه الكلمات : لم يزل نجمي ساطعاً . . . ألم تنجح مقاصدي منذ مجيئي إلى باريس ؟ ولكن . . .

ألم تحصل على ما كانت تطمح إليه أبصارها ؟

وصل جون في سيره إلى اسطنبول عربات وأكثرتى عربية فسارت به إلى منزله وكانت الساعة اذ ذاك العاشرة ونصف . فركبت العائلة وسارت العربية بهم

الى «بوادى بولون» تلك الغابة الجميلة التي تصلح لتناول الطعام فيها ولا سيما في مثل هذا اليوم الزاهر . في احدى الطرق المؤدية الى الغابة تأبط جون ذراع زوجته وسار وقد ساد السكون عليهما وبعد برهة قالت تريز : وما هو الشيء الذي ستفاجئني به ؟

— لن نمود فقط الى نيفر ؟

— قد يحتمل ذلك

— أنشاركينني في رأيي ؟

— لا وسيلة خلاف هذه

— حدثني نفسي بأن لافائدة من حفظ ممتلكات لا تراها

— ستبيع اذا مزرعة سوفاجير ؟

— بدون شك ؟

— هل صممت على عزمك ؟

— أنها عزيزة لدي . لكن لا بأس من بيعها . . .

ثم همس في أذنها قائلاً : أن أسعار الممتلكات آخذة في الهبوط السريع وقد دفع لنا الثمن الموافق . والشاري يود ان يحوز على قطعة أرض كبيرة . فهذه فرصة نادرة يجب أن نغتنمها

— وبعدهذا ؟

— تقسم المبلغ الى جزئين ؟

— ولماذا الى جزئين ؟

— الجزء الأصغر نشترى به فيلا على شاطئ البحر والآخر نضعه

في مصرف بفائدة تذكر

— لكنك ستفارق سوفاجير الى الأبد

ثم اقتربا من مكان مظلل بأشجار باسقة فضم جون زوجته الى صدره وقبلها قبلة حارة وهمس في أذنها قائلاً : أنها تضحية لكنها عن طيبة خاطر فنشرت منه كما تنفر الغزالة من وجه مطارديها وقالت بحنو : اني أرفض هذه التضحية ما دامت عزيزة لديك

— هذا لأجل طفلتينا وسمياً وراء راحتنا . لأنني لا أطمع بسوفاجير

ما دامت بعيدة عني

— انك السيد المطلق . فلتكن ارادتك لانها قبل كل شيء  
 — سأذهب الى سوافجير بعد يومين لأنهي هذا الامر فهل ترافقيني ؟  
 فلم تجب . فكرر عليها القول : ان الجولان لذيذ في هذه البقاع الأثرية التي  
 تذكرنا بسابق غرامنا وأول خطوة في سبيله  
 فترددت مرتبكة وقالت : أريد ذلك . لكن الطفلاتين ؟ أنتركهم مع الخادمة ؟  
 — لا بأس عليهما . وسأذهب أيضا الى نيفر  
 — افعل ما شئت

ثم ركبا العربة مع الطفلتين والخادمة فسارت بهم الى المنزل : وهناك قال جون  
 بتأسف : لقد فاتك انه آحر يوم نتنزه فيه ولن نعيد الكرة  
 — لماذا ؟  
 — لأننا لسنا من الأغنياء  
 ثم ولح جون غرفته وقال في سره : انها لا تزال تخدعني

## الفصل السابع

### العودة

بعد مرور ثلاثة أيام . عند الخامسة صباحاً نزل شاب من القطار الآتي من  
 باريس الى محطة نيفر . وكان متنكراً بردائه الاسود وعلى رأسه قبعة من اللباد  
 وكان الضباب يرتفع ارتقاها عظيماً فيغشى وادي اللوار كله  
 إتجه المسافر مسرعاً نحو عربة واقرب من حوزيها النائم على المقعد الامامي  
 فأيقظه بقوله : مولينيه : أنائم أنت ؟  
 فاستيقظ الحوزي مرتعباً وأشر بيده على رأسه للتحية وقال : العفو  
 يا مسيو جون . لم يوقطني القطار ها أناذا  
 — متي وصلت ؟  
 — البارحة مساء عند منتصف الليل  
 — يظهر أن الليل لم يطل لك ؟  
 — لم يطل الا قليلا

— أترحل ؟

— اذا شئت يا سيدي ؟

فوثب جون الى داخل العربة وسارت به الى شاتوشينون إنما لا بد من المرور بشايتون عند الأب فوكار بينما يأكل الجواد علفه . فقال جون لبحودي :  
— كيف صحة الأب فوكار ؟

— على غاية ما يرام . وهو طاعن في السن . واحد أصدقاء والدك القدماء  
— وفندقه ؟

— الاصل سائرة طبق المرام

ومولينيه هذا شاب في الخامسة والثلاثين من العمر تربى في سوفاجير بين عائلة ردرن وبقي في خدمة المزارعين الذين اشتروا جزءاً من الارض . وكانت المودة بين جون ومولينيه مؤسسة منذ الطفولة

— كيف حالة آل روفريه ( زارعي سوفاجير )

— متمتعون بصحة جيدة

— هل أنت راض عنهم ؟

— نعم . وبودي ألا يتغير صاحبها . لكن . . . لا مفر من القضاء المحتم

— ألم يمتنعوا عن ارسالك الى نيفر حينما وصلتك رسالتي أو تأثروا ؟

— أنهم طوع أوامر سيدي على كل حال

— هل هم مسرورون من المعيشة في المزرعة ؟

— أجل . فهم يعتبرون أنفسهم من أسعد الناس لان لديهم من الاخشاب

ما يقيمهم البرد . والاعشاب النظرة علف للماشية . ولا يفتأ الأب روفري عن

قنص الحيوانات البرية كالخنزير والتميس والأرنب ودجاجات الأرض التي نهوم

حول الصخرة . . . أما زوجته فامرأة صالحة ذات تقوى

انتهى الحديث فأطبق جون جفنيه لكنه لم ينم بل كازساجماً في بحار من

التأملات المتأقمة فان هواء بلاده النقي قد أذكره تلك المعيشة الآمنة الخالية

من الشوائب منذ كان في نضارة الشباب فندم على مفارقتها لها وما أصابه من

جراء ذلك

حسد جون ذلك الرجل الذي شغل مكانة حسنة في تلك المزرعة الوالدية .

فقد كان مطمئناً بين نظرات المزارعين المشفوعة بعامل المحبة والشفقة نحو خليفة سيدهم

ما أشهى الحياة له لو رضيت تبرز بميشة المزرعة وبقيت بين المزارعين بدلا من الانقياد الاعمى الذي أتى بها إلى باريس فهوت في حضيض الذل. فيا للمضيعة ! لقد آن وقت التفكير . . . .

وما وصلت العربية إلى غابات سان بناندازي الشاسعة حتى برز جون من مقعده وقال للحوزي : والقبطان ؟ ( ويعنى به والد تيريز وهو الأب تونيليه ) — لا يشكو ألماً غير أنه بالرغم من هذه المظاهر تراه يزرع حديقته ويتزده ويلهو كيف شاء

— هل يذهب إلى سوافجير أحيانا ؟

— كل يوم . ويعظم سروره حينما تكون ابنته برفقته . هل هي متمتعة بصحة جيدة يا مسيو جون ؟

— نعم . نعم . يا عزيزي

— والطفلتان . يظهر أنهما جميلتان كالملائكة فقد أرانا القبطان صورتها . . . .

فسكت جون حتى بلغت العربية شاتلون عند الحادية عشرة ووقفت عند مدخل فندق دوبيش

وكان صاحب الفندق جالساً على مقعده وهو يعرف جون تمام المعرفة . فلما شاهده يجيبه وثب نحو العربية وقال : كيف أنت هنا يا جون ؟

ثم رافقه الى قاعة صغيرة . وبدأ الأب فوكار في الستين من العمر بشعر أشقر فقال : أتتغدى يا جون ؟

— بدون شك . ومولينييه أيضاً . فقد أتى إلى نيفر ليصحبني

— فننادى صاحب الفندق : ميلاني . جيرارد

كان الأب فوكار أرمل غير أن في خدمته ستاً من الخادmates . أهمهن جيرارد . وهي رئيسة الطهاة وفي الخمسين من العمر . فلما جاءت سألتها : ماذا

لديك من الاطعمة غداء لولدنا جون ؟

— بيض . لحم مسلوق . ضلوع . فطائر . . . .

— حسناً عجبي في إحضار الموجود . وأوعزي الى ميلاني ان ترتب المائدة

- جاءت ميلاني وحيث جون بكل وداعة وأدب . فحياها بوجهه عبوس كأنه في شاغل لا يبرح مخيلته . فقال الأب فوكار بجدة : يظهر أنك كثير الافكار
- اني لكذلك يا أنتي
- ان كلمتك هذه تزعجني . فاذا حدث لك ؟
- حدث أني سأبيع مزرعتي
- مستحيل
- الامر كما أقول
- لمن ؟
- للذين يبتغون شراءها
- يا للخسارة . آه لو كان معي مائة ورقة من فئة الألف . . . . لا أصدق ما تقوله
- بل هو الحقيقة بعينها
- لاشك أن أموراً قاهرة حملتك على ذلك
- والأسفاه
- كيف تبيع مزرعة ولدت فيها . . .
- لا مرد لما حكم به القضاء
- أتبيعها بعد أن أقت فيها خمسة وعشرين عاماً . وتوفي والدك في أرضها؟ وتزوجت أنت فيها أيضاً . . .
- فكانت لمبارته الأخيرة أشد تأثير ظهر على محيا جون فلحظ منه الأب فوكار وقال بصوت ضعيف : إذا لقد تقرر الأمر ؟
- نعم . نعم
- الذي كنت أراه أنه ليس من الحكمة التزوج بابنة جميلة عاشت بين العظمة والترفه . فلو تزوجت بقروية . . . . (وأشار بيده الي ميلاني وهي شابة في العشرين من العمر صبوحة الوجه ) لأقت معها في رغد من الميش
- لقد انتهى الأمر يا سيدي
- إذا ستبيع المزرعة ؟
- إذا وجدت من يدفع ثمننا عادلا

— ان مزرعة كسوفاجير لا تلبث طويلا حتى تجهد من يشتريها . . .  
جلس الأب فوكار وجون لدى المائدة وأنت ميلاني بطبق من اللحم  
المسلوق. فقال جون :

— وآل رفين . ألم تصلك أبناء من قبلهم ؟ ( وعائلة رفين تشتمل على بليز  
وتوماس وهما اخوان أشتهرا بالقنص في الاماكن الممنوعة من غابات المورفان .  
وكانا يتستران ويتظاهران امام الجميع بأنهما يعملان على قطع الاخشاب )  
فقال الأب فوكار : منذ مدة غير طويلة مر توماس من هنا وكان يحمل  
طريدة . وقيل ان أخاه ترك البلاد  
— أين هو الان يا ترى ؟

— لا أعلم عنه شيئا إلا أنهما بطلان إذا قالا فعلا واذا وعدا وفيما . . .  
فارت عينا جون سرورا . وبعد تناول الطعام أراد أن ينصرف فقال  
الأب فوكار : أذهب أنت الى سوفاجير ؟  
— صما قليل أذهب اليها ومنها الى كاتب العقود في المزرعة  
— الى بوشين اللبم ؟ فهو ينقب الأرض كي يجد لك شاريا . . . انصح  
يا جون وارجع عن غيك فقد تندم ولات ساعة مندم  
— لا بد من ذلك  
— ستمر من هنا عند عودتك ؟  
— اذا تمكنت

ثم صافح الأب فوكار وركب العربية فسارت به بين الطرق الوعرة إلى  
شاتوشينون . وعند الساعة الخامسة مساء دخل جون إلى مكتب المسيو بوشين  
كاتب العقود فاستقبل عما يليق بمقامه شأن الزبائن الاغنياء الذين يقدون عليه  
ولم تطل مدة المحادثة فان بوشين يعرف عائلة ردون منذ مدة طويلة وقد  
احتفظ لجون بالشاري فهو متمول وصاحب المعامل الحريرية في ليون ومن هواة  
القنص . وقد أعجبت مزرعة سوفاجير لحسن موقعها ومناحها  
عند الساعة السادسة والنصف اتفق جون مع الكاتب على الثمن بحيث يقبض  
القيمة المودوعة في بنك فرنسا عند عودته إلى باريس  
عند ما أقبل الليل وصلت العربية بقرب منزل فسقطت عنده دمعتان من مقاتي

جون لان هذا المنزل هو موطن آبائه ومقر ولادته وقد باعه . آه !! !  
هاهي سوفاجير بعينها . . . . . الوداع ياسوفاجير . . . . . إلى الأبد . . . . .

## الفصل الثامن

### القرية

استعد المزارعون لاستقبال سيدهم فأعدوا مائدة الطعام في قاعة قديمة البنيان  
قد عشش المنكبوت على أركانها إنما متانتها كفلت لها عمراً طويلاً  
جلس جون الى الطاولة لناول الطعام وثلاثة من الخدمة حوله وهم مولينيه  
وتموشيه راعي البقر وفيرونيك الخادمة الضخمة  
أما المزارعة فتبلغ الخمسين من العمر وملاحظتها تدل على المكر والرياء وهي  
طاملة مجتهدة لاتضيع الوقت سدى  
والأب روفري رجل قد حنكته الأيام فأصبح لا يؤخذ بسهولة ولا تفوته  
فرصة الا انتهزها

وكانت الراحة والطمانينة تشملان هذا المنزل السميد  
تناول الجميع طعامهم محافظين على السكينة لعلهم بأن جون آتهم بنياً لايسرهم  
ثم أخذوا يتداولون أطراف الحديث فتكلموا بشأن الأب تونيليه وقد  
دعوه بمناسبة حضور جون. فاعتذر للألم الذي انتابه ووعد بأن يأتي غداً  
ليرى صهره

قالت المزارعة : ان قدومك إلى بلادك قد أنعشك وأعاد إلى نفسك ذكري  
جميلة . . . . . ستقيم بيننا بلا شك بضعة أيام ؟  
— كلا —

— لملك تفضل السكنى في سوفاجير على باريس ؟  
— بدون شك . إنما هذه المرة هي الأخيرة التي تروني فيها بينكم  
فاشرأت المزارعة بمنقها منذهلة ولم تفه بكلمة . وتابع جون حديثه :  
لقد بيعت سوفاجير

— متى؟

— منذ ساعتين

— لمن بيعت؟

— لرجل يعلم كيف يربحكم . . . .

— سيان لدينا اذا كان غنياً أو جيلاً

انتهى الحديث فاخلى جون في غرفته في الطبقة الأولى من المنزل القديم والغرفة تحتوي على مضجع بسيط وكريسيين وأنيقين من الخرز ونافذة كبيرة تضيء الحجر كله

ثم اتكأ جون على النافذة ورمي ببصره الى الغابات التي يتدفق لمعان القمر الشاحب . فاعتراه للحال الخلال وفتورا نقلت الى تأملات عميقة وتهدات صادرة من أعماق قلبه

على قمة هذه الجهة يرى الناظر بقايا حصن قد تداعت أركانه وتهدمت جدرانها وقد يتبين الانسان أنها صحرة هائلة غير منتظمة ومسطحة في ذروتها . وهي تنسب حسب الاعتقادات الشائعة الى أنها كانت أنصاب نقام عليها الذبائح والقرابين البشرية في عهد كهنة الدرويد

فهذه الصخرة أو بعمارة أخرى مجموعة صخور مغطاة بطبقة خضراء جميلة زاهرة قد اشتهرت في القديم وأصبحت ذكرى لأهل تلك القرية فيدعونها بالصخرة الدامية

لماذا سميت بهذا الاسم؟ يصعب على الانسان أن يتحقق هذا الأمر هل كانت تستعمل للضحايا البشرية كما يزعمه المعاصرون؟ أو ان جريمة لا تفتقر حدثت فيها حتى ثبت عليها هذا الاسم المريع؟ أم أمر سخيف وهو وجود ينبوع مياه معدنية قد غشى جدارها بطبقة حمراء تشابه لون الدم ومهما يكن الامر فهذه الصخرة تشتمل على بقعة ممتدة الى جهة بعيدة في البلاد . وعلى سطحها تمتد قرية سوافجير والقصر الاثري وبرج الحمام والحدائق والاطلال البالية تشهد بوجود القصر الهائل المذكور في تاريخ الا عصر الحالية

أنتم جون النظر طويلاً في هذه البقعة التي تذكر مكاشفته للمرة الأولى

بعموره نحو ابنة القبطان تونيليه حيث قال لها : تریز اني أحبك ولا يمكنني  
أن أعيش بدونك . وكان يجها حقيقة  
وما كان أشد سروره حينما سالمته بقولها : نعم . فكأر رنات صوتها قد  
دوت في فؤاده وكان لدويها تأثير جليل

الا أن هذه الاحلام قد تبمئرت وأصبحت كالحيال لاحقيقة لها البتة  
أراد أن يرجع الى معيشته القديمة أو يذهب الى عالم مجهول ولكن الى أين ؟  
بقي جون برهة وهو غائص في بحار من التأملات العميقة يناجي الطبيعة  
بأسلوب رقيق عذب ولم يكن يسمع الا نقيق البوم وصياح الغربان وتغريد  
الطيور في تلك البقعة المقفرة . . . . .

بعد ربح من الزمان استلتي جون على فراشه وقد أنهكه التفكير  
عند الخامسة صباحاً استيقظ وقد استرد بعض قواه . فأعاد نظرة أخرى إلى  
الجهة التي ناجاها ليلة أمس

بعدئذ خرج من غرفته فصادف المزارعة فسألته : الى أين ذاهب مكرراً؟  
إلى منزل القبطان ؟

— كلا . فهل يأتي لمناولة الطعام ؟

— نعم

— أخبريه بأني لا أرغب ازعاغه . اني ذاهب الان

— الى أين ؟

— الى توماس رفين

— ان المسافة طويلة

— لقد تعودت قطع المسافات البعيدة وسأعود مساء

— ماذا ترغب من توماس ؟

— أريد أن أستعلم عن محل وجود أخيه بليز

— هو لا يقطن في البلدة

— لقد أخبرني الأب فوكار بذلك

— هل تأخذ معك قطعة من الفطير ؟

— بكل سرور

— وكأساً من النبيذ ؟

— هذا غاية أمنيته

شرب جون كأس النبيذ وخرج قاصداً الى الكوخ المهجور المدعو بوتوشيان الذي يقيم فيه آل رفين ووصل إلى هذا الكوخ في طريق ضيق مستقيم على الصخرة يؤدي إلى قمتها ومنها إلى حيث يراد فهذه الصخرة الثابتة التي يزعمها هبوب الرياح العاصفة وقصف الرعود هي الصخرة الدائمة وعلى عمق خمسين متراً من قعر الينبوع المعدني طبقة حمراء وعلى مسافة قريبة منها ثلاث أشجار من الزان منقوش على جذعها اسمي جون وتريز وتاريخ المقاتلة الأولى . . .

وفي الجهة الشرقية منزل الأب تونيليه المحاط بالأشجار الباسقة بعد مسير ساعتين وقف جون أمام منزل حجير وطرق بابه فسمع نباح كلب من الداخل وصوتاً أجش يقول : أدخل

## الفصل التاسع

### الضغينة

أعمل جون يده في المصراع فانفتح الباب . ودخل إلى غرفة تحوي بضع كراسي مشوهة ونوافذ ضيقة وخوان يتداعي بمجرد لمسه . فأخذ الكلب يحرك ذنبه جزلاً وهو من نوع الكلاب التي تعيش في حي سوفاجير وكان رجل بمعطف سنجاي اللون وفي قدميه حذاء غليظ فقام بلهفة ومد يديه مصاحفاً جون وقال : أنت هنا يا جون . . . لم أكن أتوقع قدومك

— جئت لقضاء برهة قصيرة

— على ماذا عولت ؟

— على بيع مزرعتي

— وا فادحتاه !

- هل أزعجك مجيبي؟
- بل سبب لي سروراً لا يوصف . فقد مضى زهاء الثلاثة أعوام ولم تزرنا
- بل أربعة على ما أذكر
- أترى كيف يمر الوقت بسرعة؟
- وتقلب فيه الأقدمة وتتصلب المواطف ويفتر الشعور . . .
- ماذا دهاك يا عزيزي حتى تتلفظ بهذه الأقوال؟؟؟ فاني أرى على سيئاتك ما يحدثني بوقوع مصاب؟
- هو ما تقول . وأنت؟ لماذا أراك هزيباً؟
- لأن والدي توفيت منذ شهرين من جراء الأحزان وقد زاد حزنها سفر بلينز الفجائي . . .
- وتوماس رفين شاب في السابعة والثلاثين من العمر متوسط القامة مشهور بجدته في العمل وعيناه تتقدان ذكاء وهو نحيف الجسم عصبي المزاج يحب الصدق ومن اتصف به
- بعد برهة ساد فيها السكون قال : بعد أن رحل بلينز بقيت في بوتوشيان مع والدي الصالحة أما الآن فقد أصبحت فريداً بعد فراقها الأبدي .
- ألا تضجر من الازدحام في هذا الكوخ؟
- بدون شك . وهل ما يحول دين إرادة العزة الالهية؟
- إذا علم أي أئيت لأعرض عليك أمراً ذا شأن
- وما هو؟
- أن تصحبني في سفرة
- إلى أين؟
- لم أعين وجهتها بعد . أتمدني بكنتم السر؟
- وهل أنا ممن يدهون الاسرار بخساً؟
- إيا يجب أن تعلم أي سأرحل إلى بلاد بعيدة تاركا باريس وما فيها لأن التي اعتقدت فيها الاخلاص قد خانتي وهتكت عرضي لأجل المال
- نهض توماس وقد اعتراه الانذهال مما سمعه فآبى بكأسين وزجاجة من الكونياك ووضعها على الخوان وسكب كأساً وقدمه لجون قائلاً : فلنشرب نخب صحتك . . .
- لا أنسى قط الجميل الذي صنمه والدك لنا . . .

بعد هنية قال جون : ألا ترى أن مرافقتك لي في رحلتي أفضل من الإقامة في هذا الكوخ الحقير ؟

— أنا لا أترك بلادي وموطن آبائي ...

— عجباً ! ظني أنك تلمي طلبي بلا تردد ...

— إن أمراً جوهرياً يحول دون تلبية

— إذا كان لك خلية فاصطحبها

— كان لي خلية من قرية شوفان . أنت تعلم أن شوفان بيعت لأحد المليونيين .

وكانت كاترين ( خليلتي ) ابنة أحد باعة الجرائد الذين يؤمون القصر وهي بارعة في الجمال . وقد عشقها أحد الحراس واستأهلها فقطعت العلائق بيني وبينها مع أنها وعدتني بالاقتران بها ... يالها من وعود باطلة ... لن أمس شعرة من رأسها ما دمت حياً . فلتزوج من تشاء ... إلا أن أمراً خطيراً يحول دون قبولي وهي ضعيفة ...

— على من ؟

فلاً توماس كأساً من الكونديك وقال بعد تفكير عميق : بلير يقيم الآن في

قرية فلين وهو يحترف قطع الأخشاب

— هل هو متزوج ؟

— نعم تزوج بأمرأة بريطانية ( من بريطانيا في فرنسا ) لآحسن التكلم

بالفرنسية إلا قليلاً وهي أرملة توفي زوجها على أثر حادثة

— ماذا تعمل هي ؟

— تعتنى بقرتين وليس لهما أولاد ...

— هل يحترف القنص خفية ؟

— نادراً لأن العيون عديدة

— لماذا ترك البلاد ؟

— في منصف إحدى الليالي كنا في غابات شوفان جالسين تحت ضوء القمر وكان

بلير بعيداً عني يبسط ياقاته المبتلة على العشب . اطلقت عياراً نجأني حالاً . فقلت

له : فلنبرح المكان لأن نفسي تحدثني بسوء . فلم يصيح لقولي . فذهبت وحدي

على جواد سارني إلى المنزل ولم تأت الثالثة صباحاً حتى كنت في فراشي ناعماً . صارت

الثامنة وبلير لم يعد بعد فأوجست شراً وخشيت أن يكون قد دوهم في تلك الليلة

بعصبية فأخذت أبحث عنه فلم أجده . فإورتني الطون وقلقت كثيراً عليه وكان كالي « فينو » يساعدني في البحث

« طال البحث ولم تمض ساعة حتى قفز الكلب بقرب حفرة وأخذ ينبح نباحاً مؤلماً فارتعدت فرئسي وتصيب العرق البارد من جبيني . فذهبت إلى حيث كان الكلب فوجدت بليز ماني على الأرض بلا حراك . فأعتقدت أنه مات . فأخذت قليلاً من الماء ورششته على وجهه فلم يتحرك فخرق فؤادي وأخذت زجاجة الزبد التي كانت معي وأديتها من فمه فأنعش قليلاً وفتح عينيه مندهلاً وقد شابه الأموات » والمسافة بين شوفان وبوتوشيان ثلاث ساعات على الأقدام . فأسرعت في العودة إلى قرية سوفاجير تاركاً إياه بحراسة فينو . وهناك أعطاني الأب فوكار عربة فذهبت من لينايه معي ونقلناه إلى الكوخ . ولما حانت الساعة العاشرة كان على فراشه وقد أنهك الألم فواه

« مضت ثلاثة أسابيع على تلك الحادثة وأنا أجهل السبب الذي جعله عرضة لخطر القتل . فكان يجيئني إذا سألته : أنت ستنتقم لي وأنا لا أريد فأقسمت أنه إذا مات أخي أداب على قطع دار الأشقياء الذين اغتالوه »  
توقف توداس عن الكلام وأخذ يلهث كمن أصابته نوبة عصبية ثم استمر في حديثه فقال :

وكان بليز لا يحمل بندقية أو أي سلاح آخر . ولدى مغادرتي المكان جاءت قوة من الحراس وقبضوا عليه . فقال رئيسهم : انظروا إلى هذا الشقي فإنه أحد أفراد رفين . ثم انقضوا على أخي وهو بدون سلاح يدافع به عن نفسه وأخنوه بالجراح . فأخذ يصبح حتى أغمي عليه فتركوه لاعتقادهم بأنه مات وبعد مدة أفاق من إغمائه وزحف إلى الحفرة حيث وجدته . والحقيقة أي لولم أت لنجدته لمات . أما الحراس فلم يصبهم أذى ولم ينزعج خاطرهم كأنهم لم يأتوا أمر عظيم . فأخذت والذتي تعني به حتى شفي

— والحراس ؟

— لم نعرف أسماءهم . ثم ليس لما يثبت جرمهم واعتداهم

— ماذا سمعت عنهم بعد مرور الحادثة ؟

— لم يتأثروا وظلت جرمهم تحت ستار الخفاء . وقد سمعت أن رئيسهم سيقترن

بكاترين في شهر يونيو المقبل . لنبدأ الحقواضراً عظيماً بأخي وسببوا وفاة والدتي  
فأنا على أترهم لأعاقبهم على ما اقترفت يديانهم . هذا أيها العزيز ما يحملني على الرفض  
وقبل أن ينصرف جون قال لتوماس : اداً بلينز يقيم في فلين ؟

— وهي بقرب شانتلي وعلى بعد فرسخين من سانلي

— هل هو راض بمعيشته ؟

— بدون شك لأن معيشة القرى لا تحتاج إلى الكثير من المال

— أودعك الآن

— الوداع يا عزيزي . . .

— متى أراك ؟

— لا أعلم

عندئذ ارتعدت فرائص جون ليكنه أحس في تأثره . ثم صاحفه وذهب في سبيله  
وعند الظهور وصل إلى سونلي وكان الأب تونيليه في مزرعته جالسا على مقعد  
فقام متوكئاً على عصاه وذهب لمقابلة صهره وبال له معتذراً : لم أذهب لزيارتك  
لأنني كنت مريضاً . . . . .

— بلغ إلي ذلك

— وزير لم لم تأت معك ؟

— إنها تبتني بالاطفال كما تعلم ..

— ننتظر هنا قليلاً ريثما تبسط المائدة . لم تخبرني عن سبب بيع المزرعة ؟

فهي حديث القوم اليوم . . . ماذا حملك على بيعها ؟

— المعيشة في باريز

— الذي أراه وأسمعه أن باريس مدينة الاقتصاد

وفي نفس هذا المساء ذهب جون إلى محطة الشمال وركب في أول قطار إلى

شانتلي وبدأ عند زوغ الفجر يبحث عن منزل بلينز المسكين . ولم تأت الخامسة

صباحاً حتى قابل جون متنزهاً فسأله تائلا : هل تعلم الطريق المؤدي إلى فلين !

— أغريب أنت ؟

— أنا من باريس

— كيف تأت إلى هنا بدون دليل يرشدك لأن الغابات هنا كثيرة . سارافتك

إلى القرية المذكورة ... وماذا تبتغي فيها ؟

— أُرغب مشاهدة صديق فيها يحترف قطع الأخشاب

— هل أنت من نيفر فأني على معرفة تامة بهذه البلاد ؟

— لملك نشأت منها ؟

— إني أمتلك قطعة منها ؟

— أسمح لي بالسؤال عن الجهة التي تمتلكها ؟

— في ضواحي بوسي وهو قصر تركته على أثر نكبة أصابتنني فزهدت بالدنيا

وكرهت الحياة ...

فتذكر جون الحادثة التي أشار إليها الرجل وقد قرأها في إحدى أعمدة

الجرائد بأحرف كبيرة وهذا تحرير خبرها

### مبارزة غريبة

فاجأ الكونت دي بوسي لابريل زوجته البارعة في الجمل مع ضابط حسن  
البزة وهو يغازلها ويحاطبها بأقوال سائنة فاعترض بينهما ودعا الضابط إلى مبارزته  
وكان ذلك في يوم صفا أديمه . وحضر إذ ذاك عشرة من الشهود فقام الكونت  
إلى مبارزة خصمه وكان ماهراً في ضرب الحسام فانطلق كالباشق على فريسته وضره  
ضربة قاضية فخرج السيف يلعب من بين جنبه وقضى الضابط نحبه ضحية الحب  
( شاهد )

وتذكر فقرة قرأها في جريدة أخرى بعد مرور شهرين وهي بصها :

### انتحار غريب

تذكر القراء بالحادثة التي مرت عليهم في يوم . . . . . وذاكر المبارزة التي دارت  
رحاها بين الكونت دي بوسي والضابط . . . . . ( رحمه الله )

ونأني الآن على ذكر نبأ انتحار غريب وهو :

أثر في زوجة الكونت موت عشيقها وزهدت بالدنيا واعتزلت العالم إلى دير .  
ولسكنها بعد شهر ونصف من إقامتها في الدير بعثت إلى زوجها تطلب الصفح فلم

يقبل فألحت في الأمر فرفض فتجرت كمية من المورفين تجرت معها  
غصص المنون ما

حوادث محلية

كان جون يعلم جيداً قصر بوسي الفخم وقد أصبح الآن قفراً وانتشرت في  
حدائقه النباتات البرية

سببت هذه الحادثة المؤلمة انقلاباً عظيماً في حياة الكونت كما أن حادثة جون  
أعمت بصيرته

استولى السكون عليهما في سيرهما حتى وصلا إلى غابة شانتي . فتوقف  
الكونت وقال : سأفترق عنك عند منمطف هذا الطريق وأنت تذهب من هذه  
الجهة نواً إلى فلين . . .

فقال جون : شكراً لك يا عزيزي الكونت وأتمنى لك راحة وطمانينة  
فانذهل الكونت وقال : كيف عرفت اسمي ؟

— أعتقد أنه كان لي الشرف من قبل بمقابلة الكونت بوسي السعيد  
— بل قل ذلك الرجل التمس البائس . . .

ثم أسرع الخطى ليخفي مبلغ تأثره وترك جون ردون سائراً  
في الساعة السابعة صباحاً وصل جون إلى فلين فأبصر بليز يخرج من منزله  
ومعه أدوات القطع فصاح فيه قائلاً : بليز

فالتفت الرجل وقال منذهلاً : كيف هذا ؟ أهنا أنت يا جون ؟

— جئت لزيارتك . . .

وكانت زوجة بليز تغسل ملابسها في حوض ماء قريب فتمحادث الرجلان ردحاً  
من الزمن . ثم دخلت زوجة بليز فخاذر جون من تنمة الحديث لثلاث سمعه  
فقال له بليز :

— أتم حديثك . فانها لا تفقه الفرنسية جيداً

— يجب ألا يكون في العالم سواك يعلم بمنشأ وسر هذه الطفلة ؟ ( يعني

الطفلة ريموند التي ليست منه )

— حسناً

— والمراسلة تكون باسم مستعار يحفظ في شبك البريد

— فليكن أمرك مطاعاً

- سأترك لك مئتي ألف فرنك  
 — إن المبلغ كبير جداً...  
 — أُرغب أن تعطني بها كثيراً... هل فهمت؟  
 — كن مطمئناً  
 — سأوافيك ببقية المعلومات عند ما استقر في أي بلدة  
 — حسناً  
 — لقد تقرر كل شيء في هذه الورقة ولا ينبغي أن يعلم بها أحد غيرك .  
 وليكن أمرها مكتوماً حتى عن زوجتك  
 — سمعاً وطاعة  
 -- الوداع الآن . ستجدني قبل الخامسة مساءً في محطة الشمال  
 -- سأكون في انتظارك هناك  
 ثم افترقا فسار جون في طريق شاتلي محترقاً الغابة الشامسة حتى وصل إلى  
 المحطة فركب القطار السريع إلى باريس  
 وفي الساعة الحادية عشرة قدم حوالة (تشانكا) إلى مصرف فيرناو قبض مائة  
 ألف فرنك وهي كل ثروته الحالية . فذهب إلى مخازن اللوفر واشترى ملابس  
 لطفليته أرسل إحداها إلى بليز والأخرى إلى جيس رون ( اسمه المستعار ) وفي  
 الساعة الثالثة كان جون قد استتم كل معدات الرحيل فقصده إلى منزله في شارع  
 سان سيمون  
 وكانت عربة تنتظره خارجاً فتنفس الصعداء ودخل إلى منزله

## الفصل العاشر

### المفاجأة

كانت السكينة باسطة أجنحتها على المنزل . لأن الطفلتين قد ذهبتا مع الخادمة  
 إلى الزهرة كالمعتاد  
 فاقرب جون من غرفة زوجته ماشياً على أطراف أصابعه كي لا يسبب ازطاجها  
 وكانت وقتئذ جالسة بقرب مكتبها تكتب رسالة فأخذت غلافها وأرادت أن تكتب

عنوان المرسل إليه ففاجأها زوجها بغتة فقامت مذعورة وبأسرع من لمح البصر قبضت على الرسالة بشدة واقتربت من النافذة ثم أدارت وجهها نحو زوجها فتواجهها وشخصت الأعين . وكانت عينا الزوجة ممزوجتين بالعب وعينا الزوج بالاحتقار والأسف دون الحقد

لأن الجمال لا يحقد عليه

هدأ روع تربز بعد برهة ساد فيها السكون وثبت الزوج واقفاً كالتمثال الصامت فبادرته بقول يمازجه الألم : كيف تعود إلى باريس من غير أن تنبئني بقدمك؟ .. — لا تلميني يا حبيبتي وقد فرغت من عملي كله وأنت في أول قطار وها قد وصلت فوجدت الأبواب مفتوحة فلم أسدث أي حركة لعلمي بل لو المذكان... لقد سببت لك انزعاجاً أليس كذلك؟

وكان العناية الإلهية قد حفظت في ذلك الوحش البشري علاماً الهدوء مما طمان فؤاد الزوجة فقامت : لقد زال الخوف والحمد لله — لم يكن ما فعلته عمداً

تغاضى حوزن عن الرسالة التي أحتمتها زوجته في يدها وقال بما سكوت طويل:

لا بد أنك توهمت اصماً باغتك

— وتوهمت أيضاً أنه سيجهز عليّ . . .

— وصلت إلى سوفاجير متأخراً

— أظن أنها صالحة للانامة فيها :

-- نعم ولا سيما في هذا الفصل

— ومزارعوها ؟

— رحبوا بي وقلوبهم مملأى من المواطن الحققة

— وأبي ؟

— يتمتع بصحة جيدة رغم آلامه التي يعانها . وقد تناولنا الطعام معاً في

المزرعة وأظهر تأثره لدى علمه ببيع المزرعة

— هل وجدت شارياً للمزرعة ؟

— نعم

— من هو يا ترى ؟

- صاحب المعامل الحربية في ليون الذي تكلم عنه بوشين من عهد قريب وهو يرغب في شراء المزرعة بأعلى ثمن وقد رضخت إجابة لطلبك لأننا لن نعود إلى سوفاجير مرة أخرى
- لقد قضي الامر إذا ؟ ؟ ؟
- نعم
- ألم تأسف على ذلك ؟
- أسفت ولكن أسفي زال برويتك . . .
- هل أنت تضحي بكل ذلك من أجلي ؟
- نعم لكي أشتري لك فيلا في تروفيل مثلاً . . .
- أنت طيب القلب . . .
- هنالك تنالين حريتك التامة . . .
- لماذا تعرض بالحرية هل شكوت لك أمر حريتي
- لأعلم . . . أمر بسيط . . . لاسيما والتنزه بين الأشجار والخضرة ميسور لامرأة جميلة مثلك فتصحب معها أطفالها . . . وإذا كان في الخفاء مداعبة العشاق . . .
- مداعبة عشاق . . . أفصح في قولك . فانك ترعبنى . . .
- إلى متى تمكربن
- ماذا تعني ؟ والى متى تشير
- لمن كنت تكتبين حين دخولي ؟
- لم أكن أتوقع منك سؤالاً كهذا ؟
- لقد كنت أعتقد فيك شخصاً آخر فلا أتوقع منك تجافياً كهذا كأني غريب عنك . . . هل فهمت الآن ؟
- ألت مخيرة أن أكتب لمن أشاء ؟ . . . ألم أطعك طاعة عمياء منذ
- افترت بي ؟ . . .
- لقد أشبعتيني بأباطل وترهات
- وبلاه لقد ضاعت ثقتك بي . . . لم تعد الاقامة معك لتطيب
- سأفترق عنك في أقرب وقت . إنما لا بد في مثل هذه المدن الراقية من براهين ثابتة تؤيد خيانتك لي . . . أريني هذه الرسالة

— لاتلح عليّ في أخذها وإلا تنتهي كل صلة بيننا  
عندئذ اقرب جون من زوجته ووضع يده على كاهلها وقال بحدة : هاتي  
الرسالة . . . حالا . . .

ولما لم تصدع بأمره قبض على ذراعها بعنف . فعلت أن لاقائدة من  
مقاومته ورمت بالرسالة على السجاد وقالت بازدراء : انك تفتصب مني الرسالة  
اغتصاباً فهذا جبن

ثم اسنلقت على فوتيل وفقدت صوابها من فرط الانزطاج . فانحني جون  
وأخذ الرسالة وقرأ ما فيها بصوت عال :

حبيبي العزيز

لقد فكرت في الأمر منذ تقابلنا أخيراً وألميت نفسي غير قادرة على مغادرة  
طفلي الأخرى التي هي فلذة كبدي . لأن الوالدة التي ترك إبنها حديثه السن  
لا تمد والدة . . .

أحبك بل أعبدك

أحبك ولا أعبد سواك والنتيجة خير دليل

أحبك فوق نفسي وإرادتي وحواسي حتى فوق الحياة والشرف بل فوق  
طفاتي . ونبضات فؤادي متوقفة على وجودك بقربي فاذا افرقت عني توقفت  
حركتها . أهبك نفسي وفؤادي وعقلي وجسمي وكل ما أملكه رهن اشارتك  
ياحبيبي لتلقي نظرة إلى المستقبل فاني أحشى خفاياه . . .

وفي الختام تأكد أن ريموند التي تزداد جمالا من يوم لآخر قد أذكرتني  
بالليلة التي تقابلنا معاً وكنت أقبل نورك الشهوي فاذا عانتها تخيل لي أني أعانقك  
وأقبلك ايها الحبيب و . . . . .

المفتونة بجمالك

تريز

أفاقت تريز وكانت قد سمعت الجملة الأخيرة التي حذفناها مراعاة للأدب الشرقي  
فأخفت وجهها بين يديها من فرط الخجل والحياء . أما جون فجعل يضحك كأنه  
أصيب بنوبة جنون وسألها : ما اسم عشيقك ؟

— ليس لي عشيق

— أعني اسم الرجل الذي كتبت إليه الرسالة

— لا أريد أن تعلمه . . .

— أعني بالأحرى والد ريموند الطبيعي؟ . . . أليس هو ريمون؟

فحملت في زوجها وقالت: لقد علمت الأمر قبل الآن؟

— علمت كل شيء. ألم تقابليه في شارع باك في النزل الممد لاجتماعكما؟

وذلك يوم السبت في الساعة الثالثة بعد الظهر . . . لقد كنت هناك وسمعت

كل شيء. وكل كلمة تنفوست بها لم تزل منقوشة على صفحات صدري لقد كان

يهواك نفيذه . . . ما اسمه؟

— أقتلني فلا أبوح باسمه

— لم هذا العناد؟ فلا بد أن أعلمه بعيد حين. لأنني لأكثر بالرجل

الذي أغواك . . .

— جون. أنك تمزق جوارحي . . .

— تكلمي إذا رجعت حميد العاقبة

— يدعى الماركيز دي بورد

فأخذها جور من يدها وأجلسها على مقعد بقرب المكتب وقال لها بلهجة

الآمر: أكتبني

— ماذا أكتب؟

— الذي سأمليه عليك وهو: أشهد بأن سمو الماركيز ريمون دي بورد هو

عشيقى وقد مضى على ذلك طمان وهو بدون شك والد ريمون. وكان زوجي

خائباً مدة ولادة الطلة

تحريراً في باريس في ٢٣ يونيو سنة ١٨٧٦

كتبت تريز هذا الأقرار بيد مرتجفة. فقال لها جون: ضعي إمضائك

الكريم فأطاعت وكتبت: تريز تونيليه زوجة جون ردون

— الآن الوداع . . .

— إلى أين؟

— إلى قرار التمساء

— متى أراك؟

— لا أعلم

— وحدك

— لست على عزم أن . . .

— والطفلتان ؟

— سأخذ طنلتي

— والأخرى ؟

— لا أعلم إلى أين آخذها . . .

— ستركزي إدا ؟

— أليس عشيتك كافياً . ألا تعلمين بأن ذكر غرامك هذا قد بلغ مسامع

موظفي الوزارة فصار حديثهم دائماً عنك وعن عشيتك

— حقاً أي ارتكبت حقيرة لا تفتخر . . .

— ماذا يفيدني إنزارك أو توبتك ؟ الآن سأغادرك لأن باريس قد

أفسدتك فأدبجت أنا الحائل أمام مقامك

فقامت تزين كأنها تعلمت شرأ وهمت في الخروج فأوقفها جون قائلاً : إلى

أين ؟

— إلى حدائق التويلري لأخذ طنلتي قبل تنفيذ انتقامك

— وماذا تعنين بعد ذلك ؟

— أدافع عنهما حتى الموت . . .

— هالي ومن نسلي

— هاً أيضاً من دمي . لن تأخذها حتى أفارق هذه الحياة . . .

— بل أفعل رغماً عنك . . .

— أنك وحش ضار . . .

— إن الذي سأفعله إرواء لغلة انتقامي . . .

عندئذ دفع جون زوجته إلى داخل المنزل وخرج بعد أن أوصد الباب

وراءه وانطلق بعربته إلى حدائق التويلري

لم تكن الساعة الرابعة ونصف حتى وقفت العربة أمام مدخل الحديقة المواجه

لشارع كاستجليون وكانت الطفلتان تلعبان فأخذ جون من جيبه رسالة وأعطاهما

للخادمة قائلاً : سلميها ليد أحد أصدقائي في سان أونوري بقرب الاليزه وانتظري

منه رداً

— والطفلتان

— سأعتني بهما ريثما تعودين . . . .

فذهبت الخادمة وهي لا تدري ما يدور في خلده ولما عادت لم تجد جون فبحثت عن الطفلتين فلم تجدهما فعادت إلى المنزل وطرقت الباب فلم يفتح ففتحته بعد الجهد وقصدت إلى غرفة سيدتها فوجدتها على أرض الغرفة تن وقد أفاقت من إغمائها

في تلك اللحظة كان القطار السريع القائم من الهافر يقل جون دون مصحوبا بابنتيه

## الفصل الحادى عشر

### الفرار

ركب جون عربة ومعه طفلاته فسارت بهم إلى محطة الشمال وقد عقد النية على عدم العودة إلى باريس ثانية واذا اضطر أن يعود إليها يجب أن يغير ملاحه حتى لا يعرفه أحد

وقفت العربة أمام المحطة فنزل جون وحده تاركا الطفلتين بعناية زوجة بليز وأخذ بليز على انفراد وقال له : يجب أن يبقى السر مكتوما ؟

— لا تخش بأساً فاني أحافظ عليه أكثر من محافظتي على حياتي

— لأنني أخشى أن تعلم والدتها مقرها وتأتيك فتأخذها عنوة ؟ . .

— لا تخف

— سموها سوزان دائماً . . . هل تكفي النقود التي معك ؟

— تكفي أكثر من أربعة أعوام لأن معيشة القرى لا تستنفد كثيراً من النفقات .

— إذا احتجت مزيداً من المال أرسله إليك

ثم اقترب جون من العربة وسأل جان : هل تحبين شقيقتك يا جان ؟

فلم تجب إلا أنها قبضت على يد ريموند ولثمتها فشمع جون كأنه سكيناً اخترق

فؤاده فهو يسمى الآن بتفريق شقيقتين ليعذب زوجته ويؤنب العاشق على عمله

ألم يفه المرئيز بهذه المباراة : يجب أن آخذ هذه الطفلة (ريموند) التي هي من دمي. لقد عيل صبري بابتعادي عنها

جون ينتقم . . . ينتقم من الذين خدعوه . . . سيلقون جزاءهم شر ما يستحقون . . . جون لا يترك ريموند لرحمة القضاء بل يضعها بعناية بليز الذي يعني بها كابنة له حتى يحين الوقت للاحتماع بشقيقتها  
جون لا يريد لها الشقاء ولن يخبرها مطلقاً بسر ولادتها

مرت هذه التخييلات على جون دون أن ينثني عزمه فقال لجان : طاقبي ريموند فأنحنت نحوها وقبلتها مراراً وهي تذرف الدموع السخينة فأعطى جون الطفلة ريموند لزوجة بليز وركب العربة وقال للحوذي : إلى محطة سان لازار هناك أسرع جون في ركوب القطار السريع لكنه ألقى نظرة أخيرة إلى جهة المنزل الذي في شارع سان سيمون وتمم حزياً : ألا أراها ثانية ؟  
فكأنه بذلك ينسى الوصمة الشائنة التي ألصقتها به ويتمنى عودة الغرام ولياليه التي كان يقضيها مع محبوبته نريز

ألم تخلد صورتها في فؤاده منذ أعوام مضت حتى رسخت في ذهنه ؟؟؟  
في الساعة الحادية عشر ونصف كان جون ينظر مع ابنته على شاطئ البحر في نغر الهافر

ركب جون سفينة الهافر بعد أن أودع حقائبه فيها وكانت جان لاتكف عن البكاء

ماذا يقول لهذه الطفلة الصغيرة وهي لاتدري شيئاً  
بعد برهة من الزمان سمع صغيراً يؤذن باقلاع السفينة ثم ما لبثت أن نخرت عباب البحر قاصدة إلى الدنيا الجديدة فشعرت جان برعدة اعترت جميع أعصابها كأنها أحست بوحشة الفراق فقالت : أبتاه ! أين والفتي ؟ إنني أريدها فأجابه بصوت هاديء : تشجني يا جان . . . لن نراها بعد الآن فقد توفاه الله

في صبيحة اليوم التالي كانت تبرز جالسة على مقعد وقد أصابها ضعف شديد وهي تؤمل عودة زوجها أو أي نبأ يفيدها عن مركز إقامته . ولما طال انتظارها استسلمت إلى اليأس ثم انتبهت فجأة لدخول الخادمة ومعها إيصال بريدي لمراسلة

مسجلة فأمضت عليه وأخذت الرسالة ومسحتها فوجدت داخلها عشرة آلاف فرنك  
ورسالة قصيرة كتبها جون في براس قبل مبارحته لها وهي :

تريز

لقد أحببتك حباً صادقاً ولا زلت محفظاً على عهدته الوثيق وهو السبب الذي

حملني على الفرار والتغرب

اصطحب في رحلتي الطفلة ليزي اللاتين كانتا سبباً لسعادتك . ولكن لا بد من أن

تنألي حتى يغفر الله شفوتك

كان يجب أن أحتد على إحدى الطفلين !! !

لكن قابي لم يخلق للحدود

إني ذاهب إلى عالم الراحة وخلق السال

إلى أي جهة ؟

من أجد هناك ؟

الله ( عز وجل ) يعلم ما تكن صنعته الفأوب

سأشهر طفلتيك أنك لست من سكان هذا العالم

الوداع إلى الأبد يا تريز

إني أحبك لأن الحب الحقيقي المغربي منذ الألفية لا يزول بسهولة

حبيبك التعس

جون

بعد تلاوة هذه الرسالة صاحت تريز بصوت مرعب قائلة : جان . . . ريموند . . .

طفلتاي . . . أينكما لأطوقكما بذراعي ؟ أنا البائسة التعسة . . .

ثم وهنت قواها وهوت إلى الأرض فائدة الصواب

## الفصل الثاني عشر

عاشق وخليته

ساور اليأس تريز بعد رحيل زوجها واصابتها حمى متناوبة

وصرح دي بورد يقع بين الحدائق الواسعة في شارع بابلون وهو مبني

على طراز عصر لويس السادس عشر . ووالدة المركز تبلغ الحسنيين من العمر وهي تطلق لابنها حريته التامة

أما المركز فيمتلك ثروة وافرة نالها بالوراثة من أبيه وعممة له توفيت قبل والده ببضعة أشهر . وهو طلق المحيا يوقر والدته ولا يخالف من أوامرها حرفاً واحداً وله قرابة بعيدة بالكونت بوسي . إنما الائتلاف بين العائلتين وثيق ومن زوار الكونت في نسكه المركز الذي يسمى في تسليية همومه بعد مصابه الأليم . وهو أصغر سنناً من الكونت

بعد مرور يوم من مفارقة جون باريس كان المركز عائداً من زيارة الكونت في منزله المنفرد ولدى وصوله الى صرحه أتاه الخادم برسالة تحتوي على هذه الكلمات : تعال فاني في وحدة

فوجم المركز والتفت نحو خادمه مستفهماً وقال : متى جيء بهذه الرسالة؟

-- في الساعة الثامنة

وكانت الساعة إذ ذاك حوالى الحادية عشر

-- من جاء بها ؟

— خادمة شاة

— ألم تخبرك شيئاً ؟

-- لا شيء ! هو المركز . إنما همست في أذني بضع كلمات

— أتعرف هذه الفتاة ؟

-- جيداً

— متى تعرفت بها ؟

— كانت تعمل عند قاض وهي من نيفر بلادنا

— وهذا المصائب الذي تشير إليه ألم تخبرك عنه ؟

— كلا . وإنما أدركت أن زوج تريز قد هجرها يصحب طفليته . وقد

صابتها بعد ذلك نوبة عصبية شديدة . . .

فلم يتمهل المركز دقيقة بل تدثر بردائه وأخذ عصاه وركب عربته فسارت

4 بمنتهى السرعة

لم يدر المرکز الحقیقة . وما السبب الذي أفضى إلى هذا النزاع بین جون وزوجته . . . ولماذا اصطحب الطفلتین اللتین لا تزالان فی احتیاج إلى عناية والتهما؟ وكيف تكون نتیجة هذا التصرف الغریب؟ لا تزال الحقیقة أمام بصره تامة الغموض

ثم مد لویس ( خادم المرکز ) یده إلى آنية السیکار وأخذ سیکاراً وأشعله ثم تتم فی نفسه : هوذا السبب الذي جعل جون حزیناً مکتئباً منذ بضعة أيام وصلت العربیة إلى منزل جون فسأل المرکز البواب عن مكان إقامة تریز فأجاب : « فی الطبقة الثالثة إلى الیمین » فصعد فی سلم المنزل وطرق بابه ففتحت له الخادمة وملاحظها تدل على الاضطراب والقلق فسألته قائلة : سعادة المرکز دي بورد؟

— أنا هو

— أدخل فان سیدی تنتظرک بفارغ الصبر

كانت تریز جالسة على مقعد بقرب النافذة تسترق خطوات المارة عسى أن ترى زوجها عائداً وقد زاده تبكیت الضمیر حزناً على ألمه انكبت تریز على عنق عشیقها وطوقته بذراعیها وتمتمت بقلب حزین : لقد علم كل شيء واصطحب الطفلتین معه . . . .

فأعطته رسالة زوجها وبعده تلاوتها جثا أمامها وقال بصوت عذب : لا فائدة من البكاء . قصي علي ما حدث

ولما لم تجبه طوقها بذراعیه وقال : إنا هجرک هو فأنا لأزال لیدیک فی کل حین . فقصت علیه ما حدث وما قاله لها زوجها من الكلام الجارح وأن لا وسیلة لاقتفاء أثره

لا وسیلة لاقامة المشا کل مع رجل أصبح غیر منظور وقد هاجر إلى بلاد بعيدة فتاه بین طبقات البشر التي لا تحصى

\*\*\*

مضي على هذا الحادث المؤلّم خمسة عشر يوماً أصبحت تریز بعدها هزيلة

الجسم من جراء اليأس . وقد أظهر لها المركز أخلص المودة والصداقة والهيام  
تكان لا يفارقها ليل نهار

وفي مساء يوم قالت تزين لعشيقتها بلهجة المتوسل : رجائي أن  
تأخذني معك

— إلى أين ؟

— حينما تشاء . لا أريد الإقامة في هذا المكان

— لقد فكرت في ذلك الأمر من قبل . فهيا بنا . . .

فاستجمعت تزين قواها وركبت العربة مع المركز إلى شارع باك  
وكان في المنزل ذي الحديقة الغناء خادمة عاملة تهتم بشؤون المطبخ . أما  
خادمة تزين فتقوم بخدمتها أيضاً كي تتم راحتها وهناءها

بعد هنيهة قال المركز : أت هنا في منزلك فإذا لم تطب لك الإقامة فيه  
فلنذهب إلى مكان آخر

— سأكون : سرورة إذا أحببتني

فضمها المركز إلى صدره وقال بحنو : إلى الأبد . إني أعبدك وأهواك  
مادمت حياً . . . .

## الفصل الثالث عشر

### إنتقام الأندال

ان غابات المورفان كما هو معلوم من أوسع البلاد الفرنسية فانها تحفظ  
رونق الوحدة بين أشجارها الباسقة التي تمتد إلى مسافات شاسعة . والانسان  
إذا تجوز في داخلها لا بد أن يتوه لأنه لا يجد أمامه غير الآكام الجبلية والهضاب  
القليلة الارتفاع المرقطة بالعمخور السوداء والمخططة بالطرق الوعرة والمجاري  
السريمة التي تتدفق أحياناً بسيل جارفة وتمدهمضت فيها بضع أبراج مهجورة  
أناخ عليها الدهر بكلكله فباتت مأوى الزحافات السامة والطيور الجارحة  
والغربان الناعبة

ووصف أهلها بالمناد وإصالة الرأي وتصلبه والشجاعة وشراسة الخلق  
أما توماس رفين فقد جمع بين الصفات الحسنة والمستهجنة . فهو جبار  
وقنوع وشجاع لا يذلل جدير بالأعمال الشاقة ومخلص لاصدقائه يحقد على  
من سبب له أي شقاء

كان حقه على رئيس الحراس أعظم بكثير من حقه على بقية الحراس  
كما أن ولعه بالصيد كان أعظم من حبه لكاترين ( خليفته )  
وزادت الضغائن بينه وبين الحراس لأن الرئيس المنوره عنه سيقادرن بحبيبه  
أجلاً أو عاجلاً . فاستولت عليه الغيرة وإن تكن ليست من أهيات طبعه كحب  
التشبع بأخذ النار

لم يقل ذلك السافل بمد أن انقض على بلبلز وألقاه صريعاً : لقد أراحنا  
هذا الرجل من سيئاته

— لقد أخطأ لأن لهذا الرجل أماً ودوداً آتياً لنجدته ولو حالت بينهما

السبل الصواب

لقد حان الوقت بل قد أذنت الساعة الرهيبة ليسفك دماً . . .

\*\*\*

قيّد توماس إلى السجن وهو سائر الحاش وقد قال بمد هنيئة رداً على  
أسئلة القضاة : لن أبوح بشيء . . . عليكم بأدلة قاطعة نذت جريمتي  
إن أحد الحراس الثلاثة قال وهو بلفظ الروح للذين كانوا يعمنون، به مشيراً

الى قاتله : إن قاتلي هو توماس رفين

بعد دخول المتهم إلى قاعة المحكمة في نيفر حدث أمر لم يكن بالحسبان  
وهو أن توماس رحل واتجه نحو مقعد . وبينما كان يخرق صفوف الجمهور  
اقرب منه رجل في الثلاثين من العمر ووضع في يده شيئاً لم ينظره حراس المتهم  
قام للمدافعة عن هذا المجرم الشهير المتهم بثلاث جرائم قتل محام وقد وثق

بنجاح مهمته

وبين الشهود شابة مرتدية بملابس الحداد ذات شعر أشقر قالت : لم أر  
شيئاً ولا أجزم بأنه هو القاتل

ولما ترددت الأسملة على المتهم أجاب : من السهل أن يلتقي على المرء عبء جريمة ولا سما من شخص يفضه . لا أدافع عن تسمي إلا إذا ثبت جلياً صحة ما يزعمون

عندئذ سأله الرئيس : هل لديك ما تدافع به أبها المتهم ؟

قهنض توماس بالرغم من إلحاح المحامي ( الذي خشي أن تصدر من المتهم كلمة تفسد بها خطته وتعود عليه بسوء العاقبة ) وقال بكل جرأة : إن سكوتي لا يفيدكم بل يزيد غموض القضية . لكن لا بد أن تعلموا الحقيقة . أنا هو قاتل الحراس الثلاثة في غابات شفان . . .

ثم توقف قليلاً كأنه يلتمس الراحة فتطاوالت الأعناق لسماع بقية إقراره الهائل . فتابع توماس حديثه بتبات جأش وقال : لقد أطلقت عيارين نارين على حارسين فأصبتهما وخذت الثالث

فهمس المحامي في أذن القاتل قائلاً : إنك ساع إلى حتفك بظنك فتابع توماس كلامه : لن أخشى إن قلت أن عملي هذا لا يعد جريمة بل هو عدل . أنتم تعلمون أن بلير لم يحمل سلاحاً قط . وكثيراً ما كان يقبض عليه بريئاً ويقضي أشهراً في السجن من غير ذنب . ففي ليلة ما حين كان منفرداً انقض عليه الحراس الثلاثة ( رحمهم الله ) فجأة وأخذوا بالجرّاح بل تركوه بين حي وميت مع اعتقادهم بموته . فبحشت عنه واحتملته أنا على عربة ا كتريتها من جوار فريتنا سارت بنا إلى الكوخ . هناك أخذت والدي المسكينه تعني به وقد يئسنا من شفائه . فأفسمت أن أنتقم لأخي وبعد مدة تحسنت صحته ولما شفي تماماً هجر البلاد ناسياً ما حل به ولم يسع لينتقم أمام المحاكم إذ ليس لديه أدلة قاطعة تؤيد ما قد حدث له في الغابة ولا سيما أن لصاحب المزرعة اليد الطولى لدى المحاكم

بينما كان الحراس الثلاثة في حانة « الديك العامل » وقد ثملوا من فرط الشرب اذ قام رئيسهم وقال : فلنشرّب نخب اتصارنا على ذلك النذل بلير رفين اللص . عليه أن يتوقى لنفسه حين مباغته أعدائه له

فعلت أنهم الجانون وتهيجت في نفسي عوامل الغضب ومع ذلك  
تمالكت طبعي فلم أتسرع بل انتظرت . . .

عظم حزن والدتي المسكينة في تلك المدة وانتقلت الى رحمة ربها . فأصبحت  
طليقاً . وفكرت في الانتقام . وما كان أحلاه . . . . .

ففي ليلة ليلاء كنت في المسكان الذي تعمدوا فيه الفتك بأخي وكان في  
بندقيتي عياران فأطلقتهما على اثنين من الحراس فصرعتهما وأراد الثالث أن  
يهرب فتمكنت من اللحاق به وقتلته : هنا ياشقي ذككت بأخي  
ثم خنقته ولم أتركه حتى تأكدت موته

عند ذلك كاذ توماس يلهث من شدة التأثر ثم تابع حديثه الى أن ختمه  
بهذه العبارة : هذه هي الحقيقة والآن أضع بين يديكم أمرى فتقضون  
بما تشاؤون

بعد برهة انفض المجلس وذهب القضاة للمداولة بشأن هذه القضية التي  
انكشفت غوامضها . ثم عادوا وقالوا لاضي بموت أجبش : لاسبيل إلى الدفاع  
فقد ثبت عليك جرمك بأغلبية الأصوات . . . . .

فتبسم توماس تبسم القنوط وقال : أحكموا بما يتراءى لكم فاني راض  
لكن اعلموا اني لم أنتقم إلا لأخي الذي لولا عنايتي به لمات ثم والدتي  
المسكينة التي . . . . .

وهنا لم يتمكن من ضبط عواطفه فاجهش بالبكاء حتى جعل جميع الحاضرين  
يثبتون في مكانهم كأن على رؤوسهم الطير وقد تمالكت في أفئدةهم روح الرحمة  
عندئذ قرأ الرئيس الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة . فأحس توماس كأن  
صاعقة انقضت عليه فقال : أليس بكاف أن أعد مجرماً ؟؟

ثم أخرج من حيبه شيئاً لم يتبينه أحد وبأسرع من لمح البصر أفرغ مافيه  
في صدغه فخر للحال مضرجاً بدمائه

لقد سعى المتهم إلى حتفه والرجل الذي دس المسدس في يده هو بليزأخوه  
وكيف ذلك ؟

ان المتهم طلب من أخيه قبل إلقاء القبض عليه مسدساً فلم يسمه سوى

الاجابة وفيما كان المنهم يس أنين الموت إقترب بليز منه وجثا لديه فأمسك برأسه وألتى عليه قبله الوداع إحتراماً لعمله المقدس . ثم افترق عنه دون أن يعير أحداً إلقائاً وعاد إلى منزله وقد تبدلت هيئته واعتراه صداع فجلس على مقعده واستسلم إلى تأملاته الخيفة

نشرت الجرائد ذكر حادثة شفان المريمة وذيلتها بمحادثة انتحار المجرم الشهر توماس رفين فكان لها وقع في قلوب الناس ودوى خبرها في أنحاء البلدة خلع بليز قبمته القديمة وذهب إلى قاعة الطعام وجلس مسنداً رأسه بقبضة يده وهو بصير بأسنانه حنقاً على القضاة . فسألته زوجته بلهجة عامية لاتكاد تفهم : ألم تجد شيئاً ؟

— لا شيء

— ينبغي أن تغادر هذا المكان

— إلى أين ؟

— إلى بريطانيا

— لموت جوعاً ؟

— أفضل الموت جوعاً على الإقامة في هذه البلاد . . .

— فلنعمد إداً إلى مسكن أخي توماس ؟ . .

عندئذ قام بليز من مقعده وعانق امرأته وقال : إن وجودك يزيدني سعادة ولولاك لما أقمت برهة في المنزل . ثم التفت نحو الطعلة النائمة وقال : كيف صحتها ؟

— مثل عصفور في الجنة الرحبة

— لقد تعودت معيشة القرى

فقال بليز في نفسه : إني أخشى ألا تكون سعيدة المستقبل

فقال الزوجة : ذهبت اليوم إلى الفسقية فقابلني هرمان ( الحارس )

وقال : هذه المرأة تعيش مع لص مجرم . . .

— ياله من سفیه وماذا قال أيضاً ؟

— قال : يحال لي أنها ستقرمل مرة أخرى . . .

— قد يصح كلامه لأن الانسان زائل وإذا قضت الحكمة الربانية فلا بأس . . .

ثم فتح الباب بشدة وكانت العاصفة قد بدأت تهب فقال : بعد ساعة تدلهم السماء

فقالت الزوجة : هل تخرج الليلة ؟

— أنت تعلمين أنه قد مضى علينا زهاء شهر ونحن لا نأكل من لحم الطيور

— لكنني أخشي عليك من مباغمة ذلك الألماني

— لا تتوهمي فأني أدافع عن نفسي . . .

— وإذا فتكروا بك ؟

— تعودين إلى بلادك وتنقنين من مال هذه الطفلة للعناية بها

— لنسافر كلانا إلى بريطانيا ولنصحب الطفلة معنا لأن بالي لا يطمئن

عليك مادامنا هنا

— أنا لأعارضك في رأيك لأنني أيضاً قد تضايقت من سكني هذه البلاد

— أتعذني إذا ؟

— نعم

— وألا نعرض نفسك للأخطار ؟

— إطمئني بالأ

فتح بليز الباب وخرج فجلست زوجته تفكر في قول ذلك الألماني

وتهديده فاستولى عليها القلق فقامت إلى الموقد فلم تجد فيه ناراً فمادت إلى

فراشها وحاولت أن تنام فلم تتمكن فقامت وقالت معلقة نفسها : لعله يعود . . .

ثم انتظرت طويلاً وتحول صبرها إلى جزع شديد

بزغ الفجر ولم يأت بليز فقامت زوجته وفتحت الباب وألقت نظرة إلى

المنازل المجاورة فلم تجد بليز بين العمال الذاهبين إلى الغابة لقطع الأخشاب

فذهرت وحسبت لغيابه ألف حساب

وكان نداء الطفلة قد أشغلها عن زوجها فأتها وألبستها ثيابها العادية ودعها

سوزان وهي تبلغ طامين تقريباً

أرعى الليل سدوله ولم يمد بليز إلى مأواه . . . .  
 في صبيحة اليوم التالي ذهبت المرأة إلى المنسل كعادتها فسمعت امرأة  
 تقول لجارتها : أنظري إلى مدام رفين فإها آتية . . . .  
 فاقتربت حمداً من التي ذكرت إسمها فسمعتها تقول : لماذا لم تزوجها  
 منذ يومين ؟

فرفعت رأسها وقالت لها : هل سمعت عنه شيئاً يا عزيزتي ؟  
 — سمعت أنه وجد في فلتومب رجل راقد على الاعشاب  
 — مائت ؟

— لا أوكد القول ويقال أنه أصيب بطلق نار في جسمه  
 فصاحت زوجة بليز واجفة : ويل لهم من أشقياء . . . لقد فتكوا به  
 وعادت إلى منزلها وهي تولول وطار فؤادها من عظم المصاب

## الفصل الرابع عشر

### الرحيل

كان بليز هو القاتل ملقى على ظهره وقد أصابته الرصاصة في بطنه فبقوته  
 وكان مشعاله منطقتاً وإلى جانبه طريدة من الأرانب البرية  
 أسرعت الزوجة التعمسة إلى « كروا دي بوج » وتركت الطفلة لعناية إحدى  
 جاراتها . فلما وصلت وجدت حوزياً منتظراً بعربته تحت الاشجار الباسقة  
 المجردة من الأوراق فذهبت إليه وقالت وهي تلمت : أين ؟  
 فلما رأى الحوزي وجه المرأة الشاحب علم أنها زوجة القاتل فبادرها  
 مستفهماً : أأنت زوجته ؟

فأجابته بإشارة رأسها لأن صوتها خفت لشدة التأثر فأشار إلى ناحية  
 قريبة على بعد خمس وعشرين خطوة وقال : لا يبعد أن الجاني أطلق رصاصة  
 من هذه الجهة

فعدت نحو الأكمة التي جرت عليها الحادثة فسمعت لفظاً وضوضاء ولم تفهم منها شيئاً إلى أن تبينت صوت أحد رجال الشرطة يقول : ما رأيك يا هرمان ؟

— لاشك أن مشاجرة جرت بين القتييل وخصمه فدارت عليه الدائرة  
— أفي هذا المكان أصيب ؟

— من المحتمل أن الجاني نقل قتيله من مكان الجناية إلى هنا دفماً للشبهة وقد ساعدته المقادير لأن الليلة كانت ممطرة . . .

— ألم تسمع شيئاً عند إطلاق العيار ؟

— كلا فقد كانت العاصفة شديدة ؟

— لكن منزلك على مقربة من هذا المكان ؟

— وقد كنت وقتئذ نائماً

سمعت الأرملة هنذا الحديث فوثبت نحو الجثة وجثت لديها وطوقها بذراعيها وصاحت : مسكين يا حبيبي بليز . أرددوك ونفثوا تمومهم في روحك الطاهرة

ثم التفتت نحو الألماني وصاحت في وجهه : مجرم . مجرم أنت . . .

وأشارت إليه بيدها وقالت للشرطي بجدة : أقسم لك أنه . . .

فشعر الحارس برعدة زلزلت حواسه ولكنه تملك روعه وقال : هذه المرأة قد أختل شعورها . . . ما الفائدة من الفتك بصعلوك ؟ إذ لو فاجأته يرتكب

جريمة لقبضت عليه وسلمته ليدالعدالة لينال العقاب الذي يستحقه

هجم الليل بجيوشه الجرارة ولم يعثر الشرطة على الجاني

نقلت جثته على لوح من الخشب إلى منزله وتبعه جمع غفير من رجال الحي

وبعد ظهر ذلك اليوم شيعت جنازته فسارت زوجته وراء نعشه حتى

المقبرة . وهناك وضعت صليباً صغيراً وبعض الزهور وبكت بكاء يتفقت له

الجلود حزناً وأسى على تلك المخلوقة التمسع

باعث كل ما لديها من أثاث وغيره وتركت منزلها ومضت بالطفلة سوزان

الى محطة فلين وابتاعت تذكرة للدرجة الثالثة وركبت القطار الى محطة أوزي

فبلغت إليها بعد ثماني عشرة ساعة وركبت والطفلة على ذراعها عربة سارت بها إلى قربتها وموطن آباءها تدعى «لندن»

ولندن هذه من أحقر قرى بريطانيا ويندر وجود الفنادق فيها فدخلت هذه المرأة الحزينة إلى كوخ هناك فوجدت فيه ستة صيادين فسألها صاحب الكوخ : ماذا ترغبين  
— غرفة يا أبتاه

فانذهل لوجز ( الشيخ صاحب الكوخ ) فقد عرف صاحبة الصوت وقال : أنت هنا يا إيفون ؟ ؟ ؟

— نعم

-- إيفون تريفن ؟

— انا هي

وتقدمت لما نطقه فقال لها : ما سبب مجيئك إلى بريطانيا ؟  
وكانت ملابس الحداد تنبئه ما حدث لها فسألها قائلاً : هل هذه طفلتك ؟  
فأجابت كما أوصاها زوجها المسكين : نعم  
وقصت إيفون على لوجز الحوادث التي مرت على القراء  
وانصرف الصيادون الواحد بعد الآخر وهم يحيون إيفون فقالت هذه للشيخ : هل سيدتي (تعني زوجته) في صحة جيدة ؟

— على ما يرام

وكانت السيدة المذكورة طاعنة في السن وهي أرملة أحد ضباط البحرية تقيم في قصر قديم هو عبارة عن آثار بالية تلاعبت بها أيدي الدهر ويسمى قصر كрдانيل

ولمدام كрдانيل ( السيدة الآنف ذكرها ) ابن حديث السن أدخلته في كلية كبر وخادم يقوم بزراعة الحقل وخدمة تهم بشؤون المنزل وكانت تعني كثيراً بالفقراء وتمطيطهم ما يقيمهم شر الطقس وتروي غلثهم فبالحقيقة كانت تبذل عليهم أكثر مما كانت تعني بنفسها  
.لمست إيفون مستندة إلى الخوان وأتت الخادمة فقامت وجلست على

مقعد تجاه لوجز فقال لها : لا بد يا إيفون أنك معتادة تناول الطعام البسيط كما كنت في طفولتك . . . . أتذكرين اليوم الذي توفيت فيه والدتك ؟

— نعم

— هل تعلمين يا إيفون أنك أصبحت جميلة ؟

ثقلت أجفان سوزان فأغمضت جفניה مسندة رأسها إلى الخوان فقال لوجز لشاب كان واقفاً : احتمل يا يوسف هذه الطفلة إلى فراشها فأجابت إيفون، ترددت : بل سأحملها بنفسى بعد ذهاب إيفون بالطفلة استولى على لوجز بعض الارتياب عن صحة ما قالته هذه المرأة . . . .

من أين أنت هذه الطفلة ؟

إيفون تزوجت منذ طامير، والطفلة أكبر من ذلك كما إن مظاهرها تدل على نبالة الأصل ونموه بشرتها ندل على أنها نشأت في قصور الاغنياء . . . .  
حادت إيفون فسأها لوجز : هل وجدت مسكناً ؟

— كلا

— لي منزل في هذا الجوار يحاط بمحديقة صغيرة

— كم أجرته ؟

— ثلاثون فرنكاً في السنة

— حسناً

— غداً نذهب معاً فراه . . . لا نخفي عليّ أمر هذه الطفلة فقد رايتني

وجودها معك

وكانت إيفون تعلم أن لوجز أشتهر بالأمانة وهو يبيع الزجاج تحت رقابة مجلس البلدية فما خشيت أن تخبره بجميع ما حدث لها من مجيء جون فانتجار توماس فقتل زوجها

وفي صباح اليوم التالي ذهب المعايينة المنزل المذكور وهو بناء منخفض يشتمل على حجرتين مؤسس على أسفل صخرة . فكان القضاء قد حكم على أبنة تيريزان تعيش في أحقر قرى فرنسا

## الفصل الخامس عشر

### ثلاث رسائل خطيرة

الاولى : رسالة جون إلى صديقه الدكتور ربول في ملي — نيفر :  
عززي فابن

لأعتقد بالرغم من البون الشاسع بيننا أنك نسيت الأيام اللذيذة التي قضيناها سووية في كلية نيفر ولا شك أنك علمت ما حل بي من المصائب أريد أن أكلفك بمهمة لا يمكنني القيام بها لضيق يدي ولا بد أن أقص عليك طالي ومآلي ثم أعود فأعرض عليك المهمة :

أبحرت مع ابنتي الكبيرة إلى نيويورك لكي أجد عملاً أرزق منه وأنتفع ببعض الدريهمات التي كانت ممي . وكنت منذ خمسة أعوام مضت قد تعلمت الإنجليزية فسهل علي أمر المباشرة وكانت جان (ابنتي) لاتنك عن البكاء وعن سؤالي عن سبب تركي والدتها فيكنت أجيبها والشرر يتطار من عيني :  
لقد توفيت رحمها الله

ألم تمت حقيقة ؟ . . . ممتة أدبية ؟ . . .

وعند الصباح ارتدت ثوب الحداد فزاد احمرار عينيها في جمالها فقالت :  
أبتاه ! إلى أين نحن ذاهبون ؟

فأجبتها وقد تملكيت بي عاطفة قوية : إلى حيث نسلوها . . .  
وكان على ظهر الباخرة التي أبحرت بنا رجل واقف مسند يده إلى جدار وقد أخذ يحمق بالمسافرين ثم التفت نحونا وقال منذهلاً : لي الشرف بالتعرف بأحد مواطني

— وأنا أيضاً كنت أفكر في هذا الأمر

— أنا من طرف نورمانديا من قرية برش

— وأنا من وسطها أي من نيفر

— إنها بلاد جميلة وهوؤها صحي

- إنما أنا من جهة رديئة منها  
 — لعلك من جهة غابات المورفان ؟  
 — نعم . . . الى أين تقصد ؟  
 — الى نيويورك ومنها إلى بلدة بعيدة . . . هل هذه الطفلة إبنتك ؟  
 — نعم  
 — وأنت بدون شك ذاهب لمقابلة بعض الأقارب ؟  
 — ليس لي أقارب ولا أصدقاء في أمريكا  
 وكأنه قد أدرك بعض ما في ضميري فقال : تريد بسفرك أن تسلو ؟ . .  
 فأجبتنه : نعم . فقد كنت متزوجاً بامرأة جميلة ففقدتها وآسفاه ! على  
 أي لن أعود الى فرنسا ما لم يخطط الشيب لحيتي  
 كان الرجل شاباً يبلغ الثلاثين من العمر ذا الحية شقراء ومحيا أثرت به محن  
 الأيام وطوارىء الحدائق فقال : لا وسيلة للثراء في أمريكا بغير رأس مال  
 فكم يبلغ رأس مالك ؟  
 — . . . ائمة ألف فرنك تقريبا  
 — هل تربيت في الريف ؟  
 — تربيت فيه الى أن بلغت العشرين من عمري  
 — هل تحب ممارسة الزراعة وتربية المواشي والأغنام ؟  
 — نعم  
 لم يمض يومان حتى أصبحنا من أخلص الأصدقاء وهو يدعى الفيكونت  
 برفيل وكان ذاهباً إلى أمريكا لاستمادة ثروته الي فقدها بطيشه  
 وللفيكونت هذا صديق في أمريكا يدعى البارون بينل وهو ينتسب إلى  
 سلالة رفيعة الشأن  
 لم نغم في نيويورك سوى يوم واحد . وفي صباح اليوم التالي ركبنا القطار  
 إلى شيكاغو ثم سار بنا نحو ثمانى ساعات الى حيث تقمنا امنيبوس الى المدينة  
 التي يقطن فيها صديق الفيكونت

وكان في انتظارنا شابان أدركت لأول وهلة أنهما فرنسيان وأن أصغرهما  
سنًا هو صديق الفيكونت أما رفيق، فزارع  
تماثق الفيكونت والبارون للصدقة القديمة الموطدة بينهما منذ الطفولة  
وقد تكون قرابة

شعرت كأن هذين الرحلين ينظران إليّ باندهال متسائلين عن سبب مجيئي  
إلى هنا مع طفلة؟ إلا أن الفيكونت أخبرهما عن حقيقة حالي وقدمهما لي  
فتصافحنا. ومنزل صديقي يقع على بعد خمسة عشر ميلا من المحطة فأجرتنا سهلا  
فسيحا ذا مرعى خصب للماشية

بعد مسير ثلاث ساعات طرفنا غابات الجبل الأسود

وصانا عند المساء وكادت قواي تهن لولا مرافقتي للصديقين . وكانت  
طفلتي المسكيننة قد أربها النشي فكنت تارة أحملها وتارة يحملها المزارع  
وفي أثناء مناولة الطعام عرض عليّ البارون أمر الشراكة فرضيت وأصبحت  
بذلك مالكا لنصف مزرعة باينل

ولم يبق لديّ الآن أيها الصديق إلا أن أعرض عليك الغرض من كتابة  
هذه الرسالة المملة :

لقد علمت بلاشك أنه لم يبق لي غير طفلتي جان ولما كنت في فرنسا  
قصدت إلى توماس رفين وعرضت عليه أن يصحبني فلم يقبل لضغينة شديدة  
بينه وبين أعدائه الذين فتكوا بأخيه ولولاه لذهب ضحية هؤلاء الحراس ...  
فقصدت إلى أخيه بلير زعمت إليه بحراسة الطفلة ريموند وحمايتها مما يفاجئها  
من الأكدار ومعاملتها كابنة له فأثمرت عليا أن يدعوها باسم سوزان وأن  
يخفي أمرها حتى عن امرأته . وقد أعطيته عنواني تحت اسم مستعار وهو :  
جس برون بشباك البريد . نيويورك . كل ذلك لكي أفسد خطة زوجتي اذا  
أرادت أن تبحث عني . . .

تركت ريموند ولم أصطحبها لأنها طفلة صغيرة جداً لا تتحمل مشاق  
الأسفار ولم يكن بالي مطمئنا من جهتها فانتظرت طويلا ولم أحظ برسالة منه

لا أفتقه لهذا الشكوت الطويل سبباً . . . هل أهمل المراسلة كمادة أهل  
 القرى ؟ . . . أم هو لا يحسن الكتابة ؟ ؟ ؟  
 إذا أمكنتك القيام بخدمة لن أنساها لك أبد الدهر وهي أن تذهب الى  
 باريس عند سنوح الفرص وتفيدني عن ريموند وعن بلير  
 تلوت معظم الجرائد التي تأتيني من فرنسا فاذا معظم أخبارها سياسية  
 لا تفيد من مثلي يعاني ألم الذكرى القديمة التي لا تبرح مخيلته  
 اذا عدت يوماً فالى غابات المورفان حيث أقضي بقية أيامي بقربك  
 فنجتمع معاً كما اجتمعنا مدة الطفولة وقضينا أياماً لذيذة  
 ألف شكر وتحية من  
 صديقك التمس  
 جون ردون

نيويورك في ١٥ ابريل سنة ١٨٧٧

الثانية : رسالة من الدكتور ربول الى صديقه جون ردون :

عزيزي جون

استلمت رسالتك في ملي بينما كنت منأهياً للسفر الى باريس بمهمة صغيرة .  
 حدث في بلادنا بعد مبارحتك اياها أمور جليلة اختص بالذكر :  
 لم يقل توماس مصابحتك لأن عداوة قديمة بينه وبين حراس غابات شفان  
 أشغلته عن تلبية اقتراحك وأفضت به الى اقرار ثلاث جرائم . فسيق الى قاعة  
 المحاكمة ولم يكن لدى القضاء أدلة كافية تثبت جرمته . لكنه أقر بعدئذ  
 بجرمته وبسط السبب الذي حمله عليه ارتكابها وظنه سبباً عادلاً يسوغه جمهور  
 الحاضرين ولكن خاب فانه لم يحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة  
 ولما لم يستطع احتمال هذا الحكم الشديد وعز عليه فراق بلاده الى الأبد  
 انتضى مسدساً كان معه وأفرغه في دماغه فخر للحال صريعاً  
 وبعد بضعة أسابيع من هذه الحادثة وجد بلير قتيلاً في الغابة القريبة  
 من فلين وكان معه طريدة من الطيور

أما زوجته فانها باعت كل ما لديها من الاثاث بأبخس الأثمان وابتاعت تذكرة  
 للقطار الذاهب الى باريس ولا أعلم الى أين ذهبت بعدئذ  
 باريس واسعة ولا بد أن تكون قد تاهت بين أحيائها  
 زرت الأب تونيليه فكان يذكرك آسفاً علي ما حدث  
 الوداع يا عزيزي . أنتظر تعليماتك لا قوم بها خير قيام  
 صديقك القديم  
 فاين ربول

باريس في ١٤ مايو سنة ١٨٧٧

الثالثة : رسالة جون ردون الى الدكتور ربول :

صديقي العزيز

ان رسالتك قد أوقعتني في حزن أليم اذ لو قبل توماس مشروعني لما حدث  
 ما أرادته سبحانه وتعالى

لا يمكنني العودة الى باريس فقد دفعت آخر درهم لشريكى في المزرعة  
 فبقي معي ألفا فرنك أرسلهما لك ضمن هذا التشفههما في البحث عن ريموند.

لك اصدقاء عديدون في باريس فيمكنك أن تستعين بهم في أبحاثك  
 وفي الختام أقبل تحيات وشكر صديقك البائس

جون ردون

مزرعة باينل في ١٠ يونيو سنة ١٨٧٧

## الفصل الحادى عشر

### الجزء

بعد مضي ثمانية أيام كانت تزين منفردة في غرفتها وحالسة بازاء النافذ

المطلّة على الحديقة

أرختي الليل سدوله وحانت الساعة العاشرة . وكانت الأوهام والهواجس

المخيفة تتناوبها فتؤثر عليها

كان المركز تعزيتها الوحيدة بعد المصائب التي حلت بها لما كان يظهر

نحوها من الشفقة والحنو الممزوجين بالوجد والغرام

إلا أن أمراً أشغل باله وأقلق راحته وهو سر لا يفوه به لأحد . . . . .

كنت تراه أحياناً جالساً مفكراً مضطرباً . . . . .

بماذا يفكر ؟ . . . . .

بعد برهة لمست تزين جرساً كهربائياً فأتمها الخادمة فبادرتها بقولها :

— هل وردت رسالة ؟

— كلا يا سيدي

فأغمضت تزين حفيها وعادت إلى التفكير فاقتربت منها ليوني وقالت :

إن سيدي تفكر دائماً ؟

— واحسرتاه !

— لا يجب أن نأسى سيدي لأن سيدي شقوق ويعتني بالطفلتين . ثم

سمعتا قرع الباب فهرولت الخادمة وفتحته فوجدت المركز دي بورد

دخل المركز إلى غرفة عشيقته وقال لها : هل أنت في صحة جيدة ؟

— نعم وأنت ؟

فلم يجب بل أخذ يتخطر ذهاباً وإياباً في الغرفة وهو بعض شفتميه ثم جلس

إلى جانبها وقال : سأسبب لك إنزطاجاً يا حبيبتى . . . . .

فلم تجبه بل ألت عليه نظرة نذل على القلق وتجلدت فتابع حديثه وقال:  
إني أتألم منذ بضعة أيام . . .  
فارتعدت فرائص ريز وتجلدت . ثم قال : يجب أن تفترق . . .  
فشحب لون تریز وقالت : تفترق إلى الأبد  
— إلى الأبد

فألت تریز برأسها على صدر المركز فطوقها بذراعيه وقال : أقسم لك  
بأنی لم أعشق سواك وقد حملت حملاً أردت أن أحققه لولا أمر هائل حال  
دون مطاعمي . . .

وبصوت مختمق ولسان متعثم قال : بيني وبين الآسفة جبريل لوسي  
قربة بعيدة وعلاقة ودية وثيقة العرى . فعرض الدوق لوسي على والدي  
إقتراي بحفيدته (جبريل) فقبلت أمي بدون تردد لعلمها بأنني لا أرفض طلبها  
ما دام الأمر بسيطاً ولا شيء يحول دون القبول . . . . كان ذلك عند انتهاء  
فصل الشتاء حينما أحبرني والدي بمسألة الزواج فرفضت طلبها ففهمت وقالت :  
هل لك علاقة بأحد فأخبرتها بحبي لك فأجابني : ألا تعلم أن رفضك جبريل  
قد يضر بها ؟ . . .

وحدث بعد مدة أن جبريل قطعت كل علاقة ودية بي  
وفي تلك الاثناء أحبرني والدي أن جبريل ذاهبة إلى ميدي حيث  
تقضي هناك بضع أسابيع ولم ترض علي مراقبتها وهو أمر مخالف لعادتها  
فندمت على الرفض لأنني سأكون السبب لما قد يحدث  
وهنا توقف المركز عن الكلام واقرب من تریز وقال : أتذكرين سياحتي  
القصيرة في « كان » منذ ستة أسابيع حيث ذهبت لمقابلة والدي التي دعيتني  
برسالة منها وكانت تنتظري على مقعد في المحطة فأخبرني بأن جبريل مريضة  
جداً وتركتني أختار ما يحلو لي وما يرتاح إليه ضميري . وكانت تبكي بدموع  
سخينة ولم تكن تلك الدموع لتلين عزي لأنني لست أريد سواك بدلا في  
فؤادي . . . .

وتركتني تتنازعي عوامل شديدة بينما نحن سائران إلى أن وصلنا إلى

منزل فدخلت والذني وتبعها إلى غرفة في الطبقة الأولى فيها فراش وعليه  
شابة ناحلة الجسم قد علت وجهها صفرة الموت  
عندئذ فادرت والذني الغرفة وتركنا وحدنا أما أنا فلما رأيتها على هذه  
الحال ندمت على الرفض لأني سأكون السبب في قتل نفس بريئة تحبني وهل  
يعد الحب جريمة؟

فدلت المريضة يدها فتناولتها بلهف وقبلتها فشعرت بشدة حرارتها  
فرفعت رأسها كمن أنعشتها قبلة الغرام وقالت وكادت تخنقها العبرات : أنت هو  
يا ريمون . إن قدومك لعيادتي قد انعش قواي . . . .  
هنا أشارت إلى مقعد قريب وقالت : أجلس على هذا المقعد لتستريح  
من مشقة السفر . . . .

فجلست وأنا بين متردد ومرتب فقات : هل تتألمين ؟  
— منذ برهة

— والطبيب ؟ . . . هل يأتي أحيانا لعيادتك ؟  
— كل يوم . . . وأنا أعتقد أنه في ضلال . إنني لست مريضة . .  
— بما تشعرين إذا ؟

فملا وجهها الاحمرار ولم نجب : شعرت ان ضميري يملكني فقلت والدمع  
يتفرق من مآقي : جبريل . . . ألا تتقين بي ؟ . . . من هو سبب آلامك ؟  
فلم تجب . فصحت بصوت مختنق : لكبي أحبك يا جبريل . . . أحبك  
من كل جوارحي . وحيي لك يقرب من العبادة  
— نجبني محبة أخ . أليس كذلك ؟

— بل كمشيق وكزوج مفتون . . .

— ريمون . لقد انعشت فؤادي الآن بريق من الأمل . . . ثق بأني  
مملوكتك ما دام في عروقي تجري دماء دكية حية . لكنني أراني مغالية في  
زعمي لأني لا أريد أن أقيد حريتك أو إن أكون حجر عثرة في سبيل  
مستقبلك لقد أحبتك حبا برح بي وذلك منذ مدة طويلة . . .  
— نعم، نوعدي . . .

عند هذه الكلمة تم حديث المركيز فقال خاتماً : أفهمت الآن ؟

— إذا ستقترن بها ؟

— في خلال عشرة أسابيع على الأقل

— ماذا أفعل بمدك

— أهل تلوميني إذا أخفيت عنك الحقيقة ؟

— قل ولا تخف

— لن نجتمع ثانية

فتبسمت ابتسامة الألم لعلها بأن وعده لها بالحب الأبدى لم يكن سوى

أضغاث أحلام لا حقيقة لها

فقال المركيز : إني قاس وقساوتي إلي درجة الوحشية . . . لقد جعلتك

مضغة في أفواه الناس وقرقت بينك وبين روجك وأطفالك الذين تحببهم . . .

إن فقدي إياك هو معصية لا أتمزي بعدها

علمت تریز أنها صارت فدبة لجبريل وغنى هذه يعادل غنى المركيز فلا

مانع من اقتران النسب الرفيع

هل تنهم عشيقها بالجفاء والكبرياء وهو الذي لا يزال حتى الساعة خاضعاً

لها . . .

عادت دكرى مؤلمة أختها دواعي البرف وغفلان الحقيقة . . . .

باريس عن بعد تنادي تريز . . . باريس ذلك اللفظ العذب لا يزال يعطن

صداه في أذني تريز . فصيحة وعار أبدي . . .

كم تحقد تريز على باريس لأنها تركتها تعاني شر الوحدة بلا معين بعد

ان فقدت طفليتها وحدث ما حدث . . . .

هل تعود إلى والدها ؟ وبأي وجه تقابله ؟

إتكات تريز إلى النافذة واستنشقت بمسحوبة نسيم الليل العليل

فقال المركيز بصوت ضعيف : تريز !!!

فانتبهت تريز كمن هب من رقاد واقتربت من عشيقها وقالت : ستتركني

إذا لرحمة الأقدار ؟

-- كلا يا حبيبتي فان كاتب العقود سيأتي غداً ويسلمك حق امتلاكك هذا المنزل بما فيه من الأثاث . . أما أنا فسأرعاك من بعيد ...

— من بعيد ؟

— سأدوم لك صديقاً وفيّاً أطوع من هناك

— ستتركني الآن ؟

فتأثر المراكيز من هذا السؤال ولم يدر كيف يجيب . وبعد برهة نهض يريد الخروج فقال : الوداع يا حبيبتي ... الوداع . .

ثم انصرف وهو لا يباوي على شيء كمن أصيب سهم فاتل

جلسات تميز على مقعد وقالت وهي تتألم : لم يبق لي أحد ...

## الفصل السابع عشر

### النصيحة

مضى على حادثة الكونت هوبير دي بوسي التي سر ذكرها على القراء زهاء الأثني عشر عاماً وهو لا يزال سالكاً عيشة الوحدة واليساك مع خدمة لا هم لهم سوى المطالعة والمتع برأى جرن العابضة في هذه الأرجاء

كتم الكونت في نفسه الجرح الذي أدمى فؤاده ولم يكن ليفكر يوماً بتغيير حالته الانفرادية وكان يتغيب أحياناً عن منزل الزهد ويذهب إلى باريس ويقضي معظم ليلته في حدائق التويلري ثم يعود إلى منزله الواقع في ميدان مادلين

عند الساعة السادسة والنصف من غداً اليوم الذي دارت فيه حادثة المراكيز رمون مع تيريز كاذ الكونت في القطار السريع الذاهب إلى باريس

في باريس ركب عربة أقلته إلى منزله وكانت خادمته في انتظاره خارج الدار لعلها بجيبه فحيتته ورحبت به فدخل وتبعته الى غرفة مفروشة بأعطر الأثاث ومعدة لرجل يعتمد عن الملاذ الدنيوية

وكان على جدران الغرفة وفي صدرها صورة زوجته الراحلة وهي امرأة في الثالثة والعشرين من عمرها تشابه تيريز حسنا وسناً وجمالاً  
وقف الكونت أمام الرسم وتتم هاتين الكلمتين المؤثرتين : آه لو  
عفوت . . .

عند الثانية من هذا المساء فصد إلى حدائق التويليري وأقام حتى التاسعة  
ونصف ثم قفل راجعاً إلى منزله  
وسرعان ما ضربه بقبضة دوران في شارع رويال وجرع كأساً من النبيذ  
وفيما كان يتقبل بصره على المائدة تنبه لامرأة تشابه زوجته تمام المشابهة  
وكانت متجهة نحو ميدان الكونكورد وهيئتها تدل على القلق والاضطراب  
فأراد أن يتبعها لكنه فطن إلى ضرورة العودة عاجلاً إلى منزله فتابع  
سببه وهو لا يكاد يصدق ما رآه . ولما كان في غرفة بملابس اليوم أسند  
ذراعيه إلى نافذة الغرفة وأطرق إلى الشارع فأبصر على ضوء المصباح امرأة  
متشعبة بالمواد واقفة وعيناها تتجهان نحو شارع رويال كأنها تنتظر مجيء  
أحد من تلك الجهة

وبعد خمس دقائق ارتدى الكونت ملابسه وخرج فلم يجد المرأة  
في مكانها فأخذ يتطلع هنا وهناك ورآها تسير إلى جهة الكنيسة اليمنى فتتمكن  
من اقتحام أثرها حتى صار على منزلة منها  
ارت المرأة المتشعبة في شارع رويال ووقفت قليلاً أمام النادي الذي  
يؤمه عشيقها الماركيز دي بورد . ولما لم يأت أحد استمرت في سيرها نحو  
نهر السين

وأدرك الكونت ماهي طازمة عليه فرجحه لذلك حل اهتمامه . فلما وصلت  
عند جسر الكونكورد أطلت لتشاهد مياه السين وهي تجري في أحواضها  
ثم ارتدت إلى الورا لوفوع بصرها على حارسين مخطران يقربها فاستأنفت  
سيرها حتى مرسى القوارب في أورسي

فمدا الكونت نحوها واستوقفها وقال متأثراً : ماذا تفعلين هنا في مثل

هذه الساعة ؟

فارتعدت فرائص تریز والتفتت نحو مخاطبها وقالت : من تكون حتى  
تعرضني في سيري ؟

— من أكون ؟ صديق مجهول وإذا أردت زيادة الايضاح فقولي رسول  
السلام ... لقد كنت مطلقاً من نايذة غرفتي وأصرتك واقفة بقرب المصباح  
فأدرکت أنك تكتمين سرّاً هائلاً ينخر في عظامك الرقيقة وتسعين للتخلص  
منه بوسيلة بسيطة ...

— هو ما تقول

— إني لا عجب من شابة غضة تسمى للاتحار في ربيع حياتها

— لأنني فقدت كل مالي في هذا العالم

— أليس لك صديقات أو أصدقاء ؟

— كلا

— عيلة ؟

— فقدتها

— والد ؟

— لقد أُلحقت به طاراً لا يعنى ... ولا يمكنني إظهار مبلغ إمتناني

لعطفك الزائد نحوي ... على أي سأحبرك بتفاصيل ما حدث لي كي لا تحول  
دون عزمي ...

ثم قصت عليه كل قصتها وختمتها قائلة : وتراي الآن قد فقدت كل شيء  
فأتركني أغادر هذه الحياة الدنيا لأجد الراحة الحقيقية هناك ... هناك بين  
طيات مياه السين ...

— ألسنت غنية ؟ تتمعي بالمال !

— وهل يتمتع بلذة من كان جرح فؤاده قاتلاً ؟

فسكت الكونت وأخذ يفكر كأنه يسترحع إلى ذاكرته أمراً نسيه ثم  
قال : أليس عشيقك هو المركيز دي بورد ؟

— من أخبرك عنه ؟

— هو صديقي . وقد أخبرني مراراً عنك فلم أشك أنك تلك المرأة التي

يدعوها تريز . والفضل للعناية الالهية التي أرسلتني إليك . . . أتيت لأفتح لك باباً آخر للآمال اللذيذة التي تشدينها ..

— لقد تركني بعد أن كان يعبدني وبذكر لي مراراً أمر الهرب إلى بلاد بعيدة

— للحياة ظروف اضطرارية قاسية .. ألم يهيك ريمون شيئاً ؟

— ليته لم يهني . . . لأنني لست ممن يبعن غرامهن بمال

— ماذا ترك لك زوجك ؟

— عشرة آلاف فرنك تركها لي لأستعين بها ريثما يتيسر لي عمل

في مستشفى أو في أحد منازل الاغنياء

— هل تعتقدين أن تعاطي الأعمال سهل ؟

— إذا اضطررتي الامر لأعمل

— إنك تهمسكين بالوسائل الصعبة التي قد تؤدي بك إلى المهالك . . .

ثم واصلا سيرهما حتى حدائق دي باري وهناك قال وهو يشير بيده إلى جهة

نهر السين : أخشى أن يعاودك اليأس مرة أخرى فلا أكون حيمذاك معك ..

أريد أن أظلمك على أمر لكن الحياء يحول دون ذلك . . . تأكدي أنني عند

مرآك لأول مرة تراءى لي أنني أرى امرأتي الراحلة في هيئتها وسنها وجمالها ..

سوف أخبرك عن تفصيل نكستي لتعلمي أن الانسان لم يخلق إلا ليسامح

خصمه وعدوه ويتغاضى عن هفواته ولا أن يحمل اليأس على الانتحار أو

المهاجرة أو اليأس أو الحداد الطويل الموهن للقوى أو التأثير المؤلم . . . لأن

حياة الانسان قصيرة ويجب أن يقضيها في وسائل خلاص نفسه كالبر

والاحسان الخ . . . هل تعديني باتماع نصائحي . . . ألم يذكر لك المركز عن

صديقه الكونت هو بير دي بوسي . . .

فانذهلت ترز لسماها هذا الاسم فقال : أنا هو . فاعلمي ان عشيق

امرأتي الذي كنت أعتقد فيه المودة والاخلاص قد هتك عرضي وأهانني

فانتقمتم منه لشرفي بسفك دمه طبق القانون . . . أما تلك التي قضت نحو

العامين ونيقاً في دير منقطعة الى الصلاة والعبادة ثم طادت تطلب مغفرتي بعد

أن غفر الله عن ذلتها فرفضت ... لتند قصت وارحمتهاه على نفسها ... انها على  
شا كلتك . حتى ليتخيل لي أني أرى طينها متجسما فيك ... لا تخيبي أمني بل  
اشمليني بكلمة رجاء ...

— ماذا تريد أن أفعل ؟

— أن تعرضني عن عزمك

— وبعد ذلك ؟

— أن تهودي إلى نزلك في شارع بالك كذا أو عز بابك صديقي المراكز

سأفعل

أترغبين مرافقني لك ؟

— بدون شك

— لا تسعي إذا لرؤية المراكز ثابته

— سأطبعك بالحرف الواحد

— إذهي الآن إلى نيفر وسأفكر أنا في العودة إلى قصري فأكون

بجوارك ...

شعر الكونت كأن أمراً حديداً طراً على حياته وشعرت تزين بأن عضداً

متيناً أسند حياتها

بعد منتصف الليل بنصف ساعة وصلا إلى منزل شارع بالك فقال

الكونت : إعلمي إنك غير مأسوره مادام المنزل يخصك ... فلا تنسي

قسمك لي ؟

— نعم . نعم

لم تبص الساعات القليلة من الليل حتى صارا صديقين وفيين وعند

الافتراق سألمه قائلة : متى أراك ؟

— متى شئت . ومن آذافرن أنت ؟

— في أول فرصة أنهنرها .. قد أرافق غداً

— سيقوم القطار في التاسعة صباحاً فأكون في انتظارك ... ماهي

علامة قبورك ؟

فمدت ترينز يدها فصالحها الكونت رغم بهوت غبه سموع : هي . هي  
التي اعتقدت انها آتية من عالم الأرواح  
بعد ساعة من الزمان كان الكونت في غرفته يتأمل رسم زوجته  
ويتعجب من عظم المشابهة  
وفي صباح اليوم التالي كان الكونت في انتظار ترينز فلما وصلت قال لها :  
ما أسعدني بمشاهدتك وما أعظم سعادتي حينما أكون الى جنبك ... فلا  
تهملي المراسلة ؟

— سأنبع نصائحك مادمت على قيد الحياة  
وفيما كان الكونت يفكر إذ صفر القطار مؤدناً بالرحيل فتعم في نفسه  
بينما كانت ترينز نودعه : لقد أدركت الآر أي سأعيش لسواي  
عند السادسة مساء وصل القطار فترجلت ترينز والمسافة التي يجب قطعها  
للوصول إلى منزل والدها هي كيلومتر واحد . فسارت حتى انتهت عند باب  
الحديقة فرآها والدها وقام لاستقبالها بوجه ناس ودراعيه مدسوطتين فترامت  
على عنقه وتمتمت : أنتاه ! لم يبق لي أحد سواك  
لكنها نسيت صديقاً مخلصاً ودوداً هو سبب مجأتها من مخالب الموت

## الفصل الثامن عشر

### وكالة فريبورج

لم يعتد الدكتور ، بول القيام بماء المهمات فتضايق من رسالة صديقه  
جون لكنه رأى أن يقوم بها عملاً بواجب الأخوة والصداقة . فشرع  
في البحث في جميع أطراف القارية فلم تقده فاضطر للسفر إلى باريس حيث  
استعلم عن وكالة فريبورج وشريكه هوشار في شارع الانتصار فسار حتى  
وصل إلى أمام منزل عظيم قديم البنيان فأراد أن يدخل فأدركه البواب  
وسأله : ماذا يرغب سيدي ؟

— هل هنا وكالة فريبورج :

— في الطبقة السفلي والباب إلى اليسار

فلما وصل إلى الباب وجد لوحة من النحاس معلقة على الجدار ومنقوش

عليها هذه الكلمات :

فريبورج وهو شار وشركاؤهما

ودخل الدكتور ربول إلى قاعة الانتظار فقابله خادم الغرفة وسأله . ماذا

يرغب سيدي ؟

— مقابلة أحد الشريكين °

— لم يأت أحد بعد

— لكنني آت بمهمة ذات شأن

ففتح الخادم باب غرفة إلى اليمين وقال بصوت منخفض : من هنا

ياسيدي تصل إلى غرفة فريبورج

وفريبورج هذا أحد الشريكين وهو ماهر في حرفة حذب الزبائن

وتفريغ حيويهم

صر الدكتور أمام بضعة من الموظفين وهم منهكمون في أمشاطهم ودخل

إلى غرفة الرئيس المموه عنه وهو رحل تكاد تبلغ قامته خمسة أقدام فلم يره

الدكتور لقصره فتقدم رافعاً قبعته وقال : سيدي فريبورج ؟

— أنا هو ياسيدي ... المَعذرة ... بعد برهة أكون رهين إشارتك

بعد برهة وضع الشريك قلمه على المكتب وقال : لا بد أن سيدي آت

بمهمة خطيرة حتى سمح لك البواب بالدخول ؟

— هو كذلك

— وهل تتعلق المسألة بشخص سيدي ؟

— كلا . إنما هي مهمة كلفت بإدائها

— من حالك على قبولها

— نصرتي للإنسانية وقيامي بواجب الصداقة ..

- حسنًا . أمددني الآن بمعلوماتك العزيرة
- ألم يصل إلى مسامعك نياً الاعتداء على رجل من فلين ؟
- لعلمي أتذكر .. فلا... جليز ... بل بليز ...
- هو بعينه
- ماشأنه في المهمة ؟
- ستعلم الآن ...
- وكان مزوحًا . أليس كذلك ؟
- وامرأته من المورهبان . وقد باعت القليل من الأثاث وعادت إلى بلادها
- أين منشأها ؟
- لقد نشأت في قرية من مقاطعة فان تدعى لموز ... وقد توي والدها في ارلندا وبوفيت والدتها في قرية من مقاطعة لوريون
- ما اسمها ؟
- كويوي
- ممن أتخذت هذه المعلومات ؟
- من بلدية فلين ...
- أهذا كل مالديك منها ؟
- بل عدي أمر آخر وهو أنني راسلت مديري القريتين وسألتهما عن ايفون تريفن فأجاباني انها غير موجودة في هذه البلاد فقد فادرتها حديثة السن ولم تعد تظهر في مكان
- لقد كان لدينا بعض الرجاء في الاهتمام اليها في بادي الأمر ... أما الآن ؟ فقد ابتدأت المصاعب تبدو لما ...
- هذا رأيي أيضاً
- سؤال آخر ياسيدي ... باسم من يجب أن نقيده مهمتنا ؟
- باسم جيس برون في نيويورك
- كان فريبورج يكتب كل هذه المعلومات فقال : هل يكون أبًا ؟

-- لا أعتقد ذلك ولا يهمنا أصله

فتمتم فريبورج في نقسه : أسرار وتخمينات وأسماه مستمارة وطبيب  
في مهمة ثم قال : هل يمكنك أن تصف لي هذه الأرملة ؟

- نعم . فهي متوسطة القامة وفي الثلاثين من العمر  
— سمراء . بيضاء ؟

— بل شقراء ... لقد سهوت من أن أذكر لك أمراً يتعلق بمهمتنا ...  
— وما هو ؟

— ان اينون ترينن التي ذكرتها لك كانت تصحب فتاة صغيرة أودعها  
معهما صديقي جس وهي تبلغ العاشم والنصف من العمر ، آية في الجمال ،  
وشقراء أيضاً . . .

— ماذا تدعى

-- سوزان . هذا كل ما أعلمه بهذا الشأن

-- والان كيف طالة جس الافتصادية :

رديفة

— هل تعرفه شخصياً ،

-- نعم . لكنني لا أعلم من أموره شيئاً

- لا بد أن تعلم ما استكلفه جمعيتنا من نفقات السفر والمحث من أجل

مهمتك

وأخذ الطبيب محفظته الجلدية وقال : كم يلزم لذلك من النفقة

-- ألفاً ورنك

فد الطبيب يده وأخرج ورقتين من مئة ألف وأعطاهما لفريبورج فبش

هذا في وجهه وأخذها ثم قال : هل لك من سؤال آخر ؟ ..

— كلا

— سوف يسرك ببح مهمتنا

— هذا ما أتمناه

— الوداع

ولما أراد الدكتور الانصراف شيمة فريبورج حتى الباب وطاد إلى مقعده وجمع معلوماته كلها في نابور حاص (دوريه) : «صكت على ظاهره هاتين الكلمتين : « قضية سوزان »

## الفصل التاسع عشر

### المقابلة الأولى

رسالة الكونت نوسي . . . ريزردون عن يد القمطان نونيليه في سوفلي  
(نيفر)  
سيدتي

حظوت رسالتك الكريمة فهدت إلى باريس لأقوم بالمهمة التي طلبتها مني وقدمت بعض الخراء واستعمت أيضاً بكاتب عقودنا ولي مل' الذقة به وقد أرشدني إلى شركة فريبورج . واستعمت أيضاً بويرر الداخلة للتقرب من رئيس الشركة لث العيون والأرباح وقعدته مستعلماً أيضاً من هذه الشركة فأحاني : هذه الشركة قد نالت شهرة واسعة في حل المشاكل العويصة فسرت في شارع الامعاء حتى نالت بناء الشركة الفخم فقصت نرفة الرئيس وهر . جل قصير الفامة محدودب الظهر بدل ملاحه إلى المكرو والرياء فشككت كثيراً في حقيقة هذه الشركة ...

فعرست عليه مسألتنا فأظهر سمواتها في بادي' الأمر ثم شرع يشرح لي الأسلوب للوصول إلى النهاية والذي رادني نذهاً لا سرعة فهمه وغرارة مادته إلى أي جهة قصدها زوجك :

هل إلى الهافر ومنها إلى مرسيليا ؟

هل إلى أمريكا أو إلى استراليا أو إلى الترنسفال ؟

يصعب على الانسان أن يحل مشكلاً صعباً كهذا لعموضته ...

فتشجعي وكفكفي الدمع واصبري إذ يجب أن تعلمي أنك في الوجود فاية  
تمتها العزة الالهية وإلا لما سمعت بنفسها لنجاتك من يدي  
الوداع يا صديقتي العزيزة ...

يخيل لي وأنا أكتب أي أرى في شخصك من انتحرت وتركتني بعدها  
في شقاء دائم

لا تعصي بضعة أيام حتى أكون بجوارك

تحية وسلام

المخلص

هو بير دي بوسي

بعد أن انصرف الكونت بوسي بنفس فريبورج الصعداء وأخذ يفكر  
في وسيلة لحل هذه المشكلة الجديدة . ولما لم يجد قرابة بين قضية جيمس برون  
وجون ردون أخذ طاوراً وكتب عليه « قضية جون »

ثم قرع جرساً كهربائياً فأتى الخادم فقال له : ادع لي هوشار

بعد رهة دخل هوشار وأجال يبصره ثم اقترب من المكتب وحيا

فريبورج تحية عسكرية وقال : ما وراءك ؟

— هذه خمس وريقات مالية نفعنا عند الازوم ... لدي بسبع معلومات

خطيرة ...

— بأي شأن ؟

— بشأن الطفلة سوران التي نبحث عنها

— كان هذا رأيي قبل إبدائه إذ يبدو لي أن المبلغ الذي أتخفنا به جيمس

ون المتنكر بواسطة طبيبه لا يشبع مطامعنا فلا بد من مورد آخر ...

— وما هو

— أن نستولي على أرملة بليز رفين ... إذ لا بد أنها عادت إلى قريتها ...

— ثم نحتفظ بالسرلاً أنفسنا . فتتصحج الثمرة على مرور الزمن ... والطفلة

ضاً ... فلنسرع في إرسال خبير إلى هنالك ..

— من ترغب أن يكون الخبير ؟

— بوسكاري مثلاً . فهو خالي العمل على ما أظن ...

لم يحن الوقت بعد . . .

— أرسله لي الآن

— سمعاً وطاعة

بعد ثلاث دقائق دخل على فريبورج رجل ضخيم الجثة أسمر اللون عريض  
الشاربين له لحية طويلة فقال له فريبورج متكلفاً الابتسام : لقد وجدت لك  
عملاً . . . .

فأبرقت أسرة بوسكاري وكاد يصفق من شدة الطرب فقال : تلذ لي هذه  
الأخبار السارة ياسيدي

— سأعلق عليك أمراً وهو البحث عن أرملة تدعى إيفون تريفين وهي  
فقيرة . . . .

— لا بأس

— إذ ذهب إلى مقاطعة فان من غير أن تعلم أحداً أنك آت بخصوص هذه  
المهمة . وستكون نفقاتك اليومية سبعة فرنكات لأن نفقات المعيشة هنالك  
ليست كثيرة فهل أنت موافق على هذا الشرط ؟

— وافقت

— نسيت أمراً مهماً وهو أن الأرملة تصطحب طفلة صغيرة . . .

لا تنسى . . . إيفون تريفين . . . متى تسافر ؟

— الأمر أمرك يامسيو فريبورج . أفضل السفر في أقرب وقت لأني

هنا لا أكاد أسد رمتي . . .

— حسناً . غداً مساءً أخبرك عن كل ما يلزم لمهمتك وأعطيك مائتي

فرنك تحت الحساب . فإذا عدت راجعاً بليت مكافأة . . .

فظهرت على وجه بوسكاري ابتسامة سخرية كأنه يعلم قيمة المكافأة .

وبوسكاري هذا من أهالي غسكونيا وكان عميلاً لشركة التأمين ثم عزل فاندريج

في سلك شركة فريبورج التي يدعوها بشركة اللصوصية

وكان يشغل أوقات الفراغ بالحفر والنقش على الخشب أو العاج فيصنع منه

قبضات العصي المزخرفة حتى أنه نال شهرة واسعة بهذه الحرفة  
وقصارى القول أن شركة فريديج كانت تبتز أموال زوارها مبتكرة  
لذلك جميع سبل الخداع  
كانت تریز تكاتب الكونت كثيراً بشأن زوجها فلم تكن تلقى منه رداً  
نهائياً يفيدها عن محل إقامته

عند العاشرة من صباح يوم ١٦ أكتوبر كانت تریز في منزل أبيها منفردة  
تطالع في كتاب، إذ طرق الباب ودخل الساعي يحمل رسالة مهنونة باسمها  
فأخذتها منه بلهفة وتلت ما فيها :

صديقتي العزيزة

إني ذممت اليوم إلى برسي فأكود، بحوارك، هل يمكنني أن أراك  
فأحدثك على فرادى استبعد. إني أعرف جيداً تلك العبات المجاورة لمنزلك  
فقد كنت في جدانة سني سياداً ما هراً حتى إني لم أرك فاة إلا طرقها ..  
وعلى بعض الخطوات قابلة من منزلاً والدك نعمة مظلة بالأشجار يمكننا أن  
نتقابل فيها جلسة

وهذه الجهة تدعى بالصخرة الدامية . . .

أنت تعرفين هذه الجهة فقد حدثتني عنها مراراً في رسائلك  
ولي له الرجاء أن أراك هناك بعد غد اليوم . عند الثالثة بعد الظهر  
وثق بشعوري نحوك

صديقتك

هو بيرديوسي

## الفصل العشرون

### المشورة

كانت تریز جالسة تفكر وقد غابت في بحار وجدانها المنتعش بماء الحياة وكانت تعيد تلاوة رسائل الكونت بانعام نظر فكانت تعزيتها بها لا تقدر كان الكونت في رسائله يحیی في فؤاد تریز آمالا واسعة حتى أنها تعزت نوعاً ما ونهيت مصاصها الأليم بفقد أولادها وزوجها الذي كانت تحبه بالرغ من هفوتها لان باريس أغوتها كما أغوت كثيرات من أمثالها

عند الثالثة بعد الظهر ارتدت تریز ملابسها وخرجت قاصدة الى الصخرة الدامية ومرت في سيرها أمام مزرعة زوجها وقد أصبح قصره أنيقاً تحيط به الحدائق الفناء - فتألمت نفسها لهذه الذكرى لأنها كانت تتمنى لو رضخت وعاشت ناعمة الببال في هذه البقعة الهادئة

وصلت تریز إلى سفح الصخرة حيث يجري عاها ينبوع الماء الذي يكون جدولاً يتجمع في الوادي

أثنت بصرها شجرة قد هبت عليها العاصفة فأوقعتها بين الأعشاب اليابسة . فوقفت تتأمل فيها لكنها لم تلبث ان عادت إلى الورا سرعوبة لأنها أبصرت على جذعها آثار نقش أذكرتها بمقابلتها لجون لأول مرة

لم تكذب تجلس على هذا الجذع حتى طرق أذنيها وقع حوافر جواد آت نحوها فالتفتت فاذا بالكونت قد أتى مردياً بملابسه السوداء فترجل وذهب نحوها وقال : لقد تأخرت عن الميعاد يا عزيزتي

ثم ربط عمان جواده إلى شجرة والتفت نحو تریز وقال : يتراءى لي أنك أرفقت ليلة أمس ؟ . . .

ثم أمسك بيدها وقال وهو يحاول إخفاء اضطرابه تشجعي يا تریز . . . فاختلج فؤاد تریز لكنها تجلجت وقالت : ما وراءك أيها الصديق ؟

فأخرج الكونت من جيبه رسالة وردت له من شركة فريبورج وأعطها لترين فأخذتها منه بلهفة وتلت ما يأتي :

سيدي الكونت

طبي هذه الرسالة ما أقترحه علينا عميلنا في نيويورك الذي أوعزنا إليه أن يتولى مهمة البحث . وترى من خلاله صعوبة المسألة وأنه بالرغم من مجهوداتنا المبذولة لم نجد لصالتمك أثراً وأقبل فائق احترامنا

فريبورج وهو شار وشركاءها

وإلى جانب هذه رسالة أخرى هذا نصها :

سادتي

أخبركم مع ابداء أسفي العظيم بأن أبحاثنا لم تجن فائدة بالرغم من سعيينا لدى جميع رؤساء المقاطعات في الولايات المتحدة للبحث عن رجل اسمه جون ردون والأرجح لدينا أن هذا الرجل قد تمكرخشية انصاح أمره . فيسعب والحالة هذه إيجاد ذلك الرجل الموهوم بين طبقات سكان الولايات المتحدة الواسعة الأرجاء

وثقوا باعتبارنا واحلاصنا نحوكم واقبلوا فائق احترامنا

جورج نب

فما أتمت ترين تلاوة هذه الرسالة حتى وهنت قواها ووقفت على جذع الشجرة وقد بلغ منها التأثير أشده فقال الكونت على سبيل التعزية : إن أبحاثي لم تكن بأكثر فائدة من أبحاث هذه الشركة فقد أرسلت مدة إقامتي في باريس رسائل إلى جميع الجهات ولم أحظ بجواب سار . . . .

— كم من الزمن أقت في باريس ؟

— ستة أسابيع

— لقد شعرت منذ فقدت أولادي وأعز ما لدي كآني غريبة في هذه البلاد وكثيراً ما خشيت أن أظهر نفسي أمام الناس لثلاثي بقروصي بقوارص الكلام لأنهم كانوا يوقرون زوجي كثيراً . . . . والدي يحبني وإنما في

أعماق قلبه شجون وأحزان يزداد كلما ذهبت لزيارته . أكاد أجن وأخشى أن  
تقل شعوري . . . إلهي ! رأفة بي . . .

ثم اجهشت بالبكاء فتأثر الكون تأثيراً بليغاً ولبث برهة يتأمل  
فكفت تریز عن النكاء وطأطأت رأسها ثم رفمته ونظرت إليه وقالت له :  
لا يمكنني إبداء إمتناني لك لأنك أظهرت لي صداقة ومودة لا أستحقها  
وشاركنتني في نكبتني مع أن لديك شجوراً أشد منها

— إعلمي ياتریز أني أحببتك وهذا الحب هو التمزنة الحقيقية لشجوننا  
فارتعدت فرائص تریز وقالت : أنت ؟

— نعم أنا . . . . فلا تعتقدي البتة أني أمزح لأنني فكرت في الأمر  
طويلاً قبل مفاطحتك به فقد تراءى لي عند رؤيتك في شارع رويال أن انقلاباً  
جديداً سيطراً على حياتي . . . . ومنذ ذلك الحين تطورت وبعد أن أقسمت  
أن أبقى حيناً على عيشة الوحدة والتنسك بعيداً عن الدنيا وملاهما ونبتت  
ما أراه ببصري نبت النواة وذلك بعد انتحار زوجتي . . . رأيت أن أسألك  
أن تنعمي علي بقطرة من ماء الحياة فانتعش منها . . . تریز . . . إني أهواك  
فهل تريدین أن ترتبطي معي بعري الاتحاد المقدس فتمتزوج شجوننا وتأخذ روح  
الحياة الجديدة في النور إلى أن يفرق بيننا الردى

فتمتمت تریز وهي لا تتمالك من الاضطراب : مستحيل ما تقوله  
— ولماذا ؟

— لأنني أولاً لست أهلة لك . . .

— لكنني راض بك . . .

— ثم أمراً آخر يحول دون غايتك

— ارتباطك بالرجل الخائن ؟

— نعم

— إبه لن يعود . وهذا خير علاج ناجع لشجونك . . .

فتأوهت تریز وقالت : كم أنت طيب القلب يا عزيزي

— لكنني ضعيف . . . أنت جميلة ونذ كرینني بالتي كنت أعبدها . . .

إني أهواك حقيقة . . .

وأستولى السكوت عليهما برهة كأن علي رأسيهما الطير فتأبط الكونت  
بذراع تريز وسارا في الطريق المؤدي إلى قمة الصخرة  
فأشار الكونت إلى قصره وقال : متى تطبئن عتبة هذا القصر يخال لي  
أن شجونني قد زالت وابتدأت سعادتي الحقيقية التي كنت أحلم بها . . .  
أقبلين ؟ . . . لقد عرفتك من قبل وكنت أحسد صديقي المركب على سعادته  
بقربك . . . فهل تضرين صفحاً عما مضى وتفتحين أبواب المستقبل بيديك  
الكريمتين ؟

فزاد اضطراب تريز وقالت بصوت يمازجه الألم : ماذا تريد أن أفعل ؟  
فأخذها بير ذراعيه وقال بلهجة الوالدة : كلمة قبول . . . فتكوتين سعادتي ..  
رأى الكونت أن يتحصل على تقرير الطلاق وبذا يفوز بأمنيته ويحوز  
درة نادرة فقال : أشجعي فاني آخذ على عاتق كل شيء يهكم أمره . فتدعين  
منذ الساعة بالكونتيس بوسي صاحبة الأمر في قصري . . .

عندئذ حل الكونت عنان جواده واعتلى صهوته وودع تريز ثم سار في  
الطريق المؤدي إلى قصره فشملته تريز ببصرها ولما طادت إلى منزلها أوقفها  
القبطان مندهلاً وقال : من أين أتيت ؟

— من الصخرة

— منفردة ؟

فلم تجب بل أطرفت برهة ثم ذهبت إلى غرفتها وقد تبدلت ملامحها  
فأظلمت الدنيا أمامها وشرعت في البكاء تقول : طفلاندي . . . جان . . .  
رموند . . . أينمكا ؟

## الفصل الحادى والعشرون

### الطلاق

بعد مضي شهرين من زيارة الكونت لصديقته أعلنت المحكمة قراراً يتعلق بطلاق المدعوان جون ردون وتريز تونيليه لترك الأولى الثانية بدون سبب يذكر لم يكن لهذا التقرير ضجة في البلاد بل شر أهالي نيفر لعلمهم بأن الكونت سيمود إلى قصره وينعم على فقراء البلدة كما كان يفعل قبلاً أقام الكونت في قصره أياماً قليلة ثم أخذ معه بضعة من الخدم وقصد بنفسه أكواخ الفقراء والمعوزين وصار يورع عليهم ما يلزم لكل منهم على قدر حاجته

ففي ذات يوم ماتت تريز والدها وأظهرت له عطفاً رائداً ورجته أن يسمح لها بالذهاب إلى باريس فقبل . . . .  
وبعد مضي عشرة أيام أراد الكونت أن يقهر تريز فلم تقبل الكميصة الجامعة فاضطر أن يعقده عند كاهن أمريكي وسر لحصوله بهذه الوسيلة على تلك المعبودة الجميلة . . . .

بعد - فلة الزواج بيوم قصد العروسان جبال لبنان المشهورة بنقاوة هواءها وقضيا شهر العسل تحت سمائها حتى فصل الخريف من عام ١٨٧٩ حيث عادا إلى قصر بوسي وطاشا مغبوطين بالراحة والطمانينة  
ومنذ ذلك الحين انتشر خبر زواج الكونت في هذه البلدة فوصل إلى مسامع الدكتور ربول الذي اندهل من هذا الانقلاب السريع فأخذ قلماً وكتب إلى صديقه الرسالة التالية :

عزيزي جون

طيه آخر رسالة تحتوي على الورد الهامى لشركة فريبورج . وتجد بعد تلاوتها أنه لم يبق لدينا رجاء بإيجاد الطفلة التي نبحت عنها منذ طامين

تريز ليست طليقة فقد تحصلت على تقرير طلاق رسمي ثم تزوجت بالكونت بوسي لابريل فتم لها بذلك قضاء مطامعها وهي تقطن الآن في قصر بوسي الفخم كان لزوجها ضجة في البلدة ولم نعلم كيف تم العقد لأن الكنيسة لم تقبلهما كانت تريز تسمى أن تلتجر فأنقدها الكونت من الانتحار وقد قص علي ذلك والدها فتأثرت لكنني أخفيت تأثري . فسألني عنك فأخبرته أنك في أمريكا فحزن لأنه كان يحبك محبة عظيمة وألقى عبء الهفوة على إبنته لكنه قال بمد تفكر : فهي بالرغم من ذلك صافية الية

وتحدثنا أمس عنك وإذا بتريز قد دخلت علينا بملابس الخيالة فعاقت والدها فاعتقدت أن وجودي بينهما يمكر صفاءهما فأردت أن أنسحب فالتفتت نحووي وأشارت إليّ بعينها الساحرتين فخدمت على مقعدي كماي أصبت بسلاطة التيار المغناطيسي الفتان . . .

وما وقع بصرها عليّ حتى خلطها تعلم شيئاً مما يكنه فؤادي فتاقت نفسها لتسألني عنك لكن الحياء والانفة منعاهما فشمرت بخطائهما وكادت نجھش بالبقاء لكنها قامت مسرعة وتوارت لكلا تظهر أمانمي مضطربة أو مكتئبة تشجع يا جون لان ماضيك ظنون وحاضرک ظلمات فوطده زميمتك على المستقبل

أصالحك عن بمد مصالحة الاخوة الصادقة . . . صديقك القديم

الدكتور ربول

وتليها رسالة من شركة شارع الانتصار الموقرة هذا نصها :

سيدي

لقد أرسلنا مندوبين من طرف شركتنا إلى بريطانيا أحدهما إلى أقصى جهة منها والآخر إلى أقرب جهة تجاها طولا وعرضا فلم يجدا امرأة تدعى بالاسم الذي نوهتم عنه . وقد ضاعفنا البحث فلم نجبن فائدة مما حملنا على إبداء أسفنا والاقرار بفشلنا وهذا لم يكن قط من عوائد شركتنا لان مساعينا تكمل دائما بالنجاح

واقبلوا فائق احترامنا واعتبارنا لشخصكم الكريم  
عن شركة فريبورج وهوشار

فريبورج

ماد كل من فريبورج وهوشار وبوسكاري زعيم المهمة ولما استقروا في  
غرفة الاول قال هذا لبوسكاري : لا بد أن بين القضيتين علاقة ؟

— وما الفائدة من هذا الاستنتاج ؟

— لا شيء سوى أن الدجاجة ستبيض أقراصاً من الذهب

— لكنها بميدة عن مطامك . . .

— هل بحثت جيداً ؟

— بحثت في جميع قرى بريطانيا وأكوأخها حتى الضباع الحقيرة

— فلنختم إذاً على هذه القضية ؟

— فلنختم عليها كأنها لم تكن . . .

انصرف بوسكاري وهو ينرم بهذه الكلمات : سوف أتمكن بنفسى

من هذه الأقراص لتكون لي

انتهى الجزء الأول



# الجزء الثاني

إبنة ذات الملايين

—>>>◊◊◊<<<—

## الفصل الاول

بعد مرور خمسة عشر عاماً

في يوم ١٢ مايو سنة ١٨٩٤ وقفت عربة قديمة أمام كوخ في شاتلون  
وترجل منها مسافر فأسرع غلام لمقابلته وسأله : هل فوكار هنا ؟

فأجابه الغلام - نعم ياسيدي

--- هل هو في صحة جيدة ؟

— على ما يرام

وكان فوكار صاحب الكوخ جالساً على مقعد من القش . أما الخادمة  
جيرارد فلم تزل على ما كانت عليه قبلاً من القوة والنشاط مجتهدة في عملها المنزلي  
فتقدم المسافر الى صاحب الكوخ الذي كان يستنشق رائحة اللحم المشوي  
ووضع يده على كتفه وقال بصوت خافت : أنا هو ...

فالتفت الشيخ فوكار ونادى جيرارد فاقتربت منه فقال : هل أنا مخطئ ؟ ...

أليس ضيفنا هو جون ردون ؟ ...

فقال المسافر : أنا هو جون ردون ابنكم المطيع

--- لا أصدق ما تقوله

— هل نسيتني ؟

— مضي روح من الزمن لم نسمع من أخبارك شيئاً يدلنا على وجودك ...

فد الشيخ ذراعيه ومانق جون وقال : هل نجحت أعمالك ؟ .. هل صرت

سعيداً ؟ ..

— لقد نجحت بحمد الله ...

- فقال الشيخ جيرارد : أعددي الطعام فاني جائع  
 فأعدت جيرارد المائدة وركت الرجلين على انفراد . واستمر الشيخ  
 في حديثه سائلاً : كم لك من الزمن هنا ؟
- ثمانية أيام فقط
  - أين كنت قبلاً ؟
  - في مجاهل أمريكا
  - هل كنت هناك كل مدة غيابك عن فرنسا
  - نعم
  - وشؤونك الداخلية
  - ناجحة
  - إلى أين أنت ذاهب الآن ؟
  - إلى شاتوشينون
  - من تقصد هناك ؟
  - كاتب عقودنا المسيو بوشين
  - هل كانت لك مكاتبات مع أحد في فرنسا في مدة هجرانك
  - نعم
  - لكن أنباءك لم تكن تصلنا ؟
  - كان ربول يرسلني أربع مرات في العام
  - من هو ربول ؟
  - هو صديقي القديم في السكليه . فقد أخذ على طاقه مهمة تتعلق بي
  - فكانت تصلني أنباء منه ومن الأقرباء والأصدقاء . لم أرسلك لأنني لم أرغب
  - أن يعلم أحد أن مقري على اني ما فتئت أفكر بك ...
  - ولم أنت ذاهب إلى مكتب بوشين ؟
  - لشغل بشأن مزرعة سوطاجير التي ستشهر غداً للمبيع
  - ستشترها أنت ؟
  - إذا تيسر لي شراؤها

- فأبرقت أسرة فوكار وقال : أنت غني إذاً؟ .. إنما اعلم إن مزرعة سوفاجير  
تساوي الآن أضعاف ما كانت تساويه قبلاً ...
- لقد حايبت الاعلانات وفهمت ما تساويه تقريباً
- لقد كانت فائدتك من الرحلة جلييلة على ما يظهر ... فهنيئاً لكما
- من تعني سواي ؟
- تبرز ...
- لا تخاطبني بشأنها ...
- وماذا يضرك ذكرها وبينك وبينها مرحلة واسعة؟ ..
- لأبي لا أريد أن أسمع عنها شيئاً
- حسناً . ألا تعلم ان الأمور قد تطورت ... وقد تزوجت الكونت  
بوسي الذي توفي أثر حادثة وهي الآن أرملة ...
- نعم علمت انها تزلت منذ طامير،
- يسرني انك عالم بكل شيء ...
- كان للطبيب ربول حظ بمماينة الجنة في القصر وإثبات حدوث الموت
- لقد زلت قدمه فهوى إلى الصخور حيث تحطم رأسه ومات لساعته .
- فكان لقدمه وقع في نفوس أهل القرى المجاورة لحسناته المديدة
- ساحبي إذا قلت بأن هذه الحوادث المحزنة لا يسرني سردها ...
- فلنبدأ بالأكل . لقد أقسمت ألا أتم بشأن تبرز ورجوت ربول أن  
يكنتم ذكرها في رسائله . تلك المرأة المدهشة التي تعلق بأذيالها ثلاثة أضحي  
أحدهم مختاراً وهو أنا والثاني شهيداً وهو الكونت بوسي والثالث حزينا  
وهو المركيز دي بورد ..
- من أبلغك هذه المعلومات ؟
- لويس روبول الذي قابله في باريس ..
- ألا يزال في خدمة المركيز ؟
- لي

- ألا تزال حاقداً على تريز؟
- أجل . إلى آخر نسمة من حياتي ...
- كيف يقال إنك رجل صالح إذا؟
- وأسفاه . لقد كنت قبلاً صالحاً . أما الآن فلست ذاك الرجل ...
- لا أعتقد ذلك
- لأنك لم تحط البتة بكروب الحياة مثلي ... دعنا من هذا الحديث المولم ...
- مادمت مقيماً هنا فلا بد أن تعود إليك الذكرى ؟ وقد تقابل تريز يوماً
- شوقي إلى بلادي حملني على العودة إليها . لكنني سأغادرها أسفاً متى انقضت شؤوني منها
- وطفلك ؟ .. لم تحدثني عنهما . لا بد أنهما أصبحتا شابتين جميلتين مثل تريز ... أن هما الآن ؟
- جاز عند أحد الأصدقاء في باريس
- والأخرى
- لا تسألني عنها
- هل توفيت ؟
- لست على يقين
- أحضرت الخادمة القهوة فأخذ جون نصيبه
- بعد خمس دقائق بينما كان جون يتأهب للقيام أوقفه فوكار قائلاً : اصغ إلي يا جون ولا تفكر في الرحيل . اختر لك زوجة تفانحك بقية أيامك فتمضيها بعيداً عن الكروب ... وتكون هي والدة لابنتيك وتسفك في محو الماضي وتأسيس المستقبل
- لا أريد زواجاً آخر
- إداً عد إلى البلاد التي أتيت منها ولا تتمن أن تعود يوماً أو يكون الفرق بينك وبين تريز الموت
- تريز غريبة عني على كل حال ... فالوداع . الوداع

فما كان جون يتأهب لركوب العربة قال فوكار لجيرارد : تذكرني ماقلته لك . إنه لا يزال يصبو إلى امرأته بالرغم من اشتداد الحقد بينهما . ومن يمش بر

## الفصل الثاني

### سوفاجير

كان بوسين قد انتهى من تناول الطعام بعيد الظهر فقصده إلى مكتبه وأخذ ينظر إلى المارة من نافذة غرفته لم تمض خمس دقائق حتى وقعت عربة نجمة أمام داره وترجلت منها امرأة حديثة السن بديار الحدد

فاستعد بوشين لاستقبال زائرته ولما دخلت قال : سيدتي الكونتيس قد دخلت وجاست على كرسي نخم . فقال بوشين متأدباً : لم أعتقد أنني سأشرف اليوم بمشاهدة سيدتي .. ما ترغبه سيدتي الكونتيس أقصى بدون تردد ...

— لقد اشتهرت سوفاجير ؟

— نعم . وهل ترغبين شراءها

— بدون شك

— ألا يؤلمك ذكراها ؟

— لقد جف جرحي ...

— يدهشني أن تشتري مزرعة حقيرة وأنت مالكة قصر أنخيا

— إني مدينة لسخاء روجي الراحل

ثم مسحت دموعه كادت تسقط من مقلتها فقالت : أريد سوفاجير ...

لتقطن بنتاي فيها بعدي ...

-- ألا تزالين تفكرين بهما ؟

— نعم . فما هو السمر المتفوق عليه ؟

— سأكون لديك بعد برهة

دخل بوشين إلى غرفة مجاورة كان فيها جمع غفير من الهواة فأخذ يشرح لهم أوصاف عن القرية ومزاياها . وكانت تریز في الغرفة الأخرى تسترق النظر من خلال الباب . وعند ما ذكر اسم ردون أثناء الحديث ارتعدت فرائصها . وانتظرت حتى بلغ ثمن المزرعة ثمانمائة ألف فرنك ...

بعد عشرين دقيقة بلغ ثمنها تسعمائة ألف فرنك وكانت صاحبة القول الأخير الكونتيس بوسي ( تریز )

وفيما كان الجمع صامتاً إذا بقادم خفي لم يمره الجمع التفاتاً لكنه أشار بيده لايقاف المبيع وقال : أزيد على الثمن الأخير خمسمائة فرنك عندئذ اهتزت أعصاب تریز لسماعها هذا الصوت وخرحت من الغرفة فصادفت جون وحماً لوجه فأحنى كل منهما اضطرابه احترق بوشين الجمع واقترب من الكونتيس وقال : ألا تزايدين هذا الرجل ؟

— كلا

— إني أجهل اسم هذا المنافس ... فهل في إمكانه دفع القيمة المتفق عليها ؟

— أما أنا فأعرفه وأضمن دفع المبلغ ...

هذا انتهى الحديث فقال بوشين مخاطباً جون : إتبعني إلى مكنتي فدخل جون وراء بوشين فصادف تریز واقفة فاعترته رعشة وتصعب العرق على جبينه . فقالت الكونتيس برود : سأنتظرك حتى الخامسة في فندق الأسد الذهبي ...

فلم يجب جون بل اقترب من مكنت بوشين الذي قال له : سأعطيك نسخة العقد بعد برهة . فهل تتشرف باسمك الكريم ؟

— ألم تعرفني بعد ؟

— بل لم أرك قط ... بل ... ألسنت المسيو جون ؟

— أنا هو جون من سوفلي ...

— فهمت الآن . يظهر أن أشغالك نجحت في أمريكا ؟  
— وأحمد الله على ذلك

دخل بوشين إلى غرفته الخصوصية وترك جون على انفراد  
ولا بد ان القارئ يتساءل فيقول : لماذا أتى جون إلى فرنسا ؟  
لماذا أراد أن يشتري مزرعة سوفاجير ؟  
لماذا لم تقوَّ تـرـيز على مقاومته ؟

لماذا صعد الدم إلى رأسه حين قابلها وجهاً لوجه ؟

فأجيب : أتى إلى فرنسا ليرتشف كأس الانتقام ويروي غليله ... لماذا لم  
يفكر بذلك من قبل ؟ .. خمسة عشر عاماً مضت وهو صابر على حقه حتى  
أذنت الساعة الرهيبة وحانت ساعة الكونت بوسي الأخيرة فأسفت تـرـيز  
لرفاقه وتأهب جون للعودة إلى وطنه العزيز

إحتمت تـرـيز طول هذه المدة بظل الكونت بوسي وشريعة الزوجية فلم  
يتمكن جون من العودة لماقشتها الحساب

بعد خمس دقائق ظهر بوشين ثانية فأخذ جـرـن قلماً وأمضى العقد ثم أعطاه  
حوالة على بنك فرنسا بثمان المزرعة مضفاً إليها الفوائد وانصرف إلى فندق  
الأسد الذهبي ولما وصل إليه استدل عن غرفة الكونتيس بوسي

طرق باب الغرفة نمرة ٣ فخرجت له خادمة فسالها جون : أين سيدتك ؟  
— في غرفتها

— هل تسمح لي بالدخول ؟

— بل هي تنتظرك بفارغ العسر

دخل جـرـن فقالت الكونتيس لخادمتها : إذهبي إلى الخوذي وسمريه بأن  
يهيء العربة . فأطاعت الخادمة وانصرفت

## الفصل الثالث

### الإيضاح

كانت تبرز واقفة أمام نافذة فأغلقتها وقالت : لقد دعوتك لأمر يختص بي دون سواي . أجهل سبب عودتك إلى هذه البلاد . ولا يهمني ذلك و أدعك الآن إلا لتجيبني على أمر واحد ...

— وما هو ؟

— إعلم أن حقي بالوادية لم يضع مادمت في قيد الحياة . لم تكثف بأهلك هجرتي بل أخذت الطفلتين اللتين أودعت فيهما فؤادي وأحببتهما الحب الجم . . لقد طأنت طول هذه المدة أطم العراق وتجرعت كأساً من العذاب . تذقها امرأة قط ... أكلتك عن انتي . ما بين هما

فأجاب حين وهو رابط الجأش لا يذهاني عدم تحسنتك مني وسؤالك عن أعمالي فقد أصبحت طليقة مضمومة بشرة الأميرات بعد أن اشتهرت بالفضيلة والنعاف ... ولا يسوءك ما نحملت من الكروب بعد أن ألحقت بي طاراً لا يحصى . فحملت بينك وبين الرذل الذي طردته من منزله حائلاً منيعاً ... لا تنذهلي لأن أعمالي سححت فالمقادير لا تسمح لكل شقي تعس مثلي أن يثري في بلاد الغربة . . . أسفت لتعريفني بيزر طفلتين ووالدهما لكن أسفي زال بزوال الأعوام . عدت إلى فرنسا لأقيم فيها مدة قصيرة لاشاهد عاقبة إنتقامي الذي زاد سميره على كثر الأعوام

— إدا أنت طائد لمدة قصيرة

— نعم . ثم أعود إلى أمريكا

— متى تعود ؟

— ما فائدتك من هذه الاسئلة . . . ويني وبيك مرحة . . .

— لا تمتقد إنني أريد الفتاتين لنفسي إما أريد أن أستعلم عن صحتهما ...

فبالله عليك لا تبخل عليّ بهذه المنة

- إذ كنتم هذا الاسم عنك أحمد .. وإذا أصررت على عزمك أجيبيك  
 -- إني صاغية فتكلم ...
- لا تنتظري مني كرمًا أو نبالة . لست إلا ابن ولاح برعى الاغنام  
 وأصبحت بعد هفوتك شقياً طريداً أوي إلى المغاور النائية ويقنات من لحوم  
 الحيوانات البرية ... سألتني عن ابنتيك فأجيبيك : الاولى معي وهي جان وقد  
 استوحشت لوجودها معي بدونك مد فادرنا نثر الهافر فسأنتني عنك فأجبتها :  
 لن نراها بعد اليوم فقد توفاه الله .. إنها الآن في ربيع حياتها  
 -- يا لله . هل قلت لها هكذا
- أجل . وهل كان يمكنني أن أقول غير ذلك ؟ هل كنت تظنين إني  
 أظلمها على الحقيقة وأخبرها إني ركنك مع خديك . فإذا يكون تأثير ذلك  
 في نفسها وأحلافها وهي كالشمعة ينطع فيها أقل أثر  
 -- أنت عديم الشفقة  
 -- هل ناد في فؤادك درة من الشفقة قبلاً ؟  
 -- لقد كهرت عن دويجي بعد مرور تلك الاعوام الطويلة  
 -- لمد زادت ذنوبك في لوعتي وشجرتي  
 -- هل يقضى عليّ بعدم مشاهدة بنتي  
 -- بدون شك  
 -- إن أصبر طويلاً تحت لواء هذه الشريعة  
 -- نصبرين مرغمة  
 -- أتعلم ماذا أفعل إذا ضاق ذرعي ؟  
 -- لا أعلم ولا بهمني أن أعلم  
 -- أستعين بالقضاء فيحكم لي بالفتاتين  
 -- لم يحن الوقت بعد لتمتعي بمشاهدة بنتيك ... تلك الساعة الرهيبة --  
 أعني ساعة القضاء -- تكون ساعة نزال عنيف بيني وبين المرأة التي خدعتني ..  
 حينئذ تخير الفتاة بين والدها الذي انتشلها حديثه السن من وهدة الفساد  
 وبين والدتها التي ألحقت بأسرتها طاراً لا يحصى ... وخصوصاً ...

ثم أخذ من محفظته ورقة رثة لقدميتها وأتم كلامه : هذا هو الاقرار الخيف ... سر ولادة الطفلة الاخرى ... طفلة سفاح ... سر زلة لا تمحى ... متى وقع نظر القضاة عليها وعلى الامضاء بخط يدك فيماذا يحكمون ؟  
مادت ذكرى الماضي إلى مخيلة الكونتيس فاطمت الدنيا في وجهها وقالت :  
وجان ؟ ألا تزال تجهل الأمر

— مادمت لا تطالبين ولا تلحين علي في طلبها تبقى جاهلة

— لم تخاطبني بشأن ريموند

— إحذري أن يسمعنا أحد

— لا يروغني شيء ولا أعتقد أنك أضرت بها . نعم أنت تكرهها

لكن ذلك لا يملك على ارتكاب جريمة ... تكلم . لماذا هذا السكوت ؟

فلم يجب بل ظل شاخصاً في ذلك التمثال الفتان الذي لم تؤثر عليه طواري

الحدثان . فلما ضاق ذرعها تمتمت بحزن : لقد صدق ظني فانك شقي تمس

فقبض على يدها بعنف وقال لا تقوهي بمثل هذا الكلام لا نك لا تقهين

الحقيقة

— أخبرني إذاً عن كل شيء

— إعلمي إذاً اني بعد مغادرة حدائق التويلري قصدت منزل آل رفين

وأودعت عند أحدم المدعو بليز طفلتك . حدث أن توماس أخاه ارتكب

جريمة فقبض عليه وأصدر الحكم عليه فانتحر برصاصة من مسدسه . ثم قتل

بليز في غابات شفان . وكان القتل زوجاً . فتركت أرملة البلاد قاصدة مسقط

رأسها في المورهبان في بريطانيا والطفلة معها ( طبعاً ) ...

وتوقف جون عن الكلام فتشوقت تيريز لمعرفة تنمة الحديث فقال جون :

لم أقصد الاضرار بها إلا أن المقادر أرادت أن تفقد ... لقد أذنت بيد أي

مستعد لبذل نصف ثروتي في سبيل البحث عنها ... فلا بد من البحث عنها .

أما جان فهي لي ولن ينازع أحدنا الآخر ... ريموند لك ...

ثم أراد الانصراف بعد أن فاه آخر كلمة كانت خاتمة الحديث : الوداع

فوقعت الكونتيس خاترة القوي وأخذت تناجي نفسها بهذه الكلمات

المؤثرة : ريموند . أين أنت أيتها الملاك الطاهر ؟ ... إلهي أرشدني إلى الطريق المظلل بنعمتك المرجوة ... أأكون سبب شقاءها وأتعم في بحوثة الرقاهية ذلك لا يكون أبداً ...

## الفصل الرابع

### الرابطة الوثيقة

ركبت تيريز العربة فسارت تجمد في سيرها حتى وصلت إلى قصر بوسي  
الفخم نحو الساعة السادسة  
كانت ليوني تنتظر سيدتها بفارغ الصبر فلما قابلتها قالت : يظهر أن  
سيدتي مكنئة

— نعم . ولكل أمر سبب

— عسى أن تكوني قد توفقت إلى مقر الابلتين !

— والأسفاه ...

دخلت تيريز إلى غرفتها وجلست على مقعد بقرب خوان واستسلمت  
لتأملاتها المقلقة

بعد خمس دقائق قامت تيريز والتفتت إلى خادمها وقالت : ليوني . أأثق

باخلاصك ؟

— أترك الحكم لسيدتي في هذا الأمر

— إني في حاجة إلى مساعدتك ... وإلى شخص آخر ...

— بماذا تأمرني سيدتي ؟

— أن تتأهي للسفر إلى باريس

— متى ؟

— في قطار هذا المساء فتصلين إلى باريس في الساعة الخامسة صباحاً

— ممماً وطاعة

— ألا يزال روبرول في خدمة المركز دي بورد ؟

— نعم

— قصر المركز في شارع فيز أندري ... ستلتقيين بلويس وتسلمينه رسالة

ليدفعها إلى المركز سراً . سأنسخ الرسالة بينما تتأهبين للسفر ... لا يجب أن

تعلم زوجته شيئاً ...

— حسناً

شرعت تركز نخط الرسالة التالية وهذا نصها : —

صديقي

دعني أدعوك هذه المرة بالصديق . اعلم ان زوجي الأول قد عاد من

رحلته الطويلة . دعوته إلى مقابلي وسألته عن انتي . فقال إن إحداهما وهي

جان معه والأخرى وهي ريموند أودعهما عند حطاب يدعي بليز رفين وقد

قتل في غابات شافان ومنذ ذلك اليوم لم أسمع عن أرملته ( وكانت تجهل أصل

الفتاة ) خيراً وقد مضى الآن أكثر من خمسة عشر عاماً وأصبحت المسألة

نسياً منسياً . . هذا ما قاله زوجي ومنذ ذلك الحين أخذ زوجي الأول

في البحث عن ريموند إلا إن أتعبه ذهبت سدى إذ لم يعثر عليها

تسكاد تدرك مبلغ حزني لدى سماعي هذا النبأ المزعج وقد كنت ما في

نفسي من لواعج الشجون . ولم يتأثر جون ولن أعتمد انه هو السبب في فقدها

كما انه ليس برجل وحشي . إلا إن العاقبة ستمود علينا بمرارة الأسى . كيف

لا وهي نتيجة صلاتنا اللذيذة ... فلربما ذهبت ضحية أحكام القضاء ... أو

هي الآن طائفة تحت ظلال الفقر المدقع ... تعيسة بلا معول ...

كان جون يرسل بليز في حياته مستتراً باسم مستعار لكيلا تلتقي عليه

الشبهة . وبموت بليز عادت الأرملة إلى مسقط رأسها في المورهبان ومعها

الطفلة ريموند والمبلغ الزهيد الذي أنطاه جون لبليز . لا أظنه يسد العوز

لم يتمكن جون من مراسلة الأرملة لأنها تجهل الكتابة ... ولم يدق

لعزائي بعد فقد زوجي الأخير غير ابنتي . جان التي تجهلني تماماً وقد أخبرها

جون حينما استوحشت لوجودها بدون والدتها بأني انتقلت للعالم الآخر .  
فيا لهول الانتقام الذي بدا من جون

وإذا سمعت للتغرب منها هددني أن يطلعها على الذئب الذي افترقه منذ  
خمسة عشر عاماً . وتنفّر مني زموراً أبدياً

تعزيتي بها أن أراها متمتعة بجمام العجوة وسعيدة راغدة  
أما الثانية التمسة فما علمنا رآها لرحمة النصارى .. لا بد من طريقة نسير  
عليها . أنت صاحب الأسم وأنا القائمة بتنفيذه

غداً اذهب إلى باريس مجددي عند الساعة التاسعة خلف كنيسة مادلين  
فلا تخيب الأمل كما خيبته منذ نيف وخمسة عشر عاماً ...

صديقتك إلى الأبد

تريز

حمت تريز الرسالة ودمت خادماً فقالت لها : لا تنسي ما أوصيتك به  
— اطمئني

بعد انصراف الخادمة أهدت تريز تناجي نفسها بهذه الكلمات : سأراه  
غداً وأتمتع بألفاظه العذبة

## الفصل الخامس

هناك

في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي بينما كانت الكونتيس دي بوسي  
تتأهب للذهاب إلى باريس كانت فتاة في الثامنة عشر من العمر مرتدية ثياب  
القرويات وخارجة من كوخ حقير في قرية لسدهن فوقفت أمام نافذة هذا  
الكوخ وقالت : اطمئني يا والدي وسأعود باكراً . نامي بسلام  
مرت الفتاة بجانب البحر المتلاطمة أمواجه على الجبال وبينما كانت تتمتع

بصرها بجمال الطبيعة الهادئة قابلها فتى أشقر اللون فقال : أسعدت صباحاً أيتها الالسة الجميلة . فردت الفتاة عليه التحية وقالت : أين أنت ذاهب يا جيرك ؟

- لأقضي حاجتكم

- ماذا تفعل اليوم يا جيرك

-- أصطاد كالمعتاد

- لا تقنط من رحمة الله أيها الصديق . الوداع

- إلى الملتقى

سار كل في طريقه وكان صديق سوزان يدهى جيرك كركافن وهو فتى شجاع لا يهاب، أخطار البحار وأمواجه طاري الرأس والقدمين مرتد ثياباً رثة . فأخذ يناجي نفسه قائلاً : « ما أسعاني هذا اليوم » . وما زالت سوزان سائرة حتى وصلت إلى كوخ الآب كرحوز فقام ذلك الشيخ وقال طرباً : سوزان . أهذا أنت

-- نعم . وأعتقد إن إقامتي هنا لا تطول

-- لا ريب في ذلك . وسيأتي اليوم الذي فيه تفكرين

-- لا أعلم كيف . يكون مصيري في رحلتي العتيدة

-- الخير دائماً ... ان فضل الملازم بيير لا يقدر لأنه اعتنى بتثقيفك

فأصبحت تتكلمين الافرانية جيداً ...

- وأسفاد . لم يتم بيير هنا غير ثلاثة أشهر ونصف تقريباً بعد أن غاب

نيفاً وسمع سنين

- من أخبرك بذلك ؟

- مدام كز دانيل وهي تحب ابنها حباً يقرب من العبادة

- هي امرأة صالحة تقية القلب

- ولكن قد مضى الآن أكثر من عامين وهو بعيد هنا

- كم مرتبك الآن . أظن فرنكيين في اليوم

- بل زادت لي نصف فرنك منذ سنتين

- هل والدتك بصحة جيدة

- لم تزل كما كانت قبلا من حيث فقد الكرة والغيوبة
- الفقر المدقع آفة تحيط بنا إحاطة السوار بالمعصم ... ما أحلى الجنة  
وكم أود أن أنتقل إليها ...
- لا بد لنيل ضالتنا المنشودة من خوض معامع البؤس والفاقة
- هل قابلت جيرك هذا الصباح؟
- نعم
- جيرك طيب الأخلاق حسن السيرة ومثال الشبان الأدباء
- أدركت الفتاة أنها قد تأخرت عن الميعاد المعتاد فانسحمت وهي تقول :
- لقد تأخرت إذ يجب أن أصل الساعة الثامنة
- إلى الملتقى هذا المساء يا بنية
- أشمل الآب كرجوز غليونه . . وأخذ يتمم قائلا : الجميع هنا يعمقدون  
ان سوزان ابنة ايفون تريفن وأنا أعتقد خلاف ذلك ... لقد مضى على هذه  
الحادثة خمسة عشر عاماً ... ربما كانت ابنتها حقيقة ولدتها سرّاً وأخفت أمرها  
خشية الفضيحة
- سارت سوزان بين الصخور المتجمعة على شاطئ البحر والتي تكون جبلاً  
اصطناعياً حتى وصلت إلى كردانيل ذات البناء القديم المشيد من حجر الجرانيت  
ويرجع عهده إلى القائد الشهير والبطل الصنديد دوجكلان وقيل إن عائلة  
كردانيل من سلالة ذلك القائد
- يبلغ عمر الملازم كردانيل تسعة وعشرين عاماً وهو قائد فرقة وملازم  
في تونكين أما والدته فتقضي أوقات الفراغ في الصلوات والتضرعات
- دخلت سوزان وقالت مخاطبة امرأة طاعنة في السن جالسة على مقعد من  
الخشب : لقد انشغلت بمحادثة الآب كرجوز فتأخرت قليلا
- بماذا حدثك لعلها أمور تسرك
- لا شيء مهم
- كانت مدام كردانيل ترى سوزان بنظراتها المملوءة حنواً وعطفاً وكانت  
هذه تقوم بعملها المعتاد . فقالت تلك السيدة المعجوز : وصلنتي أبناء من  
صديقتي التي في باريس

— مدام رامل ؟

— نعم . وهي التي كانت قبلاً لا تملك شيئاً أما الآن فقد أصبحت من شهيرات صانعات الأزياء النسائية في باريس ... لقد اقترضت مي مائة فرنك، كانت في احتياج إليها فأرجعتها إليّ وهي حافظة الجليل في كل وقت ... لا يغرب عن بالك إنك إذا احتجت يوماً إلى مساعدة فاطمها منها وهي لا تتأخر ... إنها تقطن في شارع السلام في باريس ...

كانت مدام كрдانييل تفكر في عودة ابنها لأنه كان تعزيتها الوحيدة بعد فقد زوحها الذي أصيب بحمى في جزائر المارتينيك فقضت عليه بعد ساعتين وذلك منذ أربعون عاماً ونيماً

في الساعة الحادية عشر أعدت المائدة وإذ ذاك طرق الباب وكان الطارق نسيس القرية وهو طاعن في السن ذو لحية بيضاء ومرتد ملابساً قديمة وقبعة غشاها الغمار وفي يده عصا . فصاحت سوزان لرؤيته : لقد أتى راهبنا ...

جلست سوزان، إلى جانب الراهب مواجهة لمدام كрдانييل . وفما هم يتناولون الطعام إذا ساعي البريد دخل وحياهم بلطف ثم أخرج من محفظته رسالة مطبوعاً عليها إسم وزارة الحربية

أخذت مدام كрдانييل الرسالة وحصتها بامعان ثم فضت الغلاف ولم تكده تأتي على بضع كلمات من الرسالة حتى اهتزت أعصابها واهتزع لونها فوضعت يدها على أسرها وقالت بتأوه : إلهي . . .

وضعت الرسالة أمام الراهب وقالت : اقرأ ... لا يمكنني ... لا أرى شيئاً ...

أخذ الراهب الرسالة وقرأ ما يأتي :

سيدتي

نخبرك بمزيد الأسف والحزن نص رسالة برقية وصلتنا من تونكين : ان نجلك الملازم بطرس كрдانييل أصيب بجروح بليغة بينما كان بطارد الأعداء في ضواحي لاوباج

لذا أقدم لمعالجته نطس الأطباء فنرحو أن يعود إلى الصحة وسنبلمنك عن حالته لدى أي تغيير

نأمل أن نتقي أيضاً بشعورنا وواجبنا نحوه ما

عن لوزير

امضاء ملتبس

كان لهذا النبأ وقع في فؤاد الأرملة الشاكلة وعبثاً كان الراهب يحاول تسكين روحها بكل كلمات النمزلة المرجوة شفاؤه

فما كان منها إلا أن تحبس : إن نفسي حدتني بوقوع المصاب ولا فائدة من التعليل . لقد اشتممت رائحة الموت من خلال هذه الرسالة المفجعة

جد الدم في عروقها فثبتت مكانها وهام بصرها في الفضاء وطلت أذنها ونبض قلبها بغير انتظام وتوتر ذراطاها

فصاح الراهب بيأس : لقد أصيبت بشلل ... أسرعوا بالطبيب ...

فتبسمت تبسم القانطة وقالت : ما فائدة الطبيب . أليطيل أيام حياتي أم يقصر مدى آلامي

وعند الساعة الثالثة فتحت الأرملة عينها وأشارت لسوزان بأن تقرب منها وقالت بصوت مهتج : ستصبحين بلا معين . ولن تلذك الإقامة في هذه البلاد ...

وأومأت إلى الراهب مشيرة إلى خزانة ففتحها وأخرج بعض أوراق مالية بقيمة ستائة فرنك فقالت : هذه لك ياسوزان . ليتني أمتلك سواها

ثم ظهر التأخير على محياها فانقلبت على فراشها واهية القوى

عند الرابعة استيقظت ولكنهما يقظة الاحتضار الأخير فقالت بصوت متقطع : كارو ... لين ... اقصديها ... في باريس ... من قبلي ... فلا تردك حاتبة ...

رقدت الأرملة رقادها الأبدي . وذهبت روحها إلى خالقها ...

وظهرت هيبة الموت على محيا المائنة فلم يتغير وجهها بل ظل محافظاً لرونقه كما كان في الحياة

في غد اليوم التالي سار جماعة من القرويين فواروها التراب في مقبرة  
كردانيل آسفين

حادت سوزان بعد أن بكّت بكاء مرّاً وشرعت تكتب رسالة إلى بيير  
كردانيل

وبعد يومين خرجت من المنزل حيث كانت حاملّة أكثر من ستة عشر  
حاملاً

فسارت إلى كوخ أرملة بليز وحالما وصلت التفتت نحوها وقالت : إلى  
أين ذاهبة ؟ فعانقتها سوزان وصعدت الزفرات وقالت : الوداع يا أمّاه . . .  
— ستمودين ولا شك ؟ . . .

— نعم  
تركتها سوزان وذهبت إلى لندفّن حيث قابلت الآب كرجوز في كوخه  
الفاص بالقرويين فقالت له : أريد أن أحرّك شيئاً يتعلّق بوالدني

ثم وضعت مائة فرنك على الطاولة وقالت : ستمتني بها وتقوم بما يلزم لها  
— أعدك بذلك

— ويسرني أن تواصلني بأنبائها

— حسناً

فتأوهت سوزان وقالت : لقد أدركت الآن إنني لم أحاق لأكون سعيدة  
— من يعلم ؟ الرجاء خير علاج

— إنني خائفة

— أفيجي بيننا إذا ودعي عنك أهوال ومشاق الأسفار

— أنت تعلم جيداً أن الإقامة هنا أصبحت لا تليق بي

— اذهبي سلام ولتصحبك العناية الإلهية. ولا تقاطعينا

— سأواظب على وداكم

— إن لم تطب لك الإقامة فهل تمودين ؟

— بدون شك

— إن المسافة بين لندفّن ومحطة أورّي ستة فراسخ

— سأقطعها ماشية

ودعت سوزان الآب كرجوز وسارت حتى قمة الصخور المجتمعة على شاطئ البحر فسرحت بصرها لآخر مرة إلى القرية والبحر . ولما تذكرت والدتها (أرملة بليز) سكبت العبرات وبلغ منها التأثير منتهاه فحوت بصرها ودهشت إذ رأت صديقها القديم وقالت بصوت خافت : جيرك ... ماذا تصنع هنا

— جئت لوداعك

— كيف علمت إني مسافرة؟

— تبين لي إنك ضجرت من الإقامة في لندن

— لماذا؟

— لأن المعيشة هنا لا تليق بك ... أنت ذاهبة إلى أوري؟

— نعم

— إلى أين تقصدين؟

— إن مدام كردانيل أوصتني أن ألتجأ إلى إحدى صديقاتها لنمتمني بي ...

— أتودي أن أرافقك إلى مسافة من الطريق

— والصيد؟

— لقد أبلغت سيدي بأني لن أعمل اليوم ... إن أفكاري مشتتة

— ما سبب تشتيتها

— شجون ...

— أتشكو الماء؟

— منذ زمن يسير ... لقد حان الوقت لأقدم نفسي إلى الجنديّة

— أيكدرك أن تكون جندياً مدفِعاً عن بلادك ضد غزوات الأعداء

— كلا . إلا أنني أفكر فيما إذا كنت نحتاجين إلى مساعدتي يوماً ولا

أكون لديك ...

— فتبسمت سوزان وقالت : إن صداقتك نادرة بين الشبان أمثالك

تذكرت سوزان الملازم بيير وكيف كان شفوفاً عليها فلم يهمل تربيتها

وتثقيفها فذرفت الدموع بحرارة . فقال جبرك عطماً : لا تبكي لأن البكاء  
يوهن قواك

كفكفت سوزان دموعها وقالت : يجب أن تقترق بلا ترافقي إلى أوري  
— الحق أقول لك انه لا تمكنني الاقامة في لندنن بدوك  
— وبعد ؟

— جمعت كل مالدي من الدراهم وهي تبلغ اثنين وثلاثين فرنكاً لفقات  
السفر وحيث أصل أبحث عن عمل ...  
— وإذا لم تجد ماذا تفعل ؟

— أعود متى رأيتك سعيدة ... أتودي أن أكون لك رفيقاً سميحاً  
في رحلتك ؟

— لم لا ... لكنني أفضل أن تبقى في لندنن  
— فسكت قليلاً ومازالا سائرين حتى وصلا إلى أوري فاقترب جبرك  
من نافذة صغيرة وقال : تذكرة إلى باريس في الدرجة الثالثة ؟  
— أربعة وعشرون فرنكاً

— فطرح وجه جبرك سروراً ودفع القيمة المطلوبة  
بعد ساعة من الزمان غادر القطار أوري وسار يقطع الغياض والترع  
والمستنقعات

كان الليل قد ذهب منه شطراً وكانت سوزان في سبات عميق  
بقي جبرك طول الليل ساعراً ولم تغفل عينه لحظة لحراسة سوزان التي  
بجها محبة عظيمة ولما بدت بإشراق الصباح وضع يده على يدها فاستيقظت وقالت :  
لقد وصلنا

فلم يفه بل أخذ يتمتع بصره في تلك المدينة العظيمة وأول ما تراءى له  
رج إبفل الحديدي المدعو بقوس النجم وأطالي مونمارتر  
بعد بصع دقائق نزلت من القطار يتبعها جبرك ولم يدريا كيف يتجهان

## الفصل السادس

## مفاجأة

دخل لويس روبول إلى غرفة المركز دي بورد وكان جالساً بقرب مكتبه يتلو رسائله الواردة فالتفت نحوه وقال : ماذا تريد ؟

— وردت رسالة لسيدي

— من أيها ؟

— خادمة

— ما اسمها ؟

— إن لسيدي معرفة تامة بها . . . فقد رآها مراراً عند الكونتيس

دي بوسي

— أخذ المرکز الرسالة ولم يكذب يطلع على أركانها حتى احمر وجهه فقال :

لا يجب أن أتلهها

— لا بد أنهما مهمه وإلا فلم تكتب . . .

— هل أنت مطلع على أبناء جديدة ؟

— نعم عاد ابن عمي وقابل الكونتيس عند كاتب المقود

— في شانوشينون

— نعم

لم يكذب المرکز يتلو الأسطر الأولى من الرسالة حتى تغير لونه فسأله

روبول قائلاً : ماذا حدث لسيدي المرکز ؟

— خطب ماثل

— وما هو ؟

فقال : لقد كان لدي طفلة نشأت عن علاقتي الغرامية بهذه المرأة التي

أحببتها حباً مبرحاً

فقال لويس : لا بد أن ابن ممي اعتنى بها مدة رحلته الطويلة وأتى بها إلى فرنسا

— كذا كان اعتقادي . ولم أعلم أن ذلك الرجل الذي ظننته حكيمًا عادلاً قد أثقل عبء هفوة والدة على كاهل إبنتها  
— ماذا فعل ؟

— ترك الابنة عند أرملة حطاب هاجرت بلادها بعد موت زوجها ولا نعلم إلى أين ذهبت وقد مضى على ذلك خمسة عشر عاماً . يا للهول  
ظهر التأثير على محيا المركيز فوضع الرسالة داخل درج وأقفله بمنف وقال :  
بمن نستعين وما العمل فقد بحث غيرنا ولم يظهر بطائل  
— لا بد أن الأرملة لم تزل على قيد الحياة وإلا لذكر اسمها في سجل الوفيات

— سأفكر في الأمر ملياً . . . . . مر باحضار الجواد فأنتزه لترويح النفس . . . . .

وقف المركيز بعد انصراف خادمه امام رسم امرأته وقال : لم تخلف أولاداً  
سار الجواد يمتطيه المركيز والناس تشيمه بنظراتها ولسان حالهم يقول :  
انظروا هوذا أسعد الخلق

في تلك البرهة برزت هيفاء ممتدلة ذات عينين ساحرتين من باب غرفة المركيز هي زوجته وقالت : لقد أبكر اليوم وربما كان في الحقيقة . . .  
عندئذ أطلت المركيزة من النافذة فوجدت رويول فسألته : ابن المركيز ؟  
— منذ هنيهة خرج والأرحح أنه قصد إلى الغابة كعادته

عادت إلى الغرفة فتمسكنت من مناقاة رسم والدة المركيز التي كانت سبباً لسعادتها ونجاتها من الموت

إلا أن أمراً أدمى دواها فانها لم تخلف أولاداً طول هذه المدة  
كان المركيز فيما مضى مهذار الجماعات وسمير المحافل في الليالي الراقصات  
أما الآن فقد تحول فرحه وسروره إلى سكينه دائمة فلا يبتسم إلا نادراً بل  
يعبس كثيراً

كانت هذه الزوجة التهمة تسائل نفسها مراراً من سبب هذا السكوت فلم تكن تدري هل انقلب حبه لها أو لم يزل محافظاً على عهوده مرغماً؟ جلست أمام مكتب زوجها وفتحت درجاً وأخذت تبحث بين أوراقه فوجدت رسالة حديثة العهد . نخطر لها أن تتلوها وما اطلمت على الاسطر الأولى حتى اصفر لونها وتذكرت سبب رفض المركز الاقتران بها أولاً ثم قبوله مرغماً

فأخذت قلماً وسخت الرسالة بحروفها ثم ردتها إلى مكانها وشرعت تفكر في وسيلة لمساعدة زوجها

قامت ومشت ولم تكذب تصل الى سمة الباب حتى فتح الباب فجاءه وبدامه المركز فقال مندهلاً : أنت هنا ؟

— نعم . من أين آت ؟

— تزهرت قليلاً في الغابة وكانت مزدحمة بالجماهير

— هل شاهدت والدتك

— كلا إنما سوف نلتقي لتناول الطعام

— أين ؟

— حيث تطيب لنا الاقامة فننحدث بأمر مختلف

— وخطيرة

فسكت المركز موجهاً . فقالت المركزية به : سكوت ممل : أتدري لماذا مكثت زمناً في غرفتك ؟

— كلا ؟ هل كنت تبحثين عن كتاب للمطالمة ؟

— كلا

— هل كنت في منظاري لحائكك إلى بعض المقود

— لقد استفصلت من نفقاتك ما يغنيني عن مطالمتك

— أنت مبذرة . . . .

— انتظرتك لا تحدث معك بشأن

- وما هو؟
- يتمذر عليّ التكلم عنه
- ترعيني بكلامك هذا
- بل أن تغير ملاحظك خلال هذه المدة قد أرعيني أكثر
- أحقيق ما تقولين؟
- لا بد أن أمراً أقلق راحتك . . .
- والحقيقة!
- تكدرني أن لا تثق بي ولا تأنس إليّ والمرأة شريكة الرجل تشاطره أتراحه وأفراحه
- لا أخفي عليك أن الهرم قد أورثني حب الوحدة والافراد
- ألا تدري أن مدام بروس أخبرتني بأن من يراك لا يقدر لك أكثر من ثلاثين عاماً
- بل أكثر من الأربعين
- أتمدني منذ الآن بأن تستعين بي وقت الحاجة؟
- فلم يجب بل اقترب منها واطاقتها بلطف وقال: لقد تجاوزت سن الصبا . . .
- ذلك يزيدني تعلقاً بك . . .
- لماذا!
- لأنني لم أر رجلاً أخلص زوجته مثلك
- استأذنت المركيزة وانصرفت وهي تبسم عن نية سليمة فلم يرتب في عدم إهتمامها بمعرفة دخائله
- أراد المركيز أن يقصد شركة فريمورج ليستعين بها في الحجاد ضالته لكنه رأى من الصواب أن يقابل الكونتس لعله يستفيد منها ببعض المعلومات
- كانت المركيزة تراف سككات زوجها بينما كان يتناول طعام الغداء دون أن يشعر بها
- وفي الساعة الرابعة مساء خرج المركيز مصطحباً زوجته للنزهة في الغابة
- ولما كانت الساعة السادسة تركته عند باب نادي شارع رويال وطادت إلى منزلها

في التاسعة سار المركز في ميدان الكونكورد واختار شارع مارلب وسوق الزهور إلى أن وصل إلى خلف كنيسة مادلين حيث كانت امرأة واقفة ملثمة بلثام ولاسة ملابس الحداد . فاقرب منها وقال وقد زلزلت الرعدة مفاصله : تـريـز

— نعم

— لقد رجوتني للحضور . . .

فرفعت اللثام وظهر وجه الكونتس بأبهي رسم للجبال وخيـل للمركز أنه يرى « جه خليلته الأكر كما كان يراها منذ ثمانية عشر عاماً

فقال وهو يخفي اضطرابه : لقد تلوت رسالتك فشعرت كأن صاعقة انقضت عليّ . أتعلمين حفيقة أمر الدين استعنت بهم لإيجاد الطفلة (يعني الفتاة)

.. نعم . لأن المـيـو ردون قد أرشدني اليهم

— شركة فـريـبـورج . . . . .

— نعم

— وماذا كانت نتيجة بحثهم

— لم يستقروا على شيء لكنهم يعللون بالأمال دائماً والقنوط

يساورني دائماً

— لا تيأسى ولا يزال لما بعض الرجاء

— رعا توفاه الله ؟

— لا ندرى الآن شيئاً مما يحضه الله عنا

في تلك اللحظة كانت عربة تسيير الهويما في شارع مادلين القفر في مثل تلك الساعة وفيها امرأة متوشحة كانت تلاحظ خطوات المركز وهو سائر إلى جنب تـريـز ولما اقتربت منهما قليلاً تبينت على ضوء المصباح الضئيل هيئة الكونتس دي بوسي وهذه المرأة الملثمة هي جبريل زبارة المركز دي بورد سارت العربية إلى الأوبرا دون أن يتحدث ما يكدر صفاء الليلة . فترجلت جبريل وذهبت لمقابلة والدة المركز في حلوتها

لو أصاغت إلى كلمات المركز الأخيرة وهو يخاطب تريز لزادت شفقتها

عليهما وهي قوله : لقد اتفصلنا إلى الأبد . إني أحب جبريل من كل جوارحي ولا تلوميني على ذلك لأنها ملاك الرحمة والمودة الخالصة . أما غرامنا فتوقف على محبة طفلتنا وعسى أن نجد لها . الوداع ...

وأدنى المركيز يد تريز من شفثيه بسرعة ثم تركها تشفعه بنظراتها حتى ازوى في عطفة فوقت ساكنة تسترجع إلى ذاكرتها الماضي ركبت تريز العربية وقالت للحوذي : شارع فيزاندرى ودخل المركيز إلى خلوه الأورا فقالت زوجته : من أين أنت آت ؟ — كنت أتزهر في شارع مادلين

عند انتهاء التمثيل ركبوا العربية فسارت بهم إلى المنزل ولما اختلى المركيز بزوجه قالت : يظهر أنك مكنت — كلا

— لا تنس أن تستمين بي لايجاد دواء لدوائك وبينما كان المركيز يتأمل في رسم ابنته ريموند كانت برز تاجي نفس الرسم وهي تذرف الدموع ناجية : أين أنت يا مهجتي

## الفصل السابع

### السعادة المقبلة

عند السادسة من صباح اليوم استيقظ جيرك وسوزان وأخذوا يفكران فيما يجب عمله

عند التاسعة سارا حتى شارع السلام فوققا أمام منزل فقالت سوزان للبواب : أين تقطن مدام رامل

— في الطبقة الثانية والباب إلى جهة اليسار . ماذا تريدن منها؟

— محدثاتها في أمر

— بصفة خادمة ؟

— كلا

— طلب مساعدتها

— نعم

— عبثاً نحاولين لأنها جافة الطباع

— إني آتية من قبل إحدى صديقاتها

صعدت سوزان وحدها إلى الطبقة الثانية من الجهة اليسرى وطرقت

باباً ففتحه رجل طاعن في السن وقال : من تريدين؟

— مدام رامل

— هل لك معرفة بها ؟

— بل إني آتية بتوصية من إحدى صديقاتها

— هل معك رسالة منها ؟

— كلا ... فقد ماتت منذ مدة قريبة . وهي مدام دي كردانيل . فمي

توصية شفوية منها

— والدة الضابط بيير ؟

— نعم

— سأذهب لابلاغ سيدتي

فذهب ثم عاد وقال : هل من زمن أنت مقيمة في باريس ؟

— أمس أتيت من المورهبان في بريطانيا

دخلت سوزان وتبعها الشيخ إلى غرفة جلست على مقعد

فسألها : هل فقيرة أنت ؟

— نعم

— المحسنين الخياطة والقراءة والكتابة ؟

— الفضل لمدام كردانيل في إتقاني كل ذلك

— هل لديك أبناء من الضابط ؟

— قيل إنه أصيب بجروح بليغة فلما تلقت والدته النبأ انقلجت ثم قضت

إلى رحمة ربها

— اتبعيني وتشجعي

فتبعته إلى غرفة وكانت كارولين جالسه فقالت لها : اقتربي واخبريني عن

سب مجيئك

ثم فتحت حزانة وأخرجت أشياء كثيرة وأشارت إلى مقعد قريب منها

وقالت : احلسي هنا ياسوران، لتحدث سوية

— لقد كنت أعتقد ياسيدتي إنك لا تقابليني مثل هذه المحبة

— أزيلى هذا الاعتقاد من مخيلتك واعلمي أنك تواجهي صديقة من

أخلص أصدقاء مدام كردانيل وممن يقدر وزن الجليل حق قدره ... تقولين إن

مدام كردانيل أوفدتك إلي

— نعم

لأأدرى لم لم تكتب رسالة .. ألم تخبرك أنني مدينة لها

— كلا . بل أخبرتني أنكما صديقان منذ الحداثة

— مسكينة بريجيت ... لقد كانت فقيرة معدومة ولما احتجت إلي دراهم

أعطتني كلما تمكنت جمعه . لقد بوفيت ؟

نخاة

— لقد أخبرني بذلك جوزيف الخادم . اخبريني عن تفاصيل ما حدث

— كنت أذهب كاملة كل يوم إلي منزلها . وذلك منذ عشر سنوات على

التوالي

— لقد نشأت إذاً في لندون ؟

— كلا . فقد نزلت إليها حديثاً السن

— من هي والدتك

— الأرملة إيفون ترين

— لنعد إلي مدام كردانيل . تمهي حديثك

— كنا نتناول الطعام مع راهب القرية وإذا بساعي البريد أتى وفي يده

رسالة من وزارة الحربية خلاصتها أن الملازم بيرأصيد مجروح بليغة وزوجو

شفاه الخ

— هذه كلمات تعزية

— وكانت تحب ابنها حباً عظيماً فاتفجت للحال وتوفيت بعد ساعتين .  
وكانت تريد أن تكتب رسالة لكنها لم تقو ...

هنا توقفت سوزان عن الكلام فكانت دموعها تنهمر بغزارة  
فقال كارولين : ما اسمك ؟

— سوزان

— إسم جميل . وما لقبك ؟

— لا أعلم

— كيف لا تعلمين وقد أخبرتني منذ برهة أن والدتك هي إيفون تريفن  
— الحقيقة إنها ليست بوالدتي الحقيقية بل هي مربيتي ولم تخبرني شيئاً

عن نسبي

— لله منها . أحق هذا ؟

— لا وإيما فقدت رشدها وأنا صغيرة ومنذ ذلك الحين لم أعلم شيئاً .  
وكنت أقوم بأودها من مأكل وملبس وخلافهما . ولولا مساعدة مدام

كردانيل لئلا أصبحنا في حالة عسرة

— إعلمي إذاً إنك سترتاحين هنا أكثر

— إني واثقة بكرمك ياسيديتي

— كم معك من الدراهم ؟

— أعطتني مدام كردانيل ستمائة فرنك . أعطيت منها مائة لمن سيمنني

بوالدتي وبقي معي أربعمائة وخمسين

— أنفق مائة وخمسين لشراء ملابس جديدة لك

— والباقي ؟

— احتفظي به للمستقبل ولمساعدة والدتك ...

— لا يمكنني إظهار مبلغ إمتناني لك

— هل لك معرفة بأحد في باريس ؟

— شاب فقير من لندن رافقتي في سفرتي

- وما غرضه من المجيء إلى باريس ؟
- أتى مثلي ليجت من عمل أو ينخرط في سلك الجنديّة
- كم يبلغ من العمر؟
- حوالي العشرين
- أين يقيم الآن ؟
- ينتظر إشارتي في الشارع
- ماذا كان يعمل في لندن ؟
- صياد وهو صديقي منذ الطفولة كان يقوم بضروريات المنزل
- كانت ملامح سوزان تدل على صدق الطوية فلم أشك مدام رامل في اخلاصه
- قرعت كارولين جرساً كهربائياً فأتت شابة في الثامنة والعشرين من العمر
- ذات شعر أشقر وعينين رماديتين وأنف حاد ووجه طويل
- فقلت كارولين : اعتني بهذه الشابة . واجعلها كعاملة مبتدئة . اذهبي إلى
- اللوافر واشتري لها ما يلزمها من الملابس وغيرها
- حسناً .
- لا تشتري بأكثر من مائتي فرنك
- فهمت
- ثم أخذت كارولين الآسنة على انفراد وقالت لها همساً : ادفعي ما يزيد
- على حاجتها من نفقتي الخاصة
- ثم التفتت نحو سوزان وقالت : أعطني مائتي فرنك
- فأفرغت سوزان القيمة من الكيس وأعطتها لكارولين . فأعطتها هذه
- لالكسندرين ( إسم العاملة ) وقالت : استدعي جوزيف إلي
- سمماً وطاعة
- أتى جوزيف فقلت كارولين : اقترب من النافذة
- فاقترب من النافذة فقالت : أترى ذلك البريطاني عند عتبة الباب ؟
- الفنى ذو القبعة الخليطة
- أدعوه إلي في الحال

— سمعاً وطاعة

ماد جوزيف بصحبة جيرك . فقالت كارولين : قالت لي سوزان إنك

أتيت لتبحث عن عمل

— أأكون سعيداً إن تيسر لي ذلك

— وإذا لم يتيسر

— أنخرط في الجندية

— ألا تأسف ...

— كلا مادمت معتقداً أن الآنسة سوزان لا تشكو حاجة

— ما اسمك

— جيرك

— ماذا تحسن من العمل

— أرزق من أي مهمل

— حسناً . اذهب الآن وعد غداً مع جوزيف

— ومن هو جوزيف ؟

— الخادم المسن الذي أتى بك إلى هنا . سبهم بشأنك ...

— متى

— عند الثامنة صباحاً

— أشكرك من صميم قلبي

— هل تعرف الشابة ؟

— منذ إثني عشر عاماً

— ماذا تدعى ؟

— سوزان

— ولقبها ؟

— لا أدري

— من كان يعيش معها

— أرملة تدعى إيفون ترين أنت بها من ضواحي باريس

- وسوزان ابنتها بدون شك ؟
- البعض ينكر أمرها والبعض الآخر يعتقدون إنها ابنتها
- حسناً . هل معك ما يكفي لنفقاتك
- فرنكان
- فأعطته كارولين قطعة بعشرة فرنكات وقالت : سوزان تقيم هنا ..
- أين تقيم أنت ؟
- في فندق
- حسناً . إلى غد إذاً
- لم تمض بضع دقائق على انصراف جيرك حتى وقعت عربة أمام المنزل وترجلت منها شابتان تحملان أشياء مختلفة
- دخلت الكسندرين إلى غرفتها وتبعها سوزان : فقالت الأولى اخلمي ملابسك وابدليها بملابس جديدة فتصبجي موضع إعجاب سيدتك
- شكراً يا عزيزتي
- أتمنين السباحة ؟
- وقد أفضي الساعات الطوال دون أن تكلّ ساعداي
- ألا تخشين بأس كلاب البحر ؟
- أنا التي ألقى الرعب فيهم ... آه لو تدركين جمال المياه الزرقاء وسكون الطبيعة المخيمة على ذلك المتسع الهائل ...
- لبست سوزان ملابسها الجديدة واقتربت من مرآة وأخذت تنعم النظر في نفسها
- فقالت الكسندرين : هلمي معي
- دخلت الكسندرين غرفة سيدتها وقالت : أقدم لسيدتي فتاة تطلب إمانتها
- من هي ومن أين ؟
- ثم تأملتها هنيئة وقالت : يا لله : هذه سوزان ابنتنا
- هي بيمينها
- فقالت كارولين لسوزان : لقد أصبحت جميلة ... ستخبرك الكسندرين مما يجب أن تعمليه

ثم قالت لاللكسندرين : هل يوجد في جوارك غرفة لسوزان  
 - في منزلنا غرفة  
 - والأجرة ؟  
 - ثلثمائة فرنك سنوياً  
 - سأرسل القيمة مع جوزيف وأزيد عليها أيضاً مبلغاً لشراء ما يلزم  
 من الآثاث بحيث تصلح للسكن  
 - حسناً

ثم قالت لسوزان : لا تقلقي على جيرك فسيأتي غداً ويخدم عندنا  
 - ما أطيب قلبك ..

-- إن ما فعلته كان واجباً واحتفاظاً بمهود الوداد والمودة القديمة  
 كانت عينا سوزان تفصح عن إخلاصها لكارولين لما فعلته معها من  
 الجميل حتى إن كارولين تأثرت وظهر عليها بعض الحنو الذي تظهره والدة  
 لابنتها فكانت تردد هذه الكلمات : كم يكرون سروري عظيماً حينما أتمم فرضاً  
 مقدساً عليّ... فتستريح رفاتك يا بريجيت ولا تعتقدي إن كارولين تخلف  
 وعداً يوماً ما

--->>><<<---

## الفصل الثامن

### الانحلال

كانت شركة فريبورج تضم محل تدريجياً بالرغم من بقاء شهرتها واستولى  
 الضعف على هوشار  
 وكان الشريكان منذ تأسيس الشركة يجلدان ويرجوان بأن مناجم الذهب  
 ستفتح لهما أبوابها وتجري كنوزها كالأنهار في خزائنها  
 دقت العاقرة وكان فريبورج جالساً مقطباً مفكراً وقد وضع يده على

جبينه . وفيما هو على هذه الحال دخل هو شار عليه وقال : الأمر ليس كما  
زوم والأقدار تما كسنا

— مع إننا لا نعدم زبائن

— ألم تشر لي بأن عملنا سيمود بالأرياح اليسيرة ؟

— كان ذلك ... أتعلم ماذا يجب أن نعمل ؟

— كلا

— أمراً واحداً يكفي لثرائنا

— هل لك ملء الثقة ببوسكاري ؟

— وهل تشك باخلاصي

— أجل

— أنت لا تثق بأحد حتى ولا بنفسك

— أنا أعلم منك بما يجري من الأمور

— وما هو جار حولك يا سيدي

— ألا ترى إن مساعيه تهبط في كل مشروع ؟

— إذا كانت المسألة التي يقوم بأعبائها صعبة المنال وغامضة فلا سبيل

إلى حلها

واستخرج فريبورج دوسيه « سوزان » وقال أترى هذا ؟

— نعم . لقد خدعت أولاً وآخرأ

— لماذا

— لأني شيدت عليها آمالاً واسعة

— بدون جدوى ؟

— طبعاً

— الا ذلك الأمريكي الذي زارنا منذ بضع أيام ...

— يظهر إنه لا يملن أهمية على هذه المهمة ...

— لا بد إن الذين يماسون عن الارملة وإبنتها يقطنون في طبقة الأرض

السابعة

وانقطعت الحادثة بدخول كاتب يحمل بيده بطاقة  
فأخذها فريبورج وقال : أين ذلك الزائر ؟  
— في القاعة الاخرى ... ماذا أجيبه ؟  
— دعه ينتظرني برهة ريثما أكون قد أنجزت شؤوني  
فانصرف الكاتب وبقي الشريكان معاً . فقال فريبورج وهو يقدم البطاقة  
إلى شريكه أتعلم عنه شيئاً ؟  
— فقرأ هو شار

### المركزيز ريمونه دي بورد

ثم قال : أعرفه  
— هل هو متر ؟  
— صاحب ملايين  
— من عائلة نبيلة ؟  
— نبالة قديمة العهد . وأغرق عائلة في سان جرمان  
— هل هو متأهل ؟  
— تزوج حفيدة الدوق دي بوسي  
— كم يبلغ من العمر ؟  
— الخمسين تقريباً  
— ما بنيته منا  
— اذهب اليه وسله عن مراده  
ذهب فريبورج إلى القاعة الأخرى وكان المركزيز مقطباً فقال : مسيو  
فريبورج  
— نعم سيدي  
— علفت منذ مدة طويلة بمسألة خطيرة ...  
— بأي شأن ؟  
— بشأن امرأة نشأت من المورهبان على ما أظن ...

نجمع الشريك أفكاره الشاردة وقال : أليس منذ خمسة عشر عاماً ؟

— نعم

— وهذه المرأة تدعى إيفون تريفن ؟

— حسناً : وقد افترت بيليز رفين الذي قتل بيد مجهولة في غابات قصر

فلنتب في ضواحي شانلي . لدي جميع تفاصيل هذه الحادثة ... هل لك علاقة بهذه المرأة

— أبحث عن الطفلة التي أخذت على طاقها تربيتها والعتاة بها . هل

كلفت من يبحث عنها ؟

— نعم . لكن الجائنا خابت ...

— أتمتقد إنه قد انقطع الرجاء وملتجى إلى اليأس ؟

— كلا . إذ ليس لدينا أدلة قاطعة بموت هذه الأرملة وابنتها

— ما العمل إذا ؟

— العودة إلى البحث والاعلان في الجرائد والمحال وقلب باريس

والمقاطعات بمساعدة بعض الخبراء والأحصاء . ولكي نفوز بأمنيتنا ونشهد

ضالطنا يجب بذل المال ...

— كم يلزم ؟

— شك الشريك رأسه وقد بدأ شيطان الطمع يدب في فؤاده فقال .

نحتاج في بادئ الأمر إلى بضع عشرات الآلاف

فقال المركز وقد شمله بعض الرجاء : لا أهمية للمال مادامت مسألتنا

خطيرة . مرادنا نتيجة حسنة . هل لديك رسم للفتاة ؟

— كلا

— لقد استحصلت عليها ...

— أخذ المركز محفظته الجديدة المكسدة بالأوراق المالية وأخرج

منها ورقتين من فئة عشرة آلاف فرنك وأعطاهما لفريربورج الذي قال :

أود أن أحرر لك وصلاً بالمبلغ ؟

— لا فائدة من الوصل مادامت على ثقة من استقامة شركتكم

— على جناب المركز أيضاً أن يثق بصدق مجهوداتنا التي سنجرّبها

— لا تبخل في هذا السبيل بل ابذل للغاية التي ننشدها

— حسنًا . والصورة

فأخرج المركز صورة وأعطاها لفريبورج فاندعش إذ رآها وقال :  
ما أجل هذه الفتاة

— كان سنّها في ذلك الوقت ثمانية عشر شهراً وقد تبلغ الآن ثمانية عشر طاماً

هنا قام المركز وتأهب فريبورج لتوديمه بما يليق بمقامه فقال : هل

تمكنا مراسلتك ؟ وما هو عنوان المراسلة ؟

— إلى النادي بشارع رويال

— حسنًا

عاد فريبورج بعد انصراف المركز وهو يصفق طرباً ويقول : هو

والدها بلاريب

ولم يكذب يستوي على مقدمه حتى أنه كاتبه يقول : هنا سيدة تطلب

مقابلتك

— ما اسمها ؟

— لم تقل

— ماهي أوصافها ؟

— شابة جميلة في مقتبل العمر

— دعها تدخل

دخلت تريز ورفعت اللثام عن وجهها فقال فريبورج : فلتتفضل

سيدتي بالجلوس ولي الشرف بأن تتحفني باسمها الكريم

— فقالت تريز : أنا الكونتيس دي بوسي

— اخبريني عما ترغبين لعلمي أساعدك

— لقد كلفت سابقاً للبحث عن امرأة وطفلة . والذي كلفك هو زوجي

الأول الذي كان مقبياً في أميركا ...

— وهذه المرأة هي إيفون تريفن ؟

- هي بعينها  
 — وظلت الجرائم على ما أظن بلا ثمرة  
 — نعم . إذ لم يعلم مصير هذه المرأة ولا أين تقيم ...  
 — سأخبرك عن الحقيقة تحت ستر السر  
 — نحن معروفون بالأمانة على الأسرار وشركتنا مقرة عميقة  
 — أعلم إن هذه الطفلة هي إنتي  
 فقال فريبورج في نفسه : كنت طالماً بذلك قبل أن تخبريني به  
 — أخذها زوجي بعد هفوتي وبدلاً من أن يصحبها في سفرته أودعه  
 عند حطاب و ...  
 فقاطع حديثها قائلاً: سمعت هذا القول من زائر جديد أتى قبل مجيئك ببرها  
 — المركيز دي بورد ؟  
 — هو بعينه  
 — يجب أن تكتم ما تساررنا به الآن ... ولا تدّخر وسعاً في سبيل  
 البحث عن ضالتنا  
 — وكان بيد الكونتيس غلاف فأعطته لفريبورج وقالت : في هذا  
 الغلاف عشرون ألف فرنك وهي مقدمة المكافأة على الجرائم ...  
 — لكن سيدي ...  
 — سيدي ... لا ترفض ... أنفق عن سعة  
 — اطمأني واعلمي أننا نعد ونبي و ننس ما فهدت به الآن  
 — شكراً لك . هل لك سؤال آخر ؟  
 — كلا  
 — ورسائلك تمنون باسمي : الفندق دي بوسي بإشارع فيراندري  
 — حسناً  
 — أستودعك الله  
 — تشجمي ياسيدي الكونتيس ... وأملي  
 انصرفت الكونتيس فدعا فريبورج بوسكاري وقال له : هل تذكر  
 سياحتك حول بريطانيا منذ ستة عشر عاماً

- نعم . وحيث أقمت ثلاثة أشهر متنعماً خالياً وجلت في خلالها طول البلاد وعرضها بدون فائدة
- لأنكر ذلك أتذكر من كانت وجهة بحثنا ؟
- طفلة وأرملة حطاب . . .
- لم تفقد ذاكرتك بعد
- تحقق إنني تعبت كثيراً في هذه الرحلة الشاقة . فكنت أكرر السؤال على كل حابر وكل مالك وكل مستأجر : (هل رأيت أو سمعت عن امرأة حطاب قتل زوجها منذ مدة غير بعيدة ومع هذه المرأة طفلة تدعى سوزان ؟)
- اعلم إن والدي الطفلة من الأغنياء
- فهي إذاً ؟ . . . ابنة ذات ملايين
- إن والديها يودان لقاءها ولو كلفهما الملايين
- هل لك معرفة بالوالدي الفتاة ؟
- كلا . ولكن سيأتي يوم تنقشع فيه هذه السحابة
- ماذا عولت على فعله إزاء مهمة في غاية من الصعوبة ؟
- لا أعلم شيئاً
- فد بوسكاري يده وقال : تكرم علي بضعمة من النقود
- فنفحه فريبورج بلويسين وقال بسماحة : خذ هذه لبقااتك وسوف نتحدث بهذا الشأن . . .
- فشكره بوسكاري وانصرف وهو يقول في نفسه : ألا تعلم أن عيني لا تنقل لحظة عن مراقبتك
- وبينما كان خارجاً قابله أحد زملاءه فقال له : اذا سئل عني فقل أنني ذهبت لتناول الطعام

## الفصل التاسع

### السفر

كان بوسكاري صاحب دهاء وحييل (بحيث يقرده ابليس من ديله) وهو يتناول طعامه عادة في أسفل منزل يقع في منتصف شارع بروفنس يتحدث العامة في هذه الأيام عن مناجم الذهب فإنا نحسنت طالة أحدهم اعتقد أن الله سيملي حوائمه بالذهب وإذا وجد أحدهم قطعة من الذهب اعتقد أنه مفتاح كنوز مطموره رصدت باسمه إلى غير ذلك من التاويل المعزية لنفوس الفقراء

الصبر والرجاء هما آفة الفقر والفاقة في ذلك الزمن  
بينما كان بوسكاري سائرًا إذ وقتل جاعة قال : سأفتح بيدي مناجم الذهب  
والثمرة تكوّن لي فقط

هذا المعجم تتعلق بسوراء ولاستئلاله طريقتان : الأولى : إيجاد الشابة  
ونيله الجائزة التي تمنيه شر العوز

والثانية : زيادها ومحاولة سلاك مؤادها بأي الوسائل فتؤول إليه الملايين  
التي يأخذها بدون تعب

هل أمر صاحب صعب ؟ كلا . وخصوصاً مع شابة بائسة لا تملك القربك  
وصل بوسكاري إلى المنزل المعهود ودخله فوجد المائدة معدة بجميع  
أنواع الأطعمة والأشربة وحوها اثنا عشر نفساً من نساء ودخال ورياسة  
المنزل امرأة غليظة ذات شعر أصفر

قوبل بوسكاري بالتحية وقال أحدهم . أين كنت ؟ لقد تأخرت فأجاب  
وهو يضع سببته على ساعته : خطأ . لقد وصلت بالذقية

جلست ربة المنزل وجاس هو بجانبها وأحداً بأطراف الحديث  
وكانت شابة في الثامنة عشر من العمر نحيلة القوام وهي ترقص في مسرح  
أولمبيا وتأخذ مرتباً قدره ثمانون فرنكاً شهرياً

فقلت وقد تضايقت من انحباس الهواء الفاسد: أكاد أختنق هنا  
فأجابتها المرأة الغليظة: أنت تعلمين أن من لا تطيب له الإقامة يرحل  
— لست محتاجة إلى هذا الحد

— لو كنت نملدكين مبلغاً صغيراً لما أقت في هذا المنزل  
من هو مارسيال الذي كانت تردد اسمه في كل لحظة؟  
مارسيال هو ابن صاحبة المنزل على زعم أكثرية الناس لكن الحقيقة  
الواقعة لا يعلمها أحد!

دخل مارسيال وتوجه نحو والدته فقبلته وقالت: لقد تأخرت  
ثم أخذ يجي كل واحد ولما وصل إلي فاني (الراقصة) قال بلطف: أخلي  
لي مكاناً بجانبك لأجاس

فلما جلس قالت له وقد علا وجهها الاحمرار: لقد غبت عنا مدة طويلة  
— لقد أصبحت في حاجة إلى العمل للارتزاق لأني لا أعتقد وقد بلغت  
الثلاثين ان ايراد هذا الكهف سيكفيني لتسديد نفقاتي وخصوصاً لشاب  
مثلي متأنق

— هل عزمت على العمل

-- وباشرت العمل أيضاً

لقد قصدت إلى غرفة سكنك

— لقد انتقلت منها . . . لا تمتقدي ان المرء لا يشغله إلا غرامه فان

أمراً جوهرياً وهو المستقبل أشغل له . لأن السعادة الحقيقية تتعلق به

— قيل لي أنك تنزهت على دراجة منذ أربعة أيام

— وهل التنزه ممنوع؟

-- ولم تكن بمنفرداً بل مع امرأة نحيلة بزي أنيق . . . .

- مسكينة أنت لأنك تمتقدين كلما يقال لك . . . إن صداقتي لك

لا تجعلني أرتبط معك دائماً . . . تكلميني عن امرأة لا أعرفها . . .

— أقسم لي بذلك؟

— أقسم إذا كان قسمي يسرك . . . لو كنا نريد أن نشعر بالغرام الحقيقي

لتركنا الأقدار تسير في مجراها وبحثنا عما يجعلنا سعداء . لأن الفقر آفة  
لا تتفق معه السعادة . . . هل تحوزين بعض المال ؟

— نعم . وأنت ؟

— جيبى أنظف من الصيني . . .

انصرف المدعون فاراد مارسيل أن يحدو حدوهم . اداه بوسكاري قائلاً:  
لا تخرج لأني أرغب في محادثتك لأمر ذي شأن

عندئذ توجه مارسيل نحو فاني وقال همساً : انتظريني عند زاوية  
شارع لافيت أمام البازار

فظهر على وجه الراقصة ريق أمل وابتسامة جميلة فقالت : تمد وتفي ؟

— نعم . وتناول الطعام ممأ

أقبل مارسيل الباب والتفت نحو بوسكاري وقال : اني لك آذان  
صاغية

جلس بقرب الخواز وحلست ( الغليظة ) الى جانبه وقالت : هل

اكتشفت منجماً يا بوسكاري ؟

نعم ومنجم مشهور

ثم قال مخاطباً مارسيل : إني في حاجة الى لويسين أو ثلاثة

— وماذا تريد أن تفعل بها

— لأرشدك إلى الوسيلة لاكتساب ثروة . . .

— حسناً وبعد

— اعلم أيضاً أن الأمر يتعلق بشابة بائسة صاحبة ملايين

— كم تبلغ من العمر ؟

— ثمانية عشر عاماً . . .

— هل هي جميلة

— ان شابة صاحبة ملايين لا بد أن تكون جميلة ولو بالرغم من ظننا

العكس

— ماذا يجب أن تفعل

- سأخبرك عند عودتي . . . خمس لويسات لنفقات السفر منها لويسان  
أخذتهما من فريبورج الشقي  
— المسافة إذا بعيدة ؟  
— بعيدة جداً . وسأخبرك بجميع تفاصيل سفرني بعد يومين أو ثلاثة  
على الأقل
- هل أنت واثق من نجاح مسعانا ؟  
— أن التيفظ والصبر هما اللذان سيفتحان أبواب الكور . . . يجب أن  
أسافر في هذا المساء
- فقالت ربة المنزل : فاني معها دراهم كافية . . .  
— ممن علمت ذلك ؟  
— سمعت رنين الدراهم في جيبيها  
فوثب مارسيل نحو الشارع حيث كانت فاني بانتظاره وعيناها شاخصتان  
نحو المنزل الذي خرج منه . فقال لها متمهلاً : أعطني الدراهم التي في جيبيك .  
فلم تتردد فاني لبذل هذه التصحية وأفرغت ماني جيبيها فسكان خمس لويسات  
فاخذتها أربعة ورد الباقي وقال : الى الملتقى هذا المساء . . . سأطلعك على  
الحقيقة فهي تتعلق بمسألة خطيرة الشأن . . .  
عند الثامنة ركب بوسكاري القطار القاصد إلى بريطانيا

## الفصل العاشر

### التسار

- بعد مرور خمسة عشر يوماً كان الدكتور ربول يفحص بدقة نمو الخضراوات  
في حقله الصغير . وقد أمطرت السماء في الليل فقال لخادمه الذي كان في انتظار  
أوامره : ضع قليلاً من السماد في أشجار الفراولة  
— نعماً وطاعة

أخذ الدكتور يتأمل في القاصي من المروج الملائم بالبهائم السارحة والتلال  
الناثئة المغشاة بالأشجار ذات الأوراق العريضة فتمنى أن يعيش في هذه الجهة  
التي كانت موطن آبائه وأحدهداه وطاشوا فيها أصحاب بقلوب لا تهاب الموت  
ولم يرضوا بهوم العالم منها بدلاً

منذ ابتاع جون ردون قرية سوفاجير لم يعد يراه ثانية  
وبينا هو يتخيل هذه التخيلات اذا بفتاة في السادسة من العمر وقد  
تلطخت ملابسها ووجهها بالطين أتت تمدو وفي يدها رسالة فأخذها بين  
دراعيه وقال : قدره . ألا يمكنك أن تأكلي بنظافة . . .  
ثم وضعها على الأرض وقرأ الأسطر الأولى وقال منذهلاً :  
إنها رسالة من نيويورك . فزق الغلاف وتلا ما يأتي :

عزيزي فاين

عذراً لعدم عودتي إلي ملي . قالت ترردون أن يكون لي علم بحضورها  
وقد أعلمتها عن إنتها رجموند المسكينه . ولكي لاتلومني قلت لها بأن تسألك  
مقدار مجهوداتنا واعتنائنا بمجادها والأدلة مؤيدة في مراسلاتنا المتبادلة في  
هذا الشأن

أخبرها بأني لأرأل أبعضها وأن المحادثة والمقابلة بيننا كانت سبباً في  
اشتمال نيران فؤادي الخامدة

أخبرها أيضاً بأني أتمنى لها نجاحاً في مسعاها  
لأ أعلم متى أعود . فاني أتأثر وأتذكر ما حل بي في تلك البلاد العزيزة  
التي قضى علي بالتغرب منها  
لا تشك في مبلغ مصابي ما

صديقك

جون ردون

بينما كان الدكتور ربول يتلو الرسالة اذ سمع طرق الباب . فذهبت  
الفتاة وعادت تقول : أبتاه إن امرأة تطلب مقابلةك

— من هي ؟

— لا اعلم . هي جميلة جداً . وربة شمة المظهر بانتظارها . . .

-- واين والدتك ؟

- لقد عادت إلى غرفتها مسرعة

- لماذا ؟

— لأنها لم تتبرج بعد

-- ماذا فعلت إذا

أنا استقبلتها وهي الآن في غرفتك لخصوصية

فأسرع لاستقبال هذه المرأة فكانت الكونتس بنفسها وقالت : قد ترتاب

للغاية الزئله التي أتيت لأجلها

كلا . فقد وصلتني اليوم رسالة من جون يسمح لي بأن أقدم لك

رسائل بخبري وصديقي ندي ، نذهمني عدم طلبك لها قولا

--- لا أريد أن أكون مدينة له ما دمت على قيد الحياة

فتأود الدكتور د شمر بأن المهرة الكائنة بين صديقه جون

والكونتس دي بوسي قد ازدادت تعمقا . فقال بهدوئة : يظهر إن المقابلة

التي حدثت في غرفة المسيو بوشير أزعجته كثيرا

--- وكان تأثيري إذ ذاك أعظم بكثير من انزعاجه بعد أن اطلعني على

النساء المحزن فمذ اليوم شرعت في البحث عن ابنتي ريموند التي هي من دي . . .

كنت أعتقد انها في أمان وتحت رعاية رجل يعجز عن فعل منكر بعد

بالجن وكنت آمنة مطمئنة أقاسي لوعاء التفراق بعيدة عنها وتميت كثيرا لو أبذل

كل ما بالدي في سبيل التقرب منها كي أشملها نظراتي المملوءة بالعواطف

والحنو الوالدي الذي يفوق وصف الأقلام آه لو تعلم أيها الطيب العاقل كم

قاسيت من النذل رغم هنائي وسعادتي فكنت أقدر نفسي بأشوق حاق العالم . . .

آه من الدهر الخوون آه - ن قساوته .

فلم تتمكن الكونتس عند هذه الكلمة المؤثرة عن إعطاء مبلغ تأثرها

وأجهشت بالبكاء وأصبحت محالة يتفنت لها الحجر الجلود ويلين الصلب الذي

لا يبلان

فليتأمل القارئ حالة هذه الوالدة الثاكلة كما تأمل الطبيب ووقف والاهتمام باد على وجهه . وليتأمل متطفلاً . . .

أهي مخطئة ؟ وهل كفرت عن ذنوبها ؟ وهل يؤدي بها الأمر إلى اليأس ؟ بعد مدة قصيرة تجلّدت الكوننيس وقالت : لقد عقدت النية على بذل روتي كلها في سبيل ايجادها بل أخطر بحياتي لأجلها فتكون سلوتي الوحيدة بعد مصائبي الجمة التي ألحقت بي طاراً لا يمحى . . . لا أنكر اني مخطئة ولكن القضاء قد حكم ولا مرد لما أرم والآن جئت راجية أن تصفح عن اتقني واعراضي عن مخاطبتك لأني لا بد أن أستمع بك لملك تقيدي ببعض المعلومات وأنت أخبر مني بهذه المسألة التي مرت عليها أعوام طوال وأنا جاهلة شأنها

— تسأليني عن نتيجة ماصلمته فرسائلي تجيب على ما تسأليني . لا تنسني نتيجة ايجادي إلى اجمال مني بل اعلمي اني استعنت باناس يتسترون بثياب العمل وهم في الباطن منافقون ولصوص مخادعون يسعون لا اكتساب الرزق بطرق غريبة ومهارة في الكلام فهم يمللون دائماً بلا نتيجة ؟

.. ومن هم الذين استعنت بهم ؟

.. شركة فريبورج وهوشار وشركاءهما . . . سيخلد ذكرهم في ذاكرتي

ما دمت حياً . . .

فأظهرت الكوننيس اندهاشها وقالت : وهل يصدق ما تقول ؟

— وهل يمكنني أن أكرم ما في نفسي بعد انتهاء علائقي بهذه الشركة الخادعة . فريبورج أحد الشركيين يضع الأموال التي يقبضها داخل خزانة حديدية ولا ينفق درهماً منها للأعمال التي يكلف بها . . . من يستعن بشركة كهذه عليه أن يقطع الرجاء . . .

— هل استعنت بهم ؟

— وكنت مخطئاً أيضاً

— هل لديك رسائل جون ؟

— نعم  
 — أيمكنك أن تقرضني اياها؟  
 — بدون شك . . . اعلمي أيضاً أنه لا يزال جون محافظاً على عهدوه  
 القديمة وهو يتمنى قلبياً أن تنشدي ضللك . . .  
 — دعنا منه الآن . اد أن ما أوجه اليه همتي هو ريموند . . . لو تعلم جان  
 بفقد شقيقتها لتأثرت كل التأثر  
 فأخذ الطبيب صرة الرسائل وسلمها للكونتس وقال : حذيتها بشرط أن  
 تردىها

— أردتها هذا المساء  
 — لا داعي لهذه السرعة  
 — سأعود إلى باريس . . . لم تكن غاية سفرتي مقابلتك وسأكرس  
 حياتي لايجادها ولا يزال الرجاء ينمش نفسي الى الآن . . .  
 — ان العناية الالهية تصغي الى ذاتك وندائك  
 — أشكرك من صميم قلبي . . . الوداع  
 — الوداع

والطريق الأقرب بين ملي وبوسي نحو خمسة وعشرين كيلو متراً  
 سارت عربة الكونتس وكانت تشغل الوقت بمطالعة الرسائل الواردة على  
 الطبيب من جون ردون فوق وقع بصرها على اسم أدهشها وهو الفيكونت بريفل  
 الذي قابله جون على الناخرة التي أقلته إلى أميركا  
 وهذا الكونت يقطن في شارع فيزاندرى وقد ورث أملاكاً عن أقرباء  
 له بعيدين فلما أصبح من الاغنياء تزوج بمادلين دي برنشير ابنة أحد القواد  
 وهي صديقة تريز منذ الحداثة في مدرسة سان دني وأصغر منها بثلاثة أعوام  
 فقالت في نفسها ادا سارى مادلين  
 لم تصل العربة إلى بوسي حتى كانت تريز قد استوعت محتويات الرسائل كلها  
 عقدت تريز النية على الذهاب إلى صديقتها عسى أن تستفيد منها عن ابنتها  
 التي تجهل حقيقة وجود والدتها

في نفس ذلك المساء حسب الوعد أعادت ترز الرسائل إلى الدكتور ربول  
وفي صباح اليوم التالي ركبت قطار إلى باريس ولما وصلت إلى منزلها  
كانت خادمتها في انتظارها وفي يدها رسالة واردة من المركيز دي بوردها  
فخاوها:

لم يعرفوا على شيء . لا موجب لليأس لأنهم في بدء بحضهم . هم يجهدون  
في سبيل ضالتنا . لا شيء يهمل ما

ريمون

تدل هذه الرسالة على أن خطة سير هذه الشركة تنطق على ما قاله الدكتور  
ربول من أنهم يعلمون زبائنهم بالآمال الخيالية حتى إذا ما قرب الأجل  
المضروب يظهرون أسفهم العظيم  
ابتدأت الشكوك تتاب هذه الوالدة الملوحة فحُثت على قدميها وتمتمت  
بصوت مخمق : الهي ساعدنا . . . الهي كن حاضراً هنا لترشدني . . .  
وكانت عيننا الله عز وجل تراقبنا وأذناه تصغيان إلى تضرعاتنا من أعالي  
السموات

## الفصل الحادي عشر

### في المروج

حاول جون عبناً أن يتملص من حكم الغرام القاهر بأن يعيش منفرداً  
بمبدأ عن الملاهي الدنيوية . . .

هناك ما وراء البحار كانت صورة تيز تتمثل أمامه رغماً عن أنه يريد  
إزالتها من مخيلته . فهي طيف مخيلته وشجونه . . .

تتمثل له هذه المرأة المثلثة بشعرها الذهبي المجمع المتراسل على ظهرها  
وعيناها الجليتان تملان آلهة الطهارة وعنقها الأبيض الناصع . . . كل ذلك

يجعل هذا الرجل المتنسك التعس يبتسم لهذا الطيف ويحاول أن يقبل ثفره فلا يتمكن فيتمحسر ويتأوه لأنه يطاب الحقيقة ولا يتمكن منها فيرمي الاقدار بسهام غضبه لأنها تعانده . . .

اصطحب جون في سفرته ابنته جان ورسم زوجته . . .

ذبل رسم تيز وصار على حافة الزوال لكن رسم الحقيقة لم يتأثر جون بحبها حباً يفرب من العبادة لكن الحقد وقف في طريق الحب بلغت الساعة العاشرة من الصباح . وكان الشركاء قد تناووا طعام العطور باكرآ . فقد عزموا على قضاء هذا اليوم في الزهرة بين المروج الخضرة

من هو فريمون ؟

فريمون مزارع قديم في خدمة البارون بانيل وهو رجل شجاع شديد العضلات في الخامسة والأربعين من العمر وكان يفرغ كأسه فسأله البارون : ماذا تفعل اليوم ؟

-- زهرة حول المروج كما هو معلوم . . . أصبحنا يا ردون ؟

-- سأبقى لأن لدي ما يشغلني عن الذهاب

فقال البارون : وأنت يا جان ؟

-- كما تشاء افعل

ثم قالت لوالدها تلومه : ستمتركنا نذهب وحدنا ؟

- نعم

-- ماذا يشغلك

-- مراجعة الحسابات

- هل تصر على عزمك

- نعم

فالتفت نحو البارون وقالت بعزم : فلنتأهب يا عزيزي

بعد بضع دقائق كانت جماعة مؤلفة من البارون بانيل ( شريك جون في

المزرعة ) ومزارعه القديم وثلاثة من الكوبوي (راحة الأغنام)

كان جواد البارون محاذيا لجواد الفتاة فقال : بما أعترى والدك حتى تغيرت

ملاحه بمد عودته . . . أتعلمين شيئاً عن دخاله ؟

- لا أعلم فهو كالحرباء يتلون كل يوم بلون ولا يهمني ما دمت ممتقدة أنه يعتني بي إعتناء الوالد الحقيقي
- هذا أمر لاشك فيه
- ولا أهتم الآن إلا بشيء واحد
- وما هو ؟
- إنك لا تحدثني بشيء منذ عودتما فقد استمأت كثيراً
- اعلمي أنك أصبحت الآن كبيرة . . . كم تبلغين من العمر ؟
- نحو العشرين
- دعينا من العتاب وأخبريني عن باريس وعن رحلتك وعمما شاهده

هنالك

- فرنسا بلاد صغيرة
- لكن مناظرها عديدة وجميلة . أليس كذلك ؟
- نعم . أحب فرنسا ؟
- كثيراً
- لماذا لا تفكر في العودة إليها
- لأن أرباحنا متوقفة على هذه المزرعة
- ستبقى هنا إذا ؟
- لا أقيم طويلاً
- فكر إذا في العودة . . . ألسن صاحب ثروة ؟
- من أعلمك بذلك ؟
- في المرة الأخيرة التي ذهبنا بها إلى فندق الكولونيل سكوت في نيوستي سمعت أحد الناس يقول : أترى ذلك البارون ؟ لقد كان عند قدومه إلى أميركا معدماً وقد أصبح الآن يمتلك ما يربو على المليون دولار . أي خمسة ملايين من الفرنكات . أصبح أنك تحوز هذا المبلغ الجسيم
- ان والدك شريكه وله نصف القيمة

وبينما هما في الحديث اذا بالجواد قد أجفل فقالت حان : ما يخيفك يا جيم  
ثم صاحت مرتعبة : أنظر إلى هذا الثعبان ذي الأجراس  
فسدت مسدسها نحو الثعبان وأطلقته عليه فشطرته شطرتين وقالت  
كأن لم يحدث شيء : في ذات مساء كنت وحدي في منزل صديقك رينفل  
وكان والدي قد تغيب لقضاء أمر في النيفر وعزم أن يشتري أرضاً جميلة . . .

— لم لم يصحبك معه ؟

— لا أعلم . قال ان في السفر مشقة عليّ وأنه سيعود بعد قليل . . .

فسألتني مدام رينفل : أتذكرين والدتك ؟ فقلت نعم وقد توفيت رحمها الله

— ألم يكن لك شقيقة ؟

— نعم

— وأين هي ؟

— لا أعلم . . .

ثم قلت مغيرة الموضوع : لقد طرأ لي خاطر . . .

— وما هو

— العودة إلى فرنسا

— لماذا ؟

— لأصلي وأبكي بحرارة على قبر والدتي وأسعى بنفسي لايجاد شقيقتي

التي فقدتها وأنا طفلة . . . لكنني أعجزك يا عزيزي بهذه المحادثات المؤلمة

— كلا . بل يسرنني أن أراك غيورة تسعين وتجاهدين لايجاد شقيقتك

المسكينة . وذلك الشعور قلما يوجد بين الشابات أمثالك

— أنك تطرى كثيراً يا عزيزي . . . فاعلم اذاً أنني أشتهي أن أعيش

في الارض التي عاشت فيها والدتي ( رحمها الله ) وشقيقتي . . .

— إذاً ؟ . . .

— شعرت بأني مخطئة لأنني نسيت طول مدة إقامتي في أمريكا أن أفكر

فيهما وفي العودة . . .

— أنك رقيقة الشعور يا جان

— آه لو تعلم يا عزيزي كم كانت والدي حنونة عليّ فكانت ترطاني بنظراتها وتسمى لراحتي

— والدك يقول أنك تشبهينها تمام الشبه

— لعل الامر كما يقول ولكني أذكر شقيقتي وشعرها الاشقر الناعم

كالحرير

— مرت جماعة من الخليل فقال البارون : أنظري يا جان إلى هذه الخيول

المطهمة

— الافضل أن نجد لها شاريا

— أتمرحين ؟

— بل أعني ما أقول. أظنك لا تريد ؟

— لماذا ؟

— لانك مؤسس هذه المزرعة ومدرّب هذه الخيول فيصعب عليك أن

تفترق عنها

فتبسم البارون وقال : نعم أحب عيشة الحرّة في هذا الخلاء الواسع

لكن إعلمي إني لست مؤسسها بل لوالدك اليد الطولى في هذا العمل كما أن

المزارع فريمون ومن معه قد قاموا بجمل الاعمال . . . . . أني أهوى هذه

البلاد رغما عن صفات أهلها المستهجة وذلك لكونك بيننا . . . لانك تلك

الزهرة الدامية التي تلتطف مناخ هذه الارحاء . . . . . ولكن هناك أمراً لا يخلو

من الامة لا سيما والشيخوخة أقبلت على الابواب وتراخت القوى . . . . .

— وما هو ذلك الأمر ؟

— الفكرة في العودة إلى مسقط رأسي ومركز وجودي على هذا المعمور

ويلخص بكلمة وطن

— أنت موافق إذا على بغيتي

— إني فاعل ما تودين

عندئذ شرعا في البحث لتنفيذ مقصدهما . فقالت جان : وأنت يا عزيزي

ماذا تفعل متي عدنا إلى فرنسا ؟

— أسمى لأجد لك زوجاً صالحاً

— وبعد؟

— أسكنه بجواري كي أتمتع بمشاهدتك كل يوم

— وبعد؟

— أقضي بقية أيامي في منزل محاط بالبساتين الغضة . . . .

— وبعد؟

فلم يدر البارون ماذا يجيب . فقالت جان : أتزوج؟

— ان الذي يسمعي أتحدث بهذا الشأن يسخر مني لأن من كان مثلي فهو

على حافة الشيوخوخة

ولكز البارون جواده فساد ينهب الأرض وتبعته جان

## الفصل الثاني عشر

### شيء من الحقيقة

لم يكن سير الكسندرين مستقماً . توفي والدها وهي طفلة . فعاشرت نحت نير الذل ولم تطمع إلا أن تكون يوماً صاحبة شأن بين الناس وهي حاملة مجتهدة وفطنة تحسب على م تير شهري قدره أربعمائة فرنك وقد طاب لها الميش لأنها تعتقد إنها سعيدة

في العاشرة من صباح الأحد في شهر مايو الجبل ( وقد مضى على ذلك عام ) خربت الكسندرين تسير بين سحر اللبخ المشهور في غابات بولونيا وكانت تسرح بصرها في أرياء الرجال ومهم لسأؤهم وهم فرحون يرحون ويضحكون

وفيما كانت تسير الهويننا بجانب الشلال إذا براكب دراجة تسير بسرعة الرق الخاطف تتجه نحوها فحشيت على نفسها واعتقدت إنها ستضحى فريسة هذا المتهور مأسوفاً على شبابه الغض . لكنه بأسرع من لمح البصر أدار

اتجاه سير الدراجة فلم تؤذيها وسارت نحو مطحنة بوشان . ثم عاد إلى جهة الكسندرين وقال بلطف : أنت هنا يا مدموازيل الكسندرين

— لقد أزعجتني كثيراً

— أجل كنت سائراً بسرعة . فعمواً . لأنني أفضل أن أتخطم على صخور الشلال من أمس جسمك الناعم اللطيف ..

فقال الكسندرين أين رأيتني ؟

— شاهدتك مراراً لكنك لم تعبريني التفاتاً ... هل هدأ روعك ؟

فقالت وقد سحرتها ألفاظه العذبة : أجل يا حبيبي

— أتودين أن تستأنفي زهتك ؟ وهل تسمحين لي بمرافقتك ؟

وهل ترفض طلبه وهي في السابعة والعشرين ولم تتزوج ولم تعشق ؟

فقالت : كما تشاء

فسارا وهما يتحدثان فقال متطغلاً : أنجبين ركوب الدراجة

— نعم وخصوصاً لأنها رفيقه السير

وهذا الشاب هو مارسيال ابن ربة المنزل الغليظة السابق ذكرها . وقد

أحبت الكسندرين هذا الشاب مند عام وكان يسمى في خلاله لاحراز رضاها

وابتزاز جزء وافر مما جمعه مدة السنين الطوال من تعبها . حتى إنها حين

أماقت من غفلتها ندمت لتعرفها به . وقد علمت أنها إذا داومت على هذا الحب

المتبادل استنفد آخر درهم معها

عند التاسعة والنصف من أحد مساء يوليو صرّ مارسيال أمام منزل

كارولين رامل وكانت سوزان تقطن في الغرفة العليا الملاصقة لغرفة الكسندرين

بعد برهة دخلت سوزان فأطلت البوابة من نافذة كوخها وقالت : رسالة

لسيدي

فاجر وجه الفتاة وقالت : رسالة لي ؟

— نعم . وهي واردة من بعيد . . من التونكيين

فصعدت سوزان إلى غرفتها وكانت بسيطة المظهر تحتوي على فراش

وكرسيين وطاولة وستارين

فاقتربت من النافذة وفتحتها ثم أخذت كرسيًا وجالست فتلقت الرسالة .  
وما كان أشد فرحها حينما علمت أن بيير كروانيل لا يزال على قيد الحياة . فجلت  
على ركبتيها وتضرعت إلى الله أن يوصله سالمًا . وكانت تبكي من شدة الفرح  
أتمت تلاوة الرسالة وصوت خفي يطن في أذنها : لقد نجنا من مخالب الموت  
وسيعود ويميش لأجلك

سرحت بصرها في الحديقة وأفكارها شاردة نحو بلاد التونزكين . إلا  
أن صوتًا عذبًا قال : أيتها الآنسة . . . .

فارتعدت فرائص سوزان وأجالت ببصرها في الحديقة فوجدت شابًا  
جميلًا متكئًا على جذع شجرة فلم تكترث له وبادت إلى غرفتها فاتضح الصوت  
يقول : أسمحين لي بسؤال أيتها الآنسة ؟

— سل ما نشاء

— أنا ابن عم الآنسة الكسندرين . . . وقد رجيتي بأن أنتظرها  
— إذا ؟

— لقد أخبرتني بأنك تقيمين في نفس المنزل الذي تقيم هي فيه . أي  
عند مدام كارولين رامل

— نعم

— أتعلمين سبب تأخرها ؟

— كلا

— كنت أود محادثتها بشأن خطير وقد تأخرت كثيرًا . . .

لم تكن محادثة الشاب مارسيل لتؤثر في فؤاد سوزان . وكانت تود  
أن تقفل نافذتها لتعود إلى تأملاتها اللديدة لكن مارسيل قاطع هذه الفكرة  
بقوله : هل لك مدة طويلة في باريس ؟

— كلا

— هل أقمت قبلا في إحدى مفاطعات فرنسا ؟

— نعم

— ماذا تدعى ؟

- لا تعرفها أنت لأنها بعيدة وحقيقية ومشرفة على البحر
- ألا تصجرين في باريس ؟
- كلا لأنني أعمل دائماً
- وفي المساء ؟
- أتتزه . . .
- وحدك ؟
- أغلب الأوقات وحدي
- كان جبيرك حارسها الأمين ينتظرها أحياناً عند عتبة المنزل فيخرجان  
سوية للتنزه حولي حديقة التويلري  
فقال مارسيلان : ويوم الأحد ؟
- أذهب إلي الكنيسة ثم أعود . . . . .
- أتحب ركوب الدراجة ؟
- لم أفكر قط في ركوبها
- متى شئت أدراك تلميذك ركوبها وتكون إنسة عمي معي . لأنني خبير
- ماهر
- شكراً لك
- وبينما هما في الحديث إذ دخلت الكسندرين فقالت لمارسيال : أنت هنا  
لم أك بانتظارك هذا المساء
- لقد جئت على سبيل الصدفة . . . من هذه الفتاة التي في جوارك ؟
- الآنسة سوزان
- من أين قدمت ؟
- وما يفتيك من أمرها ؟
- لا يتحدث علي هكذا فاذ، سؤالي بسيط . . هل تقيم عند كارولين ؟
- وما غرضك من هذا السؤال ؟ . . هل ترغب في إغوائها ؟
- ولم لا

صعدت الكسندرين إلى غرفتها وتبعها مارسيال فارتمت على مقعد  
وتهدت تعبة فقال مارسيال : لقد تغيرت طماعك هذه المدة

فقلت بحجة : أتتجاسر أن تخاطبني بهذه اللهجة ؟

— لماذا تعامليني بهذا الجفاء ؟

— لقد كنت مغرورة بك أما الآن فقد انتهت من عفتي

نأفرب مارسيال من الكسندرين وقال بلطف : أتذكرين يا حبيبتى الليالي  
الجميلة التي قضيتها بالسرور والحبور ؟ . . .

-- وأسفاد !

-- أتذكرين رسالة الشهوانية اللذيذة ؟

-- لقد أخطأت عند كتابتي لك . . . كنت طائشة . . .

— بحيث إذا أعلمتها وقرأتها صديقتانك حدث ما لا تحمد عقباه . . . ألم

تكوني السبب في سحقك ؟ . . . ألم تساعدني إذ كنت عاطلا والفصل  
لما قد اقتصدته ؟

— وقد سلمت مني نصفتانك ولنفاقك

— ليس كله . . . لا يزال معك نصفه بل أكثر . . . ان اعطيته لي كان

قرضاً أو فيه لك مع الأرباح . . .

— أنت ؟

-- بدون شك . وهل تشكين في صحة كلامي ؟

فلم تجح . فقال لها هجده الحنو : أهكذا تحاببني وأنا آت بك بطاب مساعدة

— مساعدة مالية أليس كذلك ؟

— وماذا تريدن أن تكون ؟

— الا صوب أن تقادر هذه الغرفة حالا

وأشارت له بأصبعها نحو الباب فاستعظمها فقالت : لقد سببت مني أكثر

من ستة آلاف فرنك

— على ماذا عزمت ؟

— ما فقدته لا أطلب عنه بدلا . على اني أود أن أحتفظ بالباقي

- ماذا تعنين ؟
- سأتركك وشأنك تسمى لرزقك بنفسك
- أترفضين مواجهة حبيبك مارسيال بعد اليوم ؟
- لقد انتهى الأمر بيننا
- لقد قررت الطلاق ؟
- إفعل ما أيرأى لك
- وإذا رفضت ؟
- أنا مليكة نفسي
- وخليفتي أيضاً
- لست بعد الآن . . .
- ستري إن لم تكوني في قبضة يدي . . . أعطيني الآن خمس لويسات
- فاني في حاجة قصوى إليها
- لا أعطيك درهما . . .
- غداً أنشر مثالا من رسائلك الفتانة
- أتفعل ذلك ؟
- بدون تردد
- إنك لنذل سافل ؟
- سأمحك الله على هفواتك . . .
- ثم مد يده وقال : أعطيني إذاً
- فأخذت محفظتها وأسقطت المبلغ في يده وقالت : لا أسمح لك بالدخول
- إلى هنا بعد اليوم ؟
- فوضعه في جيبه وقال ضاحكاً : أخطأت يا حبيبتي في حكمك . . . إن
- فؤادي يكتم سرّاً هائلاً . . . السعادة مقبلة نحوي . . . فلا تجزعي على
- ما أعطيتني إياه فهو لا يضاهي شيئاً من الثروة التي تنتظرني على الأبواب . . .
- بل لا يطول الزمن حتى تزج في أعماق السجون
- لا تستهزئي بي . فسوف أصل إلى ضالتي التي أحلم بها

- ضالتك مكر ورياء وخديعة . . .
- اصبري حتى يأتي اليوم الذي فيه تسعدين فترتابين من مملك الشاق ..
- وما هي مهمتك أيها الثرثار ؟
- الأمر يتعلق بزواج !
- من ؟
- زواجي أنا . . . مهر جسيم وثروة الأمراء وملايين محققة .
- سأضاعف ما أخذته منك بل أضيف اليه أمثال الأمثال في سبيل ابتسامه من
- ثغرك الجميل الواضح . . .
- لا أعتقد بكلمة مما تقول
- فطوقها مارسيال بذراعمه وقال : حينذاك لا أهوى سواك . . . أما
- الأخرى فلهالها فقط
- بعد انصراف مارسيال جلست الكسندرين وقد أخذ الحنق منها مأخذاً
- عظيماً فصاحت : إلهي . أرخني من هذا العدو اللئيم . . .



## الفصل الثالث عشر

### الصفقة الراجحة

عاد بوسكاري من سفره إلى بريطانيا وقد خابت آماله فقابله أهله وخلانته بالاستهزاء والسخرية

أصبح فريبورج مذكف بالبحث عن ميزان هيب بوسكاري بسخاء مايلزمه من النفقات توسلاً للأمر الذي كان ينهال عليه مائماً خزينته

نشر الاعلانات الصخمة ووزعها مجاناً على كل مار وفي كل جهة من مقاطعات فرنسا الواسعة فكان للقضية ضجة في البلاد ولكن من غير أن تأتي نفائدة تذكر

في هذه المرة كان سائح أمريكي نازلاً في باريس فنظر فتاة تدعى

قاني في إحدى الشوارع العظيمة فخلد جمالها الفتان وتملقها فسارت معه ثم أغواها وأواظمتها وغمرها بالمال الغزير ووهبها خاتمين مرصعين بالأحجار الكريمة وقرطين من اللؤلؤ النادر وأسكنها منزلاً منفرداً في شارع فينينون يقع هذا المنزل في البحر على شاطئ بحيرة ومحاط بمحديقة غناء مزروعة بالأشجار المبية وتعود الزواجح الذكية من أزهارها المختلفة الألوان أراد مارسيل أن ينتهي من علاقته مع الكسندرين ويطلقها من شباكها لكي ينصب شركاً آخر لقاني هذه التي نحن بصدها

بعد أن خرج مارسيل من غرفة الكسندرين سار في شارع الأوبرا وتوجه نحو شارع برافيس فتمثلت أمامه سوزان ذات الوجه الصوح الفتان وقد تلاًلاً. ومد فمهم أنها قدمت إلى باريس منذ أيام قليلة وتدعى سوزان من أين قدمت ؟

صار من السهل علينا أن نذكر ما غمض من سؤاله

لم تكلم تدق الحادية عشرة حتى وصل إلى الحانة فوجد جماعاً غفيراً يأكلون ويشربون ويتحدثون وقد علا ضجيجهم وهم يتحدثون فسأل المرأة الغليظة : ماذا فعلم اليوم

-- حفلة قامت بفقائها قاني . . .

فأخذ مارسيل كرسياً وجلس منفرداً في زاوية لا يساير أحداً كأنه غريب عن الحاضرين . ثم فتح الباب فجاءه وبرر منه وجه صاحبة الحفلة فأخذت تحديق بالجمهور فوقع بصرها على مارسيل فدمع وجهها وورأ وسارت نحوه وحيته وقالت : قل لماذا تأخرت هذه المرة ؟

عندئذ برز بوسكاري بوجهه المأسى من أعلا السلم فقال له أحد الجالسين : هل أنت مريض اليوم

— كلا

وجرى الحديث بين مارسيل وقاني فقالت : آه لو كنت تعلم يا عزيزي كم خليلي ثقيل لرنوت لحالي . لقد فكرت مراراً في نقل أمتعتي ومفادرة المنزل — إن فكرتك ضرب من الجنون

-- هل تعتقد أن الدولارات تؤثر عليّ ؟

-- بدون شك

-- يكذربي أن تفصل المال على كل شيء

-- لست واحداً من الذين يفصلون المال

فقلت همساً : لم لاتأتي لزيارتي ؟

-- اين تقطنين الآن ؟

- في أنجين . لا تخبر أحداً . نأمل في منزل أنيق أصلاعه الأمامية في

الماء ومحاط بحديقة جميلة

- هل هو منزلك

- هو يقول ذلك فاعتقدت بصدق قوله

-- لم تمتلكي بعد أوراق العقد ؟

-- كلا

- لست إداً نامرأة مدربة

انتهى الحديث وقد تواعدا على ان يأتي مارسيال في آ لزيارتها بعد الخامسة

في الساعة الأولى . لعل لم يفي بوعده الموعودين غير الراضة التي كانت

تحاسبهم وتضع قبضات المقود في جيبها

بعد انتهاء الحفلة تماماً ركبت فاني رربة كأنت بانمظارها خارجا وقالت

لمارسيال : إلى الغد

وعاد مارسيال إلى الحانة وقال لموسكاري وكان جالساً مطرفاً : كلمتين

أقولهما لك . ولما سموى بقربه همس في أذنه . ماذا كان عزمك أنه يفعل حينما

سافرت إلى بريطانيا

-- وهل هذا يعنك ؟

-- إني لأخطئ الهزل بالجد بل أتكلم - دياً

-- لماذا تسأل هذا السؤال ؟

-- ربما قمت لك بخدمة جلييلة

-- كيف ذلك ؟ أفصح

- إعلم أني على الأثر . . . . ألم تذهب إلى بريطانيا ؟  
 — نعم  
 — للبحث عن فتاة في نضارة الصبا ؟  
 — نعم  
 — هل تعلم عن ملاحظتها شيء ؟  
 — ليس الكثير  
 — شقراء أم سمراء ؟  
 — الأرجح أنها شقراء  
 — أليست تدعى سوزان ؟  
 — من أعلمك بذلك ؟  
 — لا يهملك أمري . وأحذر أن تنكر عليّ  
 — وماذا يفيدني الانكار ؟  
 — كم تبلغ من العمر ؟  
 — الثمانية عشر ربيعاً  
 — أتعرف أين كانت تقطن  
 — نعم . لكن المصفور طار منذ أيام قلائل ولا أعلم وجهته  
 — ربما وقعت أنا على بعض الحقيقة

## الفصل الرابع عشر

### افشاء الحقيقة

في نفس هذا المساء قام مسرح الأوبرا الهزلية بتمثيل رواية كارمن . وكان في إحدى الخلوات من الجهة اليمنى متفرجان منفردان بحيث لا يراهما أحد وهما رحل مسن في السبعين من العمر قوي البنية لم تظهر في ملامحه امائر الشيخوخة وشعر رأسه ناصع البياض ووجهه بشوش وهيبته تدل على نبالة رفيعة الشأن وكان يرمق رفيقته بمخونه الوالدي

أما رفيقته فامرأة أقل منه سناً بعشرين عاماً وتدعى كارولين . أما الشيخ المسن فهو الدوق دي لوسى وهو جد زوجة الماركيز دي بورد ومساعد كارولين عند الشدائد منذ كانت في سلاك الراهبة في دير كبير ولم يكدر صفاء هاتهما مكدر وبالرغم من أنه أرمل فقد تعرف بكارولين وساعدها على إحراز الثروة وحافظ على شرفه من أن يمس بكلمة انتقاد لملائقته الودية مع هذه المرأة وقد أتى في هذا المساء منفرداً حيث قابلته كارولين في خلوته وقبل انتهاء التمثيل قام الدوك وقال لرفيقته : فلنرحل بسرعة وكانت عربة أنيقة المظهر في انتظارها خارجاً فركباها وسارت بهما إلى مطعم نخم في ميدان مادلين . فصعدا إلى الطيبة الأولى منه وانقردا في غرفة حيث أعد لها طعام العشاء على طاولة صغيرة

فبادرت كارولين الدوك بالسؤال : لم تخبرني عن سبب مجيئك بعد

— كنت في لوسى منذ مدة يسيرة وبصحبتى العائلة . . .

— الماركيز ووالدته وزوجته . . .

— نعم . ظهر لي أهم في اضطراب وارتباك مزعج

— أتعلم سبب هذا الانقلاب ؟

— لقد عادوا إلى باريس . غداً أذهب إلى جبريل وأسألها بنفسى ولا

أخاطها تخفى عني شيئاً

— أعل الماركيز فقد أمواله ؟

— كلا

— أعله وقع في ورطة يتعلق بشرف العائلة

— كلا . فان الماركيز رجل متشرع وزوجته ملاك طاهر

— وهل سألت والدة الماركيز ؟

— نعم . فقالت إنها لا تفقه شيئاً من كل هذه الاضطرابات . . . إن

سحابا اسود يظلل سعادتهم . ولا بد أن ينقشع تدريجاً . الزوج محافظ على

السكينة دائماً والعبوسة لا تفارق محياه . والزوجة شاحبة وقد أصبحت فاقدة

الصبر عصبية المزاج . فاجأتها صرارا صخرة العينين وقد تقضي ساعات طوالا

في التفكير العميق . ترسل الخطابات العديدة وتأتيها الأجوبة من كل صوب  
وحذب فاذا سألتها عن السبب كانت تجيبني إني أسعى وراء غاية شريفة  
وحميدة . لن يسوء ظني بجبريل واخلصها نحو زوجها لكن يسوؤني اني  
أجهل هذه الغاية التي تسمى وراءها فلا بد أن أعرف الحقيقة غداً . . .

— فستعود إلى لوسي ؟

— بعد مشاهدة حفيدتي جبريل

— هل تمر بمنزلي قبل سفرك ؟

— كلا . لأن أصدقاء لي سيأتون لزيارتي مهاراً ؛ يجب أن أصل قبلهم .

سأفادر باريس غداً

— أتغيب طويلاً ؟

— كلا . وأنت تعلمين أني لا أكون سعيداً إلا بقربك

— سأريك شيئاً غريباً عند سفرك العاجل

— وما هو ؟

— ابنة فقيرة ( تعني سوزان ) أوصتني بها إحدى صديقاتي وهي علي فراش

الموت . وقد جاء الفتاة إلي بحالة يرثى لها

— إني أعرف شيئاً عن هذه الصديقة فقد ذكرتني

— وقد أخذتها إلي احتراماً للصداقة المعهودة بيني وبين تلك الصديقة

— ونجلها ماذا آلت حالته ؟

— هو آخذ في التحسن . كان شفاء جروحه البليلة أعجوبة . وسيعود

إلى فرنسا قريباً

— هل الفتاة جميلة

— في غاية من الجمال والبرهان في المشاهدة

بمد نصف الليل بثلاث أرباع الساعة كان الدوك يودع كارولير عند عتبا

منزها ويقول لها . إلى الملتقى لا تهمل المراسلة . وسارت عربة الدوك نحو

شارع ليل

وفي صباح اليوم التالي خرج الدوك مبكراً إلى منزل دي بورد وسأل

البواب : أهنا حفيدتي ؟

- سيدتي المركزة في غرفتها

- وحدها ؟

--- كذا أظن

- رريمون ؟

- خرج من المنزل

- ووالده المركب ؟

- ذهبت لحضور القداس

--- حسناً

فسار الدوك في صحن الدار وهو يماجي نفسه فائلا : عجبا جبريل

وحدها لا بد من افئاعها على الاقرار . . .

فتفتح الدوك الباب الخارجي ودخل ثم ففتح باب عرفة المركزة بدون

استئذان . وكانت وقئئذ جالسة إلى مكتبها ومكببة على كتابة رسالة فلم ترفع

رأسها واعتقدت أن خادمتها أتت فقالت . هو أنت يا أنطوانيت

--- لست بأنطوانيت أنا الدوك

لمحقت به مندهلة من قدومه غير المنتظر وقالت : كنت أعتقد أنك

لا تزال في لوسي

وقامت وعانقتة . فقال : جئت لمشاهدتك . أوحدهك أنت ؟

--- نعم

--- احبريني إذا عن كل شيء

- ماذا تود أن تعلم ؟

--- ما يحدث عندكم . ظهر لي أن الحداد عم المرل فأخبريني عن السبب

لأنك أدري من غيرك بمكوناته

جلس الدوك فقالت له : علم إذا أن زوجي تطور في خلال الايام الأخيرة

فبعد ان كان يشوشا أصبح عابسا لا يتسم لاحد

فلا بد أن أمرا خارق العادة سبب له هذا الانقلاب . . .

- أعلم أيضا أنني فاجأت زوجي يوما ما . . .

- ماذا يصنع ؟
- يتلو رسالة . فلم أدعه ينتبه إلى تطفلي . . .
- وماذا حدث بعد ذلك ؟
- بعد أن خرج تفقدت الرسالة . . .
- ما خفواها ؟
- سر هائل
- وما هو ؟
- فذكرت المركيزة دمة حارة وقالت : كان زوجي قبل اقترانه بي متعلقاً بامرأة
- يا للفضيحة . وماذا تدعي هذه الامرأة ؟
- تريز ردون أو الكونتس دي بوسي
- وهل هذا ما يدعوه إلى الاستياء
- بل سبب آخر . . .
- وما هو ؟
- إن زوجي قد رزق منها طملة بالخفاء وتدعى ريمون باسم زوجي ولما علم زوجها بالأمر تركها وسافر إلى أمريكا مصطحباً طفله الحقيقية وأودع الأخرى عند خطاب يدعى بليزرفيز . وكان له أعداء يسمعون للايقاع به فقتلوه في غابة بينما كان يتصيد الطيور . فعادت أرملته إلى بلادها ومعها الطفلة التي تجهل حقيقة أمرها
- أين كانت تقطن ؟
- في مقاطعة المورهبان . وقد أدرك زوج تريز خطاهه العظيم . فاستعان بشركة خبيرة لايجادها وبذل المال فلم يظفر بطائر . . . وقد مضى على ذلك خمسة عشر عاماً . . .
- يا لطول المدة . . .
- فلما عاد الزوج من أمريكا قابل الكونتس (زوجته) مبالغتاً لها فقص عليها واقعة الأمر وقال : ما يمكنني فعله هو بذل نصف ثروتي في سبيل

ايجادها . ان الدهر قد حكم ولا مرد لقضائه . أما الآن وقد علمت سبب هذا الانقلاب فقد تعلم أيضاً سبب مراسلاتي العديدة

— وهل زوجك ريمون يدري انك مطلعة على سره ؟  
— كلا

وسقطت دمعة من مقلة الدوك فأخذ رأس حفيدته بين يديه وقبل شعرها الأشقر الجميل وقال : أدركت الآن أنك بارة ومنذ هذه الدقيقة سأكون عوناً لك . . .

## الفصل الخامس عشر

### القنوط

اشتد الحر في فصل تلك السنة فهجر معظم السكان منازلهم إلى الحدائق الظليلة والمروج . حتى أن الاسان لا يكاد يرى في المنازل غير المسنين والمقعدين الذين لا يقوون على المشي كانت تریز في منزلها تكتب إلى وكالة فريبورج تحثهم على مداومة البحث بدون كلل . وهي تعتقد أنها إذا ظادرت باريس فترت هممة مساعدتها الذين لم يتوصلوا إلى نتيجة مرضية حتى الآن . إذ الحقيقة أن بوسكاري كان يخفي بين طيات فؤاده سرأ يرى أن الأباحة به لم يحن وقتها . أما سوزان فيتمذر عليها الاطلاع على حقيقة الماضي وخلصه ما تعرفه أن أرملة لندفن هي والدتها وأن الفضل في تثقيفها وتربيتها راجع إلى المرحومة مدام كردانيل وولدها وقد تقدم نحو الصحة . وهو يكتب رسالة كل أسبوع يقص فيها كيفية شفائه من جروحه البليغة بفضل العناية الالهية وتريز في قصرها الفاخر تتألم لفقد ابنها وسوزان لا مطعم لها غير عودة بيير سالمًا وهو غاية ما تتمناه في هذه الحياة بعد أن انتهت تريز من كتابة الرسالة شرعت في كتابة رسالة أخرى إلى

والدها تبث له للمرة الأولى سبب شجونها وبقائها في باريس  
أما القبطان تونيابه فقد زادت وطأة الأمراض عليه تدريجياً بحيث أصبح  
لا يتمكن مغادرة منزله في سويفي

وعنوت تيرز الرسالة وماهمت أن تدعو الخادمة حتى جاءت هذه وقالت:  
لقد أتى المركز دي بورد

فألفت تيرز بصرها في رسم زوجها الكونت الراحل وقالت آسفة: فليدخل  
دخل المركز ومد يده إلى الكونتس مصاحفاً قتالت بتردد: مررت...  
وددت أن أراك... إن رسائلك أنشأت الحسرة في فؤادي...  
— أخشى أن يؤدي بك الأمر إلى القنوط

— فهمت إذاً... ..

— أجل: لقد خاب أملنا وضاعت ثقمتنا... ولكن لا بد أن أمراً

يحول دون الحقيقة. فاصبري وتشجبي... ..

— فقد الصبر ووهنت القوى ولم يعد لي مطمع في هذه الحياة. خلت  
في بادئ الأمر أن الدرام علاج ناجع لكن أملي خاب وقد مرت أسابيع  
وأشهر... ..

— لا تدعي اليأس يسارك. فمن يعلم إذ يفرج الله كربنا وتأتينا أبناء

عن ربمون

— لأخطيء فان صوتاً داخلياً يحدثني بأننا لن نجدها الئمة

فجذبها المركز نحوه وضمها وبصوت عذب قال: لنشارك بعضنا بعضاً  
على احتمال هذا الخطب... لأن الاتحاد يولد القوة. سأضعف مجهوداتي  
واستعمل جميع الوسائل لاكتشاف الحقيقة مهما كلفني الأمر فلنصبر... ..  
— خير لي أن أسمع بوفاة إبنتي من أن تقاسي العذاب تحت ظل الشقاء  
والفاقة إذا كانت لا تزال حية... ان اضطربك ولاشك أيقظ أعين أهل منزلك؟

— كلا. ولا عون لي غير لويس روبول

— ووالدتك؟

— ليس لها علم بشيء

— وزوجتك؟

— لقد ذهبت إلى تورين . . .

— لم لم تذهب لمرافقتها ؟

— لقد كنت لها عذراً بداعي إني مشغول وسأقيم في باريس يومين أو ثلاثة

ثم ألحق بها . . .

فقلت تريز متأوهة : ألا تزال تهواني ؟

— بل أن العجلة التي بيننا تزداد وثوقاً كلما طال العهد . . . وغاية ما أتمناه

أن أكون عموماً متيناً لك تسندين إليه عند الحاجة . . . لا تمر الدقيقة والثانية

دون أن أذهب وأعمل للأبنة التي شغلت موضعاً خالياً في فؤادي . . . ويجب

منذ الآن أن نعيش لأجل ريموند . . . لا لنجوم اليأس يتسلط علينا إذ كيف

تؤول حالتنا بدونها . . . لمساعد بعضنا فيساعدنا سبحانه عز وجل . . .

أخذ الماركيز يد ريز وأدناها من فمه وقال : تشجعي

انصرف الماركيز وهو يضمن كلامه معنى التعليل والأمل

وقالت الأندريس في نفسها : لمد فقدت ريموند إلى الأبد . . . جان تعتقد

أي أئمة وإنا سلمت أي على قيد الحياة تحمفني

ألق بصرها في رسم الكونف الراحل وتمتمت بحزن : لقد رحل وكم أتمنى

أن ألحق به

بينما كانت ريز في مثل هذه المأملات إذ دخلت الخادمة تقول : أنت إمراة

ترغب في مقابلة

وكانت الزائرة السيكوننتس دي بريفل فقامت لها ريز ورحبت بها وقالت

مستغربة : مادليز

فأظهرت الفيكوننتيس إنداماشاً لهذا الترحيب فقالت تريز : أنسيت

صديقتك تريز تونيليه ؟

— نعم

— أناهي

— كيف نكون متجاورتين ولا ندرى ؟

— لم أذهب قط إلى باريس وإذا ذهبت فلا أقيم فيها أكثر من بضع ساعات

— أين كنت قبلاً؟

— في نيفر في منزل محاط بالغابات

— إن ما أعلم هو أن في جوارنا الكونتس دي بومي الواسعة الثروة فلم

يخطر ببالي أنها صديقتي تريز

— ألا تعلمين أن صديق الفيكونت هو الكونت الراحل؟

— لا أفقه ما تقولين

— زوجي الأول هو جون ردون . . .

— شريك البارون بانيل في أمريكا؟

— نعم

— كنا نعتقده أرملاً

— لقد تحصلت على تقرير الطلاق في غيابه فتمكنت إذ ذاك من الاقتران

بالكونت

— هل لك أولاد؟

— إبتنان . . .

— أين هما؟

— أحدهما مع والدها . . .

— والأخرى؟

فسكتت تريز قليلاً ثم قالت : سأخبرك عن الحقيقة . . .

فقصت عليها تاريخها وكيفية زواجها بجون ومحبتها إلى باريس ونتيجته

هفوتها ورحلة زوجها وفقد ريمون مما ذكره على القراء

وحدث قبلاً أن تريز زارت صديقتها هذه مادلين بلانشي (الفيكونتيس)

زيارة جوار. ولما لم تجدها تركت رقعة باسمها

قالت الفيكونتيس : كنت في نورمانديا وعدت إلى باريس للإقامة فيها

يومين وجئت لرد زيارتك وأنا أعتقد أنني سأقابل امرأة لا معرفة لي بها

فقلت تريز: هل يمكنك أن تقصي علي ما رأيت في جان ...

— إنها بديعة في الجمال

— كم يوماً أقامت عندكم؟

— أسبوعاً. أما جون فقد تغيب أربعة أيام وبعد عودته رأيت أنه وقد

تغير لونه واعتذر ثم سافر معها ...

— اخبريني عن ملاحظتها ...

— هي تشابهك تمام المشابهة ويتراوح عمرها بين الثامنة عشر

والعشرين. أما طباعها وعوائدها فزيج من الحرية الامريكانية والآداب

الفرنسية الراقية

— هل تشك جان بموتي

— كلا. والدليل أنها سألت والدها أمامي بالانجليزية: اارغب أن أرى

قبر والدتي

— وماذا أجاب؟

— أجاب مضطرباً: ليس الآن ...

— هل عندك رهنمها؟

— كلا اذ لم يتيسر لي أن أحصل عليه بسبب سفر والدها الفجائي

ثم استطردت الفيكونتيس خاتمة الحديث وقالت: ماذا ترغبين مني ان أفعل

— اذا طادت أبنتي من أمريكا تسعين في وسيلة تمكنني من مشاهدتها

ومخاطبتها ...

— لا بأس. ومتى يعود جان

— لا أعلم. رجائي أن نحقق لي هذا الأمل

— إني والدة وأنا أعلم منك بالحنو الوالدي

— وليكن كل ذلك تحت ستر الخفاء لا تخبري أحداً ولا زوجك ...

— حسناً

انصرفت الفيكونتيس وهي تتعجب من قصة صديقتها المفجعة

## الفصل السادس عشر

### في محل الأزياء

— مدموازيل سوزان

— سيدتي

— تعالي إلى غرفتي . أريد أن أتحدث معك

دخلت سوزان إلى غرفة سيدتها وأغلقت الباب وراءها فأشارت كارولين

إلى مقعد قريب وقالت : ألسي هنا . هذا اليوم يقل فيه العمل . . . وقصي

عليّ شؤونك الصغيرة لأن الجميع راضون عنك . . . هل تعودت الإقامة

بيننا ؟

— نعم

— ألا تأسفين لمغادرتك بريطانيا ؟

— كلا

-- لقد تقدمت في العمل تقدماً مدهشاً حتى لقد يقال أنك مقيمة منذ

أكثر من سنتين . هل أرسلت نفقة إلى والدتك ؟

— نعم . البارحة مساء أرسلت خمسين فرنكاً إلى الأب كرجوز

— من هو كرجوز ؟

— معين والدتي وله الفصل الأكبر في العناية بها فأصبحت لا تحتاج

إلى شيء

— هل استقل القيمة ؟

— بل قال بأنها تكفي أكثر من شهرين

— كم بقي معك ؟

— مائة فرنك تقريباً

— أنت مقتصدة ومدبرة . . . هل دفعت رسم الغرفة ؟

— خمسة وسبعين فرنكا  
 — ان الخادم قد أعطاك الوصل خطأ بدلا من أن يقدمه لي  
 — لكنه معنون باسمي . والقيمة زهيدة  
 — لا أريد أن تتسكفي الدفع . وسأجعل مرتبك منذ الآن أربعين  
 فرنكا شهريا

— شكراً لك

— أما الخمسة والسبعون فما هي  
 ثم وضعت المبلغ على المنضدة وقالت : هذا لك . . . حوزيف، يهتم بدفع  
 القيمة . . . . قبل لي أنك تحسنين ركوب الدراجة  
 فاحمر وجه الشاة خجلا ولم تجب فقالت كارولين ضاحكة : هل ركوب  
 الدراجة يمتبر جريمة ؟

— كلا . لكنني مبتدئة . . .

— يوم الأحد . . . احذري المرافقة الخطرة . . . وصلتني رسالة  
 هذا الصباح

— ماذا تحتوي ؟

— ان بير كرادنيل سيبحر قبل آخر الشهر . . . لعله الآن في الطريق  
 — هل يمكنه احتمال مشاق السفر ؟  
 — لقد كقرله الأطباء السفر من غير أن يؤثر على صحته . . . اقم أخبرني

شيئا آخر

— وماذا عسى أن يكون ؟

— لقد نال وسام الشرف

— ما كان أشد فرح والدته لو بعيت على قيد الحياة

— دعي الكلام في ما لا فائدة منه

هل السرور انشامل فؤاد سوزان نأج عن حمها لببير كرادنيل ؟ كلا . بل  
 عن حنو وعطف عميق وإخلاص . لأن آل كرادنيل كانوا سندها الوحيد  
 مدة حدائه سنها . لذا كانت أفكارها متجهة نحوهم فتشاطرهم أفراحهم  
 كأفراحهم

دخلت الكسندرين وقالت : هل يجب أن أذهب الى المركيزة دي بورد  
— لماذا ؟

— لأنها أمرتني بصنع قبعات الريف وقد أعدتها  
— إن البارونة مويس ستأتي هذا اليوم وقد كتبت لي بأنها ترغب في  
مقابلتك خاصة

ثم نظرت كارولين إلى سوزان وقالت : سوزان تذهب بالقبعات  
— لم تمتد ذلك

— إن هذه المهمة لي غاية البساطة . جيرك يحمل العلب وهي تسير معه .  
زهة جميلة في الصباح

فتكدرت الكسندرين ولاحظت كارولين ذلك من ملاحظها فقالت : يمكنك  
أن تفتخري بتلميذتك وبملك النافع . . سمعت أنكما تحسنان ركوب الدراجة ؟  
فقالت الكسندرين : نعم . وسوزان لا تزال في الابتداء . . .  
— حسناً . لكنني أخشى عليها كثيراً من أعين السوء لأنها جميلة جداً  
فماذا تقولين ؟

— أنا طوع ارادة سيديتي . . .

ثم قالت سوزان قبل أن تخرج : هل تشير سيديتي علي بشيء آخر ؟  
— نعم . إن تكوني خفيفة الروح لطيفة المعاملة

سار جيرك وسوزان وهما يتحدثان . ولما وصلا إلى حدائق التوبلري قال  
جيرك : إن سيدتك تثق بك ثقة تدل على أنك تتقدمين سريعاً

— إني أعمل وأريد أن أقتصد شيئاً يكفل لوالدي الهناء ولي السعادة  
— نبح الله مقاصدك وجعلك أسعد الفتيات

— أتذكر يوم تقابلنا عند جبال لندفن المشرفة على البحر ؟  
— أذكر ذلك

— هل كنا نعتقد أننا سنصبح هكذا ناعمي البال فلا تخلق التماسة فوق  
رؤوسنا ؟ . . .

— كلا

دخلت سوزان إلى فسحة منزل المركيز دي بورد فكانت النوافذ العليا مقفلة فقالت سوزان في نفسها : يظهر أن المنزل فارغ وبينما هما واقفان إذ ربوبول أتى نحوهما يقول : كيف حالك أيتها الآنسة فأجابته وهي تراعي الاحتشام : الحمد لله

— من تريدن أن تقابلي ؟

— سيدتي المركيزة

— مدام ريمون ؟

— نعم

— ليست هنا الآن

— سأعود إذا مرة أخرى

وأرادت سوزان أن تنسحب فقال وهو يريد أن يحظى بها بضع ثوان أيضاً : بعد برهة يأتي المركيز ويرشدك إلى ما يجب عمله . وسيدتي المركيزة ستمود في هذا الأسبوع

وفيما هما في الحديث ولويس مسرور جداً من محادثته ذات الجمال الطاهر دخل المركيز على صهوة جواده وقال له : ماذا حدث ؟

— هذه الشابة تعمل في محل الأزياء وقد أتت بقبعات سيدتي المركيزة

فقال المركيز لسوزان : كانت المركيزة قد عزمت على الحضور اليوم كما

وعدت ثم عدلت إذ شعرت بانحراف طفيف . . . فعودي بعد بضع أيام . . .

كان لوجه سوزان تأثير في فؤاد المركيز فأخذ يفكر ويقول : إن ابنتي

ريموند تساويها سناً ومن يعلم هل هي تعمل عند بيوت الاغنياء . مسكينة

أين تكونين . . .

إذا فرضنا أن المركيزة كانت حاضرة وأخذها التطفل فتسأل الفتاة عن

اسمها وعن أصلها فيسطع إذ ذاك نور الحقيقة الغامضة

ودع ربوبول سوزان وهو يقول : سأسمد رؤيتك ثانية ؟

سنتلو للقرارىء خلاصة ما حدث في نفس اليوم في مزرعة بانيل

## الفصل السابع عشر

### إرادة المرأة

أقبل المساء زحف بجيوشه الحرارة

وكان البارون بانيل وجون ردون وفرعمون المزارع القديم وجان ابنة الثاني يتناولون طعام العشاء على مائدة أعدت لهم بقي الاتفاق بين البارون وجان مكتوماً وقد عزما في الصباح على الاباحة طبق الخطة التي رسماها

فلما كان الميعاد المضروب كان جون جالساً طابساً ودخلت عليه جان ثم البارون . فقالت جان : إني أراك يا أبي طابساً دائماً . . لا تبتم لي قط — لقد بلغت يا ابنتي سن الشيخوخة

فقال البارون : لكنني أرى محياك يزيد عبوساً وجسمك نحولاً ولأأدري لذلك سبباً

— لقد سئمت سكنى هذه البلاد . وغايه ما أتمناه أن ترقد رفاتي في

الارض المنمشة التي رقد فيها أجدادي فأكون في جوارهم — وأنا أيضاً شعرت بضرورة العودة إلى الوطن الذي تقمديه بأرواحنا

لكنني كنت أخشى أن يكون رأيي مضاداً لرأيك

فقالت جان : أما أنا فحمت يقطن أبي وأحبائي أقطن وأكون مسرورة على أن سكنى باريس أفضل من السكنى بين الرجال المتوحشين والوحوش الضارية

فقال جون، للبارون : لقد صممت إذاً على العودة

— ما ترتأيه أنت استحسنه

— لا بأس من العودة

— نعم لا بأس من العودة فامضي بقية أيامي ناعم البال . . .

ثم اقترب منه وقال همساً : يجب أن تهتم بالسألة أكثر مني . . .

— لماذا؟

- لأن عندك داعياً مهماً

-- وما هو؟

فأشار البارون بيده إلى جان وقال : هذه . . .

— لم أفهم قصدك

-- أعني أنك لن تجد لها زوجاً موافقاً هنا . وقد أصبحت شابة في

مقتبل العمر . إني أهتم بها لأنني أعدها كابنة لي

— الحق معك يا عزيزي

— اعلم أيضاً أن فريمون وأنا لن نفارقك مطلقاً وقد مضى أكثر من

خمسة عشر عاماً ونحن متحدون نعمل كالخوة بقلب واحد وسريرة واحدة .

إذا فادرت هذه البلاد فنحن معك وأين تسير نتبعك . . . أفضل أن تصنى

ممتلكاتنا ومواشينا

فطار جون من الفرح والتفت نحو جان : وقال ما رأيك أنت ؟

— إني أوافق على قراركما

كان فريمون يرقص من شدة طربه وهو لا يكاد يصدق بأنه سينجو من

هذه البلاد المتوحشة وفي اليوم التالي انتشر أمر تصفية مزرعة بانيل ومواشبه

فأقبل الناس هاتفين من كل جهة

بعد ثلاثة أيام وفد ثلاثة من المثربين من شيكاغو وعينوا المزرعة وخصوا

المواشي . فأظهروا ارتياحهم لشراؤها

وفي نفس هذا المساء أمضى عقد البيع بشروط اتفقوا عليها جميعاً

وفي أول سبتمبر قصد الأربعة (البارون وجون وجان وفريمون) مدينة

نيويورك حيث أقاموا فيها إلى يوم إبحار الباخرة « برطانيا » وكان ذلك في

اليوم الثالث

كان جون قبل مبارحته الثغر قد أرسل خطاباً إلى الكونتيس دي بوسي

يقول فيه ما يأتي :

سيدتي

كان شوقي إلى بلادي أشد تأثراً عليّ من الحقد الذي دام بيننا طول هذه

الأعوام . فبناء على ذلك قد عولت على مغادرة أمريكا طائداً إلى فرنسا حيث أقيم في مزرعتي التي نشأت منها . وبذا نكون متجاوزين أهل نتيجة مسماك وما بذلته من الجهد في سبيل البحث عن الفتاة التي أفقدنا القدر آثارها ...

إعلمي إنني أسمى دائماً لأجل الغاية التي تنشدها إلى أن يكمل مسماك بالنجاح فلك إبتكك ولي إبنتي  
لا أدرك ما يحبته المستقبل لجان اذا تزوجت . . . . .

إذ ذاك تخير بيني وبينك إذ لا بد أن تعلم يوماً أن الكونتيس دي بوسي كانت قبلاً مدام ردون

أسمى منذ أول خطوة في أرض فرنسا لفصل الملائق بينكما . واذا حملك التطفل على التقرب منها ومباحثتها تجعليني في أشد الاضطراب إلى إفشاء السر الذي كتمته نيفاً وخمسة عشر عاماً

لم تكس فائتي العودة إلى البلاد التي خرجت منها والعار نصب عيني والموت في نفسي . إلا أن القضاء المحتم أراد فأقتذ . جعل الله بيننا حائلاً وستاراً كي لا نتقابل البتة ؟ جون ردون

نيويورك في أول سبتمبر سنة ١٨٩٤

وصلت الرسالة إلى الكونتيس وهي في منزلها في شارع فيزاندرى وبعد تلاوتها شعرت بالخلال في أعصابها وأدركت أن الحقد قد زادت نيرانه اشتعالاً بمرور الزمن

شعرت تریز أنها ضعيفة وأنها تقاوم خصماً عنيداً ذا إرادة حديدية لكنها تجللت وقالت في نفسها : مادلين تحبني وهي لا تذخر وسماً في سبيل راحتي . جان حية سأتقرب منها مهما كلفني الأمر . ومن يعلم هل تغض الطرف عن هفوتي وتسامحني . أنا والدتها وسلطتي عليها تفوق حنوي لها . . .

أما الأخرى ( ريموند ) من يرد لها إلي . . .  
ثم ذرفت دموعاً حارة ووقعت خائفة القوي لاتي شيئاً . . .

# الجزء الثالث

ارادة الرجل

## الفصل الاول

كتم السر

كانت الباخرة بريطانية تقترب من شواطئ فرنسا وكانت السادسة حين  
أقبل المساء . عندئذ سمع صغيراً يصم الأذان فاقترب البارون بانيل من جان  
وقال لها متردداً : سنفترق يا عزيزتي بعد قليل  
— لم يحن الوقت بعد فان صديقك بريفييل ينتظرنا لملاقاتنا وسنقيم عنده  
ثمانية أيام على الأقل

— وبعد ذلك ؟

— نفترق فتذهب أنت إلى نورمانديا لترى أحبائك وأقاربك وأعود أنا  
إلى النيفر . . .

— لمشاهدة أصدقاؤك أليس كذلك ؟

— واأسفاه . ليس لي أصدقاء سواكما ( تعني البارون والمزارع ) . . .

وكان فريمون حاضراً فقال لجان : يظهر أن السفر أثر في صحة والدك . . . .

— كيف لحظت هذا الأمر ؟

— ظهر لي من خلال احاديثه ومجالساته

كان البارون كلما اقتربت الباخرة من الشرف يزداد سكينة وتقل محادثته .

ويظهر من ملامحه السامة والقلق . . .

أما جون فقد استولت عليه السويداء وضيق النفس لكنه كان يخفي ذلك  
الشعور أمام أصدقاؤه لكيلا يهتموا بشأنه ويسألوه متطفلين لأن ذكر هذا  
الأمر يزيد مصابه ويقربه من الحقيقة التي يسمي في نسيانها

أرخی الليل سدوله فتلاً لأت النجوم في كبد الزرقاء وسطع نورها . ولم  
تمض بضعة دقائق حتى ظهر في الأفق آثار قم الجبال النائية والقصور الشائخة .  
فصاحت جان بهجة تحاطب قبطان الباخرة : لقد وصلنا يا عزيزي  
--- أجل . وقد حانت ساعة الأفتراق . . . لم تر عيني وجهاً جميلاً  
مثل وجهك

لم يخطئ القبطان في مدحه جان فانها انموزج لتمثال والدتها مذ كانت في  
سن العشرين . . .

سمع جون هذا الأطناب المستحسن فأخذ يسكر في تلك المرأة التي لقبته  
بالتمه وقال وهو يصر أسانه حنقاً : من النساء من يستحقن القتل . . .  
إلهي ! من حملني على العودة إلى هذه البلاد التي نبذتني وطردتني بعد أن  
الصقت بي طاراً لا يعجى . . .

كان جون يشغل الوقت فارقاً في محار التأمولات المقلقة وقد تبدل وجهه  
حينما انقشعت غيوم الأفق وظهرت الأرض المبتدلة . . . إذ بجان قد وضعت  
يدها على كاهله وقالت : أبتاه أطلعني بما تخفيه في نفسك

فالتفت نحوها ولم يجب فقالت وهي تنظر إليه ببصرها الثاقب : لقد  
نفصت عيشتنا

— وكيف يكون ذلك ؟

— لأن من يراك بهذه الهيئة يعتقد أنك أسوأ العالم حظاً

-- لا يكن اغترارك ايها الخيمة هريئة الانسان الظاهرية وليكن بحسبك

مقتصرأ على الجوهر وهو خلاصة خلقه وجموع شعوره ، فاذا رأيت في محفل

رجلا يمازح من حوله فلا تعفدي إنه سعيد . . . فاذا أردت أن تطلعي

على حقيقة حاله راقبي سكناته حينما يكون مفرداً في منزله وحينما يتبدل ذلك

الشعور الوقتي الذي غشيه سرغماً فتمجلي اذ ذلك الحقيقة لك وتسمعيه يتأوه

من ألم أو يتفجع بل فقيد له وفي هذه الحالة يصدق فيقول الشاعر :

لاتحسبوا ان رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبحاً من الألم

-- فهت مغرى كلامك . . . ليكن أتلم ماذا قبل لي عمك ؟

— كلا

— يظهر أن السفر أثر على صحتك

— من قال لك ذلك ؟

— فرعون

— لهم بصحته أولاً ولا يتحدث بما ليس من شؤونه . . .

ولما هدا روع جون قال : حقاً يا نذية أنت ملاحى تغيرت وأصبحت

رجلا غريب الاطوار

— وما سبب ذلك ؟

— لذلك اسباب شتى لا محل لذكرها الآن . . . ألا تزلين تحبينني يا جان ؟

— وهل يزول حب ابنة لوالدها ؟

— لقد سألتني عن سبب التغيير الذي طرأ على ؟

— بدون شك

— إن في الامر سر كتمته عنك طول هذه المدة . . .

— لقد أرغمتني حقيقة

— سر هائل . . . إن حادثة تميمت العواطف طرأت على وأنت لا تزلين

في مهد انطفولة حملتني على مغادرة فرنسا فأصطحبتك وأراد الله أن اعيش

لأجلك بعد أن تمنيت الموت . . .

— وهذا السر ؟

— لا فائدة من الاباحة به لك . الأيام المتملة تطلعك عليه . . . فاذا خامرك

شيء من هذا القليل فأخبريني منه فأحلوا لك الحقيقة . أتعد ينبي بذلك ؟

— بشرط أن تكون مسروراً

— قبلت بهذا الشرط

— وعدني أن تكون في المستقبل بشوشاً

— اعدك . .

عند الساعة ونصف رست الباخرة في مرفأ الهافر . فأسرعت الزوارق

لتقل الركاب إلى الشاطئ فنزل الدارون وجان في زورق . وأما جون وفرعون

فاخذوا يهتمان بنقل الأمتعة

وقرر جون أرن يمضوا هذه الليلة في إحدى فنادق فراسكاتي . وقال  
البارون لجان : ألا تأسفين على مهاجرة امريكا ،

— لا أرى داعياً للاسف ما دمت بيننا

— أما أنا فأسف على ليالي الشتاء اللذيذة التي قضيناها بقرب الموقد  
نصطلي وآسف أيضاً على تزهاتنا في الصباح بين المروج المخضرة نمتع بصرنا  
بجمال الطبيعة الهادئة

— دعنا من هذه الأحاديث ولنلأ جوفنا . . .

وكان جون طلق المحيا منشرح الصدر ولم يخف ذلك على البارون  
فاخذ فرعون يستنشق الهواء بملء فيه ويقول : ما اطيب هواء الوطن

المحبوب

أما البارون فكان يتظاهر بالسكينة لكن اضطرابه لم يكن ليخفي على  
جان فقالت في نفسها : سوف أعلم سبب هذا الاضطراب واصف العلاج  
رفعت جان كأس الشمبانيا وقالت : فلنشرب ايها الأُحباء نخب ووصلنا  
سالمين . . .

في الثامنة من صباح اليوم التالي ركبوا القطار السريع إلى باريس

## الفصل الثاني

### كشف السر

كانت المائدة التي اعدت في قصر الفيكونت دي بريفيل اكراماً لعودة  
البارون وأصحابه مزينة بالاطباق الملونة والاطعمة اللذيذة والأشربة المنعشة .  
وكان الفيكونت يبش في وجه ضيوفه ويقص عليهم اللطائف الأدبية ويهنتهم  
بوصولهم وقد قال في هذه الأثناء : لم أقم بواجبي كما يجب نحوكم . . . .

ولما انتهوا من تناول الطعام ذهب الفيكونت ومدعووه إلى قاعة  
التدخين وذهبت الفيكونتيس مع مدعواتها إلى قاعة كبيرة مزخرفة ومفروشة

بأنخر الرياش تستطع الانوار الكهر بائية في وسطها . وهناك عزفت أحداهن على البيانو . وقالت أخرى لرفيقها : قصي علينا ما حدث أمس في جواركم ... وانصت الجميع لحديث جان ومن ضمنه : كل ما أسمعته وأشاهدته هنا يتباين عن معيشة أهالي امريكا ألا وهي الهمجية الهادئة . هناك نقضي النهار كله على صهوة الجواد نظارد الوحوش الضارية ونطلق عليها رصاص مسدساتنا ...

هناك الحرب المطلقه بين المروج المخضرة والهواء العليل المفرج للكروب .. هناك قوة المرأة تعادل شجاعة الرجل . تخوض ساحات الوغى وتخترق صفوف المقاتلين غير هيابة الموت ولو كان نصب عينها ... وأرجو أن تتلطف في نفسي هذه الطماع والمعدات الامريكية بفضل ما سأقتبسه هنا بين الطبقات النبيلة من الآداب الراقية

\*\*\*

( سهونا عن أن نذكر للقراء انه في العاشرة من ذلك الصباح ذهبت الفيكوكتيس مع جان الى محل الأزياء لشراء قبعة وكانت سوازن هي التي تبيعهما )

ومن غريب الأتفاق أن الخدمة فتجوا باباً بين القاعتين فأجال جون ببصره في ما حوله فلم يجد لاجان ولا الفيكوكتيس فاشتعلت نيران الغيرة في فؤاده

وقال الفيكوكتيس للبارون : ساعرفك يا عزيزي بأصدقاء لنا في مقاطعة (السين والمارن)

— من هم ؟

— الدوك دي لوسي وحفيده وزوجها ...

— أليس المركيز دي بورد ؟ إني أعرفه تمام المعرفة وأعرف والدته التي

تقيم في نزل مواجه لي وهي تستشيرني دائماً وتمتد في أخلاصي

فقال فريمون معترضاً متطفلاً : هل هم اغنياء ؟

— واصحاب ملايين إلا أن السعادة لاتم في كل منزل قطنت فيه الملايين

فان أمراً قلب افراحهم إلى شجون ...

— وما هو ؟

— هو انهم لم يخلقوا ذرية ترثم . . .

— أن المركبة لانزال في ربيع حياتها ؟

فقال جون في نفسه : لقد تأرت لي الاقدار

\*\*\*

وقفت الفيكونتيس وجان أمام ممشى مظلل بالاشجار فأبصرت عن بعد خطوات قليلة باباً مفتوحاً قد برزت منه امرأة بلباس الحداد . وهذه المرأة هي الكونتيس دي بوسي وقد اخذت تمتع بصرها في ابنتها التي فادرتها في مهدها وراها . لأن شابة بارعة في الجمال . قالت جان في خلال حديثها مع الفيكونتيس : لا بد أن اجدها ووالدي لا يسجل علي بماله ولا يرفض طلبي . . مسكينة انت ياريموند . .

اخذت الفيكونتيس بيد جان وذهبت معها وهي تنظر إلى المرأة الموشحة بارتياح . وكانت تريز تستجمع قواها لتصرخ قائلة : حان . أنا والدتك . إلا أن قوة خفية كانت تردعها فتردها خائبة

لقد وعدت بالكتمان ولا بد ان تفي . تلك الفتاة المقمة الباقية لها في هذه الدنيا . مرت التخيلات المزعجة على تريز وشعرت أن الحائل دون ضمها ابنتها إلى صدرها إرادة زوجها الفولاذية . فتذكرت ما قاله لها في رسالته الاخيرة من نيوبورك . « أجل . سيأتي اليوم الذي فيه تعلم جان أن تريز ردون أو الكونتيس دي بوسي هي والدتها » . لكن سبب هجر والدها لها وزواجها نانية ذلك مما تخشيه لها الأيام وتظهره الأعوام فيما بعد

إذا فرضنا أن علمت جان الحقيقة فهل تزول محبتها لها ؟ — كلا

عندئذ نهضت تريز وهي تتأمل في المستقبل والرجاء يشفعها وخرحت وكانت أضواء المصابيح الكهربائية تدير الشارع القفر . فأدركت أن لارقيب عليها وسارت إلى منزلها وهي تتأسف لعدم تمكنها من التعرف بها وبينما هي في غرفتها إذ طرأ على خاطرها أمر العودة إلى المكان الذي

شاهدت إبنها فيه فقوت عزمها وخرحت من منزلها قاصدة المنزل الذي ذهبت إليه أولاً

ولم تكذب تظاً عتبة الباب حتى طرق أذنهما وقع أقدام وراءها ويد حديدية وقعت على كاهلها أوقفتهما عن عزمها فالتفتت مرتعبة وارتعدت فرائصها واصطلكت أسنانها من سدة الخوف . وكان جون فقال وهو يهز رأسه استهزاء : لقد تذبأت وقوع الخيانة وأنا في منزل الفيكونت لأنك أردت . فسأشهر الحرب والمرأة إذا أرادت فعلت ... هل كنت هنا قبل هذه المرة ؟

- نعم

- هل حادثتها (يعني جان) ؟

- كلا

- هل علمت بك ؟

- كلا

- من فتح لك هذا الباب ؟

- وماذا يهمك من هذا السؤال ؟

- هل مدام ريفيل فتحتة

- لا أستطيع الإجابة على ذلك

- وماذا يفيدني إقرارك ؟ أأنت بمالم أرى الفيكونتيس صديقتك

في المدرسة وقد طلبت منها هذه الخدمة فهي لا ردك ؟ يجب أن أفادرك هذا

المنزل ...

- تخطفني إذا فعلت

- لماذا ؟

- لأنك تقلل من الواجب عليك نحو التي أنت مدين لها . وهي لا تلام

مهما فعلت ... الفيكونتيس إمراة شريفة بثبت لها شجوني فوعدتني خيراً

وكان ما بيننا سراً مكتوماً عن كل الناس حتى عن زوجها ... هل ما فعلته

يعد جريمة نحوك ؟

- نعم

— وكيف ذلك ؟

— تذكرة لك أعيد إلى مسامحك خلاصة ما قاله عشيقك حينما كان في منزل في شارع باك المشؤوم : لا أريد تجزئة . فبيننا الآن حائل منيع واليوم الذي تعلم فيه جان عن وجودك تخير بيني وبينك بعد أن تعلم الحقيقة الصادرة من اقرارك المنسوخ بخط يدك . ربما تذكرين المقابلة الأخيرة ؟ .. ورسالتي ؟ وربما فهمت أن كلامنا يسمى لنفسه ويحتفظ بماله : لك ابنتك ولي ابنتي ...

— ربما اقترحت عليّ هذا الأمر لأنك تعلم أن وجود الأخرى يعد من رابع المستحيلات

فققه ضاحكا وقال : الأمر بسيط

— أنت قاس وفظ إلى حد التوحش

فجذبها بمنف وقال : أنصحك بأن تكفي الملامة بعد العار الذي ألحقتني به واعلمي أن دمك كله لا يكفي لارواء غلة انتقامي

فتخلصت منه وهي تقول : خذ دمي وروحي إذا تجاسرت فاني أبارك اليد التي تسفكه . إنك ظالم في حكمك على والده ملوغة الفؤاد بمثل هذا القضاء الصارم الذي لم تسنه القوانين البشرية ...

— الوداع

عند هذه الكلمة فرت منه كما تفر الغزالة من وجه القانص وهي تتمتع بأذيالها ولما استقرت في غرفتها أطلقت بصرها في رسم زوجها الراحل وقالت : لم لا يقدم عليّ قتلي فأستريح مما ألقىه من العذاب

## الفصل الثالث

### العودة

في الماشرة من صباح يوم صمنا جوه ونحلت سماؤه بلونها الطبيعي بينما كانت سوزان تعمل بنشاط ما كلفت به إذ فتحت باب الغرفة ودخلت الكسندرين وقالت لها: سيدتي تدعوك

فقامت سوزان وكانت تنتظر هذه المفاجأة بفارغ الصبر فاجتازت القاعات حتى غرفة كارولين وهناك لم تمالك من اظهار فرحها فقالت : أنت هنا أيها الملازم

وكان الملازم بيير واقفاً بقرب الموقد فقالت كارولين : هوذا صديقك يا سوزان أرجو أن تكوني مسرورة بلقاائه

فقال الملازم : لقد تغيرت ملامحك كثيراً حتى أن من يراك لأول وهلة لا يعرفك . لأنك أصبحت آسفة بعد أن كنت قروية من لندن . كان وجه بيير شاحباً من تأثير جراحه . وكانت سوزان تلاحظه فقالت : لقد تغيرت ملامحك يا عزيزي

— لأنني تألمت كثيراً وقد زاد في آلامي خوفي أنها تطول فلا أعود أراك . . . . ولا أرى بلادي العزيزة

— والآآن هل عزمتم على الذهاب ؟

— غداً أكون هناك

— وحدك ؟

— كلا سيصبحني شاب عني من الخدمة بدعي لاشوم وهو من ضراحي سوفاجير وقد خاطر بنفسه لينجوني من تهلكة عميقة . والقمطان بليس الذي أنا مدين له أيضاً لقيامه بأعمال أخرى

— متى تغادر باريس ؟

— في هذا المساء

— وبعده ؟

— أذهب إلى لندن

— وبعده ؟

— أعود إلى باريس ومنها إلى حمامات ينريس حيث يتم فيها شفائي . . .

يجب أن أرى طبيبنا اليوم ليحكم في نتيجة جراحي

— وبعده ؟

— أذهب إلى التوبكين . . . أو أعود إلى لندن . . . سأقرر عزمي

في هذا المساء

فقلت كا، ولين : متى يبرح القطار ؟

— الساعة الثامنة

— وماذا تفعل قبل ذلك ؟

— أتناول العشاء ثم أذهب إلى الوزارة . . . هل تنعمي عليّ سوزان ؟

— لتصحبها إلى بريطانيا ؟

— كلا بل لتتناول الغذاء معي

فقلت كارولين مخاطبة سوزان : إلبسي فيمئذ وتأهي

فأسرعت سوزان لقضاء أمر سيدتها

فقلت كارولين بفتنة فرصة غياب تلميذتها : أنجب هذه الفتاة ؟

— من صميم فؤادي . . .

خرج بيير مع سوزان بعد أن استأذنت سياتها

وتان لاشوم في انتظارهما فساروا إلى حدائق النويلري وكانت الساعة

إذ ذاك حوالي الحادية عشرة فجلسا على مقعد وأخذت سوزان تقص على بيير

خلاصة ماحدث لها منذ وفاة والده إلى إقامتها عند تارولين وكيف لم تنبئ

هن وفاتها خشية أن يؤثر ذكرها على حياته

بعد ساعة من الزمان قصدوا مطعماً في شارع رويال حيث تناولوا الغذاء

وهم يتسارون ويتجاوزون أطراف الأحاديث  
وفي أثناء الطعام أخرحت سوزان خمس لوبسات وأرادت أن تعطيتها  
للملازم ليسلمها إلى الأب كرجور فلم يقبل وقال : سوف تمطيني إياها عند  
عودتي

فقالت : وهناك . . . ضع باسمي باقة من الزهور البيضاء على قبر والدتك  
فلم تتمالك سوزان عندئذ من إخفاء مبلغ تأثرها وأذرفت دموع جفت  
لوقتها

فأخذ الملازم رأسها بين يديه وأدنى شفطيه من شعرها الحلاك اللامع  
وقال همساً : احذري من فساد باريس  
ثم افتراقا وسوزان تشيعه بنصرها حتى تواري عنها . . .

## الفصل الرابع

### الافتراق

كان جون مذ عودته إلى فرنسا لا يهدأ له بال وخصوصاً بعد مقابلته  
الفجائية لزوجته التي أظهر لها الجفاء  
حان وقت الافتراق وكاتب الساعة السابعة من الصباح حين نزلت حان  
إلى الحديقة والمستريح على مقعد تنتظر وقد استولى الكون على الجوارف سمعت  
وقع أقدام البارون فالتفت نحوه وقالت وهي تحاول الابتسام : سنفترق بعد  
فليل ياسريزى : ليس هذا بمؤلم ؟

— نعم

— ألا يحببك فؤادك بشي ؟

— بلى

— بماذا تشعر إذا ؟

— أشعر بأني مضطرب قليلاً

— لماذا ؟

- لا ننا سنفترق عن قليل ولا نعلم هل سنلتقي ثانية
- أعلم يا عزيزي إن هذا الفراق لا يستمر طويلاً إلا إذا دامنا مفروق الأحاب والجماعات . فاذا كان اعتقادي مفارقتك إلى الأبد لما عدت من أمريكا . . .
- ثم جذبته بيدها وقالت : الآن أجلس ولن تحدث جدياً . . . إلى أين أنت ذاهب ؟
- إلى صديقي بريفييل
- وهل تبقي هناك ؟
- أبقى إلى أن أجد منزلاً يناسبني . . . لماذا تسأليني هذا السؤال ؟
- لأنني أريد مراسلتك . . . . . وحيث أستشيرك عن أمور شتى
- لم لا تستشيرني والدك ؟
- لأن بيننا حائلاً ؟
- هل زالت منه المحبة الوالدية مثلاً ؟
- كلا . منذ بضعة أيام سألته عن والدي فلم يجبني بصراحة وأني لأتعمس شابة في الوجود لا فتراتي عنك مع أنني في أشد الاحتياج إلى إرشاداتك . . .
- سأعدك بمساعدتي حسب حاجتك إليها
- أعلم الآن أن مسألة والدي وشقيقتي قد أفلقت راحتي ونفرتني من والدي الذي خدعني ولا يزال يخدعني ويخني بين طيات فؤاده سرّاً هائلاً . . .
- هدئي روعك يا عزيزتي . . .
- أليس طاراً أن يكون أبي في هذه الحال ؟ . . . . .
- وبينما هما كذلك إذ أقبل جون على البارون وقال له وهو يصاحفه : استودعك الله أيها الصديق الحميم وأرجو ألا يطول فراقنا
- افترقا وكانت عربة في انتظارهما خارجاً فركباها وسارت بهما وفيما كان البارون واقفاً إذ لمح امرأة متشحة بالحديد تشابه جان تمام المشابهة فأعتقد أن ما يراه ليس إلا أضغاث أحلام فأطرق ثم رفع رأسه فلم

يجد أحداً وكانت عربية تقف أمام المنزل ثم برز منها الفيكونت وهو يقول  
هل تأهبت للسفر؟

— نعم

— لم يبق لدينا إلا مدة المسافة إلى المحطة  
بمد بضع دقائق لم يبق في منزل بريفييل غير البواب

## الفصل الخامس

### أب وابنته

كان القطار الذاهب إلى نيفر مزدحماً بالمسافرين وكانت جان تفتنم الفرصة  
لتمتع بصرها بالحدائق الغناء والفياض المخضرة والمستقعات القليلة الغور  
لم تكن تلك المناظر لتؤثر على نفسها وبصرها أكثر من ذكرى الأمر  
الذي حارت له وهو إخفاء والدها عنها السر الذي ظل تحت ستار الكتمان نحواً  
من عشرين عاماً

جان شابة فطنة وجيالة ولا تريد أن تلعب بها يد الأقدار كما تشاء .  
جان بكل معنى الكلمة تريد أن تعلم الحقيقة . كما أن السجين في الظلمات يريد  
أن يخرج منها إلى النور  
إذا مر هذا الأمر في مخيلتها شعرت بأنها ضعيفة أمام رجل ذي ارادة  
قوية فترتمد كالقصبية

وقف القطار في نيفر وكانت عربية يقودها جوادان واقفة بانتظار صاحب  
المزرعة . فركبها وسارت بهم إليها . إلى تلك الأرض التي تركها يائساً وقد  
عاد إليها ظافراً

في الطريق قال الحوذي ( وهو مولين الذي كان في خدمة آل ردون )  
لجون : هل هذه الشابة ابنتك ؟

— نعم

فأظهر الحوذني إندهاشاً وقال في نفسه : إنها تعابه والدتها تمام المشابهة  
وكان جون قد أوصاه بعدم التحدث بهذا الشأن . وكان في الطريق يشرح  
لجان أخبار تلك القاع القديمه والطواريء التي حدثت له فيها  
وقد قال في خلال أحاديثه : هذه غابة مونتيني . . . وهذا مستقمع  
بيير . . . وهذا برج كنيسة سان بناندازي . . .

وقفت العربية أمام غابة شانتلي . فترجلا ودخلا إلى حيث كان الأب فوكار  
جالساً يخاطب جيرارد وبجانها امرأة أخرى أصغر منها سنناً  
فقال الأب : هذه الأنسة الجميلة إبتك ؟

— نعم . ثم قال لجان : مانتني الأب فوكار الذي هو صديق والدي . . .  
فما نقته جان . فقال الشيخ همساً في أذن جون : وأين شقيقتها ؟  
— لا يعلم مقرها إلا الله

أراد جون أن يقصر الزيارة فقال لجيرارد : يجب أن يتأهب مولين لأعداد  
العربية لأننا نرغب أن نصل قبل المساء  
ركب جون وابنته العربية بعد أن ودعا الاب فوكار . فسارت بهما وكان  
الطريق بين شاتيلون وسوفلي طويلاً

لما وصلت العربية إلى مرتفعات شفان قالت جان : ماذا تدعى هذه الجهة ؟

- قصر بوسي
- لمن هذا القصر ؟
- لأرملة
- ماذا تدعى ؟
- الكونتيس دي بوسي
- هل هي متقدمة في السن ؟
- كلا . . . ماذا يهملك أمرها وأنت لا تمرفينها ؟
- هل هي غنية ؟
- نعم ؟
- هل تقيم فيه دائماً ؟

— بل أحياناً

— وبقية أوقاتها؟

— حيث تريد . . . متى كانت صاحبة ملايين ولا يهمها أين قطنت

— هل بقعة بومبي بميدة عن سوفاجير؟

— أربعة فراسخ

اجتازت العربة الشارع المؤدي إلى سوفلي فقال جون وهو يصفق طرباً:

لقد وصلنا

— إن سعادتي لا تقدر

— لماذا؟

— لأن هنا موطنك وموطني معاً

— أجل

— بل موطنك الذي تزوجت فيه ونشأت أنا منه

فارتفعت فرائص جون وقال وهو يزدرد ريقه : لقد مضى على ذلك

زمن طويل

أصبح ذلك المنزل الذي تحيط به مزرعة سوفاجير قصرًا فخماً . وقفت

العربة أمام الباب الخارجي وترجلا ومسك جون بيد ابنته ولكنه شعر بانقباض

لا يدرك له سبباً . فقال جون : نحن في منزلنا فلنستقر فيه وندم سميدن . . .

— هل تعتقد أن سعادتنا لا تدوم؟

— قد لا تدوم . وذلك حين تزول منك العاطمة البنوية وأنا لأأريد . . .

— لا تعتقد ذلك فاني مدينة لك بماقت به نحوي من التريبة والحنو وهو

مالن أنساه قط

— هل تحبيني؟

— دائماً

— إني أخشى إن فقدتك فقدت كل شيء . . . كل مالي على وجه البسيطة

ثم بعد تفكير طويل قال : لقد أبحث لك ان لي سرأ يشمل حياتي . ولا بد

أني تعرفيه . . .

— متى؟

— ليس هذا المساء . فلندخل الآن . وغداً اعلم إن كنت قد أخطأت

بمودتي إلى هذه البلاد أم لا

وكانت جان تتسائل : ما هو هذا السر يا ترى؟

كانت الاشباح المخيفة تمر أمام مخيلة جان فلا تدرك لها معنى

فالاب وجل حائر . . .

من له قلب ونفس وعواطف ولا يتأثر لذكر والدته لاسيما إذا كانت على

قيد الحياة؟

نجون إذا يقاوم بارادته الصلبة تلك القوة المغتصبة التي تماركه

عند العاشرة ماد جون وإبنته إلى غرفة النوم الممددة لهما وقال لها : نامي

مستريحة فغداً تعلمين كل شيء

صممت جان وقع أقدام والدها حتى توارى فقالت في نفسها : ماذا سيحدثني

غداً؟ وما يكون السر الذي يزع عليه إفساؤه؟

فتحت النافذة واتكأت وكان على مسافة قريبة منها في الجهة اليمنى قمة جبل

صخري تلاعبت بها محن الأيام وسطعت النجوم بنورها اللؤلؤي الضئيل عليها

فظهرت في شكل مهيب وسط تلك البقعة الهادئة

مر رجل خلال ذلك وفي يده مشعال وقد تبينته جان فعرفت أنه الحوزي

الذي جاء بهما فقالت له : أنت هنا يا موليني . . . هل لك أن تخبرني عن اسم

هذه الجهة؟

— دعيت بالصخرة الدامية

— ولم دعيت بهذا الاسم الرهيب؟

— قيل أنه فيها مياه دموية حمراء . ويمتقد بعض الناس أن الكهنة في

قديم الزمان كانوا يقدمون عليها القرابين من الضحايا البشرية

انقطعت هذه المهادة القصيرة فأقفلت جان النافذة

عند منتصف الليل تمكن سلطان النوم من جان فنامت نوماً عميقاً

في صباح اليوم التالي استيقظت وارتدت ملابسها ونزلت إلى رحبة الفصم

حيث كان المزارع وموليني يتحدثان فقالت لهما وهي تشير إلى الصخرة : إنني ذاهبة إلى هذه الجهة

خيل لجان أن هذه الصخرة ستفتح لها مكنوناتها المملّنة بالأسرار فسارت حتى وصلت إلى ممر ضيق فأبصرت على مسافة منها رجلاً يتنزه فكان والدها كلاهما يتجهان نحوها . . . فلما أدركا قمتها كانت جان تحاذر أن يراها والدها فاختبأت بين أوراق شجرة الكستناء بحيث تراه ولا يراها

وقف جون أمام شجرة هائلة تدل هيئتها على أنها بلغت المائة عاماً فتمكنت جان من قراءة اسمين منقوشين على جذعها قد أظهرتهما عن الأيام وصروف الدهر وهما : تريز تونيليه وجون ردون

فسقطت دمعتين من مقلتي جون . دمعتا اليأس والألم . فخرجت جان من بين الأوراق واقربت من والدها ووضعت يدها على كاهله فالتفت نحوها وقال منذهلاً : أنت هنا ؟

— نعم

ثم أشارت إلى الاسمين وقالت : هل تريز تونيليه والدتي ؟

— نعم

— لماذا تبكيها ؟

— لأنني تذكرت الايام السعيدة التي قضيناها معاً . . . وأسفاه لقد كانت

قصيرة . . .

— هل توفيت ؟

— كلا لكنها هجرتني

— متى ؟

— حين سافرت إلى أمريكا . . .

— لقد قلت لي قبلاً أنها توفيت ؟

— بل لا تزال على قيد الحياة

— أين هي الآن

فأشار بيده الى قصر بوسي الفخيم وحدائقه المحيطة به التي تزيد رونقاً

وبهاء وقال : هنا تقطن

- أهى الكونتيس، دى بوسى ؟
- هى بيمينها
- كيف تكيون زوجتك وتدعى بغير لقمك ؟
- لأنها نالت حوار طلاق من القضاء
- لماذا لم تعرض على القضاء
- لأنى كنت بعيداً . . .
- وماذا فعت بعد ذلك ؟
- اقرنت بالكونت صاحب هذا القصر الجميل
- وهل لا يزال حياً ؟
- بل توفى منذ ثلاثة أعوام تقريباً
- لماذا كذبت - فيما سألتك عنها على ظهر الناخرة ؟ . .
- لأنى أردت أن أحوك من مخالب امرأة ملبت هنائى وراحتى . . .
- وريموند ؟
- تركها فى فرنسا لأنها لا تتحمر مشاق الافر
- عند من ؟
- تركتها لعماية أوسر أثق بهم
- لقد هجرتنا والذنى إدا ؟
- ولا أعتقد أن الأم الجمونة تهرق عن أرلادها بطيبة خاطر
- وما هو سبب هذا الاشفاق ؟
- لذلك سبب حطير لا أريد، أن أبوح به لك لأنى لا أريد أن يزول احترامك لها . . . فقد كانت حمونة بحوك . . .
- استموت على حان تلك الرغبة التى تافى نفسها إليها مراراً . . . .
- بكت على وفاتها فكيف إدا كانت على قيد الحياة ؟
- رأيت أن تتطير ربنا استشير صديقها البارون وتطلعه على الحقيقة
- ثم التفتت نحو أبيها وقالت له : أو تخشى بأساً ؟
- أجل لأنى خدعتك مده طويلة

لا أريد أن أعلم سوى أنك رحل شريف وشفوق علي . . . وسأنتظر اليوم السعيد الذي فيه محيى هذه الذكرى المؤلمة من مخيلتك. واليوم الذي فيه تسمح لي بولوج قصر بوسي فأطابق والدي كما كنت أأطافها وأنا طفلة . . . ويرداد سروري حينما أرا كما متحدثين تقشان. أسميكما على هذه الشجرة دكرى عهد حديد وثيق . . .

ثم أدارت محيى الحديث فقالت: أ تكتئب لفقد ربهم بد  
— بدون شك

-- هل تبحث عنها؟

— كثيراً ووالدتها الآن تبحث عنها . . .

ذكرى الطفولة السعيدة . . . تذكرت جان التزهات الجميلة في حدائق التويلري فشعرت إذ ذاك أن الوالدة مهما تصلب فؤادها لا بد أن يكن فيه ذلك الانعطاف والحنو نحو أولادها . . .

فقالت: لم لا اسمي لايحدها مادما مقبره في فرنسا؟

-- إن رأيتك سيد فلقم بالبحث حتى تجدها.

ما حوز و بنته إلى القصر وهناك قالت له: أطلق منك أمراً لا أخالك

تدخل به علي . . .

-- وما هو؟

- إن تعطيني رسم والدي لكي أقبله رسمها الذي في ذا كرتي . ومتي

ذهبنا إلى باريس اسمي لأخذه بالفوتوغرافية

فأخرج جون من محفظته الجلدبة رسماً قد أعفاه القدم وأعطاه لجان التي

أحدثه وأنعمت فيه النظر ثم أأذنه اليه . ولما احتلمت في غرفتها قالت في

نفسها: لقد أحبها ولا يزال هو ه . . . سوف أصالحهما فتمتدي، حياتنا

الجديدة المملوءة بالهواء والرفاهة

## الفصل السادس

### بزوغ فجر الحقيقة

في الثامنة من صباح اليوم الثالث وهو يوم الأحد استيقظت سوزان وهي تقول لقد تأخرت

سمعت طرق بالباب فقالت : من في الباب ؟

— أنا الكسندرين

— حسناً امشي الهوينا فساُتبعك بعد برهة

كان الطقس جميلاً وفي شهر سبتمبر . . .

نزلت سوزان ولما صرت بجانب البواب قال لها : رسالة لسيدتي سوزان فأخذت الرسالة منه وتأمّلتها فاذا هي من بريطانيا فقالت في نفسها : من

الملازم بدون شك . وكانت خوى الرسالة هو ما يأتي :

عزيزتي سوزان

أكتب إليك كمتهم قضى عليه الأمر . برئت من جراحي لكنني أعفيت

عن الخدمة العسكرية بقرار من الأطباء . . . . .

هذه هي الحقيقة الجارحة

كنت أطمع بأن أصل يوماً ما إلى درجة قبطان مثلاً فيمكنني إذ ذاك أن

أأخذ لي شريكة في حياتي . . .

تلك الحسنة التي وددت أن أهبها اسمي ولقبي هي أنت

الآن لم يعد لي مطمع في الجاه والمال وما امتلكه هو منزلنا القديم

ومصيف يساوي ألفين تقريباً وبضعة من النقود تكرمت بها وزارة الحربية

للذي كرس حياته لخدمة وطنه

لن يطيب لنا العيش في وسط الطبقة الضئيلة بين البحر الهائج وسكينة

الطبيعة الهادئة

حتى إذا رزقنا الله أولاداً نجعلهم أعموداً لخدم الوطن أو بناتاً ليندرجن في سلك الرهينة

هذا كل ما يمكنني أن أقدم لك يا عزيزتي  
أقول لك والدمع يترقرق من مقلتي حزناً وأسى : أترغبين أن تلقيني نفسك بالبارونة كرادنيل فتشاركين أيام بملك في ذلك المنزل الخفير وترتدين الملابس القروية

لا تعجلي في الاجابة بل خاطبي ضميرك النقي للاختيار بين المعيشة التي أنت فيها وبين التي ستؤولين اليها  
إن رجلاً فقيراً مثلي لا يباح عليك بهذه التضحية الجسيمة . . .  
بعد بضع أيام أعود إلى باريس قاصداً حمامات نريس حيث تعود إلي القوة والنشاط . . .

سأراك بدون شك فتخبريني عن عزمك الأخير وأقبلي تحيات صديقك المخلص  
بيير كرادنيل

لم تكذب تأني على آخر الرسالة حتى فاجأها الكسندرين فقالت لها : هل أبصرت صديقك هذا الصباح ؟  
— أي صديقي ؟  
— جيرك حارسك الأمين . . .  
— كلا

كانت سوزان تتكلم وأفكارها مشتتة شاردة . . .  
قبلت أن تكون زوجته لتفي دينها ألا وهو الجميل . . .  
سارت الشابتان في شارع سان اونوري متجهتين نحو ميدان مادلين ولم تزالا سائرتين حتى وصلتا إلى شارع سورمابا الذي يمر فيه الخط الحديدي . . .  
وكان ثمت شاب حسن البزة يتمشي عند مدخل الممشى المظلل بأشجار اللبخ الباسقة فصادف في سيره الكسندرين وسوزان فحياهما وقال للأولى :  
هل فعلت ؟

فالتفت الكسندرين نحو تلميذتها وقالت : إن ابن عمي قد دعانا لتناول الطعام في سورين

وساروا جميعاً إلى مائدة وجلسوا على مقاعد مظلة بأشجار الحور وكانت  
سوزان لا تزال شاردة فقالت لها الكسندرين : هل أنت في بريطانيا ؟  
سمع مارسيال هذه الكلمة فأصغى بكليته وقال لأبنة عمه : لا تلومي  
هذه الحسناء اذا كانت تفكر في شؤونها الصغيرة  
وبينما هما في الحديث إذمرت صديقتان لألكسندرين فاعتذرت لابن  
عمها وذهبت معهما . . .

فانتهر مارسيال فرصة غياب خليلته وقال لسوزان : آه لو تعلمين كم أنا  
سعيد بمقابلتك اليوم

— أنت لطيف جداً

— أني مسرور من تقدمك في العمل وابنة عمي تمدحك دائماً كما أنها  
تحبك كثيراً . . . لا بد أنك حديثة الإقامة في باريس !

— قدمت منذ أربعة أشهر فقط

-- من اقليم بريطانيا ؟

— نعم

— في أي جهة منه ؟

— في قرية صغيرة على شاطئ البحر . . .

— ماذا تدعى ؟

— لندفن في مقاطعة المورهبان بقرب قرية سانتان دوري

— الحقيقة إنني لم أسمع بهذا الاسم قبل الآن

لم تكن هذه الأسئلة لتوجه إهتمام سوزان فقد كانت تناجي نفسها  
وتقول : سوف أكون البارونة كрдانيل

كانت التاسعة عند ما طادت الشابتان إلى منزلها ومارسيال برفقتهما

صعدت كل إلى غرفتها وانتظر مارسيال رهة . ثم صعد إلى غرفة

الكسندرين وأقام عندها ساعة ثم انصرف وهو يقول لها : سوف أحدثك  
بشأن . . .

— متى ؟

— بعد يومين أو ثلاثة . . .

— لم لا تمدني الآن ؟

— لأنني أريد أن أخط المشروع أولاً . . .

— فلذنتظر

انصرف مارسيل على أطراف صابنه محاذراً مباحثة رقيب  
أما سوزان جلست بقرب المافذة وشرعت تكتب الرسالة الآتية إلى  
صديقها الملازم بيير :

صديقي

أخذت بمن الشوق رسالتك وتلوتها وكررت كثيراً في ما عرضته عليّ  
فألفيت أن أدرج عليك هذا السؤال : كيف رعب أن نتخذ شابة تعسة  
كزوجة لك ؟ فتاة لا تملك شيئاً . ابنة ذات والدة مختلة المشهور تربت  
برحمة محسنه . . .

تأمل كيف فادرت لندفن منذ بضع أشهر وعليّ ثوب رت وحذاء غليظ  
وبضع دراهم تركتها لي والدتك رحمها الله

تذكر ما قيل عني في البلاد وما سيقال عني بأني ابنة مجهولة الأصل . . .  
هل أنا حقيقة ابنة هذه المنكودة انفون والأفلا يكون والدي أسوأ حظاً  
مني لا اضطررها إلى ترك ابنتهما في قارة الطريق . . .

الآن وقد شرحت لك حقيقة حالي فلك الخيار على إني لا أراضك . . .  
أنت لا تشك في صحة قولي بأني مدينة لك ولوالدتك المسكينة التي سيبقى  
ذكرها في أعماق فؤادي فلا زيله السنون الطور . لا تعتقد أن قبولي يمد  
تضحية فاني أكاد لا أصدق أنك تقترح عليّ أمراً كهذا  
متى اقترنت بك تقطن حيث تطيب لنا الإقامة . . .

في منزل والدتك نمضي أياماً سعيدة مملوءة بالسكينة والهناء ونحذو حدو  
من قطن فيه قبلنا

الآن أقول لك هذه الكلمة : اعلم أن آمال المستقبل واسعة فلا تقنط  
بل فكر قليلاً قبل أن تعرض عليّ هذا الأمر . . . باريس ملائمة بالمئات  
النبيلة وشبابها تتوق إلي لقب بارونة

إني أعدك بقبولي ولا أجد سواك يغير عزمي  
 مهما طرأ علي فاني أبقى مطيعة لك إلى آخر نسمة من حياتي  
 وثق بشعوري الرقيقة

سوزان

لم تنته من كتابة هذه الرسالة حتى كان الدمع ينهمر مراراً من مقلتيها  
 الترجسيتين

## الفصل السابع

### التجسس

أصبح مارسيلال منذ محادثته مع سوزان يظهر كل لطف وحشمة نحوها  
 ونحو الكسندرين التي يدعوها بابنة عمه المزورة . أما هي فكانت لا تنق  
 به لأن وعوده الباطلة قلما تصدق  
 وكان يجد لذة في معاكسة بوسكاري فكان يقول له : لا أعتقد أن لغزاً  
 سهلاً كهذا يصعب عليك حله

وذاك يجيبه : لا بد أنك وقفت على سر هذه المسألة ؟

— وأحمد العزة الآلهية التي قادتني إليه بدون تمب

— هل شاهدت الفتاة ؟

— ربما

— وتود أن تحتفظ بالنتيجة لنفسك ؟

— هذا الأمر لا يعنيك

في يوم الجمعة خرجت سوزان من محل الأزياء . بعد أن انتهت من عملها

فقابلت صديقها جيرك وقالت له : ماذا تفعل هذا المساء ؟

— كالمعتاد . أتتزه قليلاً ثم أعود إلي غرفتي وأنت ؟

— يجب أن أعود أيضاً

— ان مناخ هذا المساء منعش والتتزه جميل بين الرياض والحدائق . . .

— ألم أخبرك بأنني في انتظار رسالة من صديق لي من لندن . . .  
ومازالا سائرين حتى وصلا إلى منزل سوزان فتصالحنا وعاد جيرك وهو  
يقول في نفسه : لم أر في حياتي فتاة جميلة ومهذبة مثلها  
لم تظأ سوزان عتبة الباب حتى أوقفها البواب بقوله : رسالة لسيدتي  
سوزان

فأخذت الرسالة بلهفة وبينما كانت صاعدة وقد طفح السرور وجهها إذ  
قابلتها الكسندرين فقالت لها : إلى أين ذاهبة ؟

— لاستنشاق نسيم هذا المساء الجميل . هل ترغبين مرافقتي ؟

— أتأسف إنني لا أستطيع

— لماذا ؟

— لأن كثرة الشغل أنهكت قواي

— إذاً إلى الغد

أسرعت الكسندرين في خطاها لكيلا تتأخر عن الميعاد المضروب  
وكان جيرك يسير في الجهة الاخرى وقد أبصرها فقال في نفسه : أخشى على  
سوزان من هذه الشريرة المسترة بثياب الفضيلة

وصلت إلى زاوية شارع بواس فأوقفها مارسيال الذي كان يتخاطر ذهاباً  
وإياباً ، تأبط بذراعها وهو يقول : أين سوزان ؟

— لم تأت لأنها تمة

فتبسم مارسيال انقسام الظافر وقال : أعند نفسي سعيلاً لعدم وجودها  
بيننا . . . .

— لماذا ؟

— لأنني أرغب في محادثتك على انفراد . . .

— أين يكون حديثك ؟

— في حدائق الشانزيلزيه حيث نأمن الرقيباً تحت أشجارها . . . لقد

خاطبتك بشأن زواج ؟

— لكنني لا أعتقد في كلمة مما تقوله  
 — سوف أؤكد لك أنه بمساعدتك تعود العاقبة علينا بمجزبل الفائدة  
 — يغيظني أنك تبني قصوراً في الهواء  
 — كلا فاني أبني على أرض صخرية . . .  
 دخلا حدائق الشانزليزيه وتبعهما جيرك وقد اختبأ وراء شجرة غليظة  
 قائمة على بعد ثلاث خطوات منهما فسمع مارسيل يقول لرفيقتة : لقد  
 اتفقنا إذا ؟

— نعم  
 — يوم الأحد القادم ؟  
 — آخذها معي إلى أنجيين حيث تهتم أنت بما يلزم لانعام الحيلة  
 عند هذه الكلمة تصالفا وسار مارسيل في شارع بواسي قاصداً منزله  
 في شارع روفنس وسارت الكسندرين في شارع رويال وكان جيرك يتبعها  
 على بعد خطوات قليلة وهو يترنم بصوت منخفض هذه العبارة :  
 « صبراً جميلاً أيها الشقاء . سوف تعلمان من يكون الحائل المنيع دون  
 انفاذ خطة مشروعكما العقيم حيث ترغبان إيقاع سوزان في حبائلكما . ويل  
 للذي يمس شعرة واحدة من رأسها لأذيقه كأس الردى ولو كان جباراً عنيداً »

## الفصل الثامن

### الفضيحة

كانت ليونى صاحبة نفوذ في قصر بوسي ولسيدتها ثقة عظمى بها  
 أتى الساعي وييده رسالة فسأها اليها وهو يقول : رسالة خصوصية لسيدتك  
 — من أعطاك إياها ؟  
 — أعطتني اباها آمنة جميلة في ربيع الحياة  
 — متى ؟

— منذ برهة

— أين؟

— عند مفترق الطرق . وهي على جوانبها وتشابه الكونتيس تماماً

— وأين هي الآن؟

— لقد طادت من حيث أتت

— من أي جهة توحجت؟

-- قصدت سوفلي بدون شك

أخذت ليونني الرسالة وقصدت غرفة سيدتها وهي ترقص من شدة

الفرح وقالت : رسالة وردت باسم سيدتي

فأخذت تریز الرسالة ولم تكلم تتلوها حتى تساقطت دموع الفرح واطمان

بالها لأن عبارات ابنتها كانت تدل على أنها لا تزال مداومة على حفظ عهد

الارتباط البنوي

ابنتها الكبيرة تحبها من صميم فؤادها . وهي تريد ما أدركت أنها

لا تزال على قيد الحياة . وستكون لها تحت ستار الخفاء ما دام جون يسمي

لغير يقهما بكل ما لديه من القوة والارادة

جون أدى خدمة يستحق من أحلمها الثناء وهو كتمه سبب الشقاق بينه

وبين امرأته

وكان صوت داخلي صادر من أحماق فؤادها يقول : غداً تعانقينيها فتم

سمادتك

أخذت تفكر هنيهة ثم رفعت رأسها وقد ظهر على محياها الوجع خشية

مباغثة جور لها فيقضي على آمالها الواسعة التي تحلم بها . لكنها عادت فسكن

روعها وأنى لجبن أن يتلمس وراء إنثته وقد ودعته وهو لا يشك في

اخلاصها نحوه

إبنة تسمى في إزالة ذلك الشقاق

هذه إرادة الابنة تقاوم إرادة والدتها التي لا يحملها شرفها وكبريائها على

المخضوع أمام إرادة ذلك الرجل الذي لم يستر عليها عارها . فهل تضمرات  
إبنة تلين إرادتي والديها ؟

مرت هذه التخيلات على ذاكرتها خلال رقادها فاستولى عليها السهاد  
فتمثل أمامها إذ ذاك طيف زوجها الراحل يمر ذراعيه ليعانقها فترتعد مفاصلها  
خوفاً وتردد هذه الكلمات : لا أريد إذ لا يزال في نفسي الأمل

بدأت تبشير الصباح فاستيقظت تريز ودعت خادمتها لتأمر بأعداد جوادها  
ثم ارتدت ثيابها وتناولت بعض الطعام بشهية ولما انتهت نزلت إلى رحبة  
القصر وكانت ليويي بانتظارها فاعتلت صهوة الجواد وسارت به ولم تعد إلا  
الظهر حيث تناولت الغداء وانتظرت حتى الميعاد المضروب وذهبت بجوادها  
إلى الغابات المجاورة لقصرها ولم تأت الثانية بعد الظهر حتى وصلت إلى كوخ  
بوتوشبان الذي فطن فيه آل رفيز الراحلون

وقفت تريز هيمية وهي تتأمل الكوخ الذي أودع فيه طفلتها ريموند  
فشهرت بانقباض شديد فلم تتمكن من المكوث كثيراً فشدت رحالها قاصدة  
الصخرة يتمهل لأن الموعد المتفق عليه هو الثالثة

وصلت تريز إلى سفح الصخرة قبل الميعاد بمشرين دقيقة فربطت الجواد  
بجذع شجرة وصعدت إلى الجهة التي فيها الشجرة المنقوش عليها اسمها واسم  
من هجرها فلم تتأثر لرؤيتها

لِم لم تتأثر لهدد الذكرى ؟ لأن هذه النيران التي تأججت في فؤادها  
مدة قد خمدت وبردمادها

وفيما كانت تريز في تأملاتها سمعت وقع أقدام على حصي الممر الضيق  
الكائن على مسافة مائتي متر منها فالتفتت إلى جهة الصوت وقلبها ينبض  
بسرعة

اقتربت جان ففتحت تريز ذراعيها لتعانق إبنتها وهي تقول : جان إبنتي  
أرادت جان أن تعانق والدتها لكنها توفقت فجأة وشحب وجهها حتى  
شابهت الاموات فأسندت يدها إلى جذع شجرة قريبة

لماذا توقفت جان عن معانقة والدتها وقد جمد الدم في عروقها ؟  
 ذلك لأن رجلاً خرج من بين أوراق الأشجار وهو يقول وقد ملاً الزبد  
 شدقيه من شدة الانفعال : لقد تنبأت بهذه المقابلة  
 ثم خاطب جان بصوت جاف : كان الاحرى بك أن تكوني صريحة في  
 أقوالك فتخبري بيننا ولا تعديني باطلاً . . . يظهر أن دماء هذه المرأة لا تزال  
 تجري في عروقك

ثم التفت نحو تريز وقال : إني لا أطارد وتذهب أتعابي سدى ما وعدته  
 أوفيه . الاصوب ان أشرح لها حقيقة الامر :  
 « جان انت تعرفيني جيداً وقد عشنا معاً أكثر من ستة عشر عاماً  
 أنت تشابهين الجندي الذي ينضم إلى صفوف الاعداء عند القتال ... هدوي  
 الاله الذي صادفته في طريق الحياة هو هذه المرأة  
 « انظري إلى هذه الصورة الفتاة فان جمالها فائق الحمد . . . والرجال  
 يقعون في شبا كها لدى رؤيتها لأول وهلة . ولاعينها الخلابة تأثير في نفس  
 من يراها . . .

« وجيئها يدل على الذكاء الفطري . . .  
 « وشفتها تشفيان العليل وتدعو ان العشاق إلى ارتشاف كأس الهوى

من ثغر نادر

« كنت في العشرين من عمري فلاحاً قذراً جاهلاً مستسلماً إلى التصورات  
 الخيالية . لكنني كنت أبي النفس متى وعدت أفي . نشأت من هذه  
 المزرعة وكان والدي فلاحاً أميناً ووالدتي امرأة بسيطة مخلصه له فكنت أعد  
 نفسي أسعد الخلق بوجودي في هذه المزرعة

وأبصرت هذه المرأة فعمشقتها وكانت قد قدمت إلى هذه البلاد مع والدها  
 وهو قبطان أعني من الجندية . شغفت بها والحن يقال إني لم أعالك إخفاء  
 عواظي وبثت لها حبي فمهدتني على مداومة هذه الصلة وكما نذعب كل يوم  
 إلى هذه الشجرة وننقش عليها اسمينا تسجيلاً للعهد . . .

« على هذه القمة قبلت والدتك أن تكون لي نعم الزوجة فأعتقدت أبي  
 أسعد الناس لكن الحقيقة كانت بخلاف ذلك

« باريس أم العجائب . باريس اتسمت لها ولطامعها . أقننا فيها فكانت  
تتنزه كل يوم في الحدائق وتمرح مع صديقاتها وربما كانت تبحث عن عشيق  
يأتها بما تشتهيبه نفسها من نفائس الحلوى لتتزين بها فتصبح امرأة نبيلة ...  
« جئت أنت فتضاعف فرحي ولعرت حبي لها لم أنتبه إلى ما يدور حولي  
فكانت الابتسامه التي تصدر منها زيل كل ظنوني وقبله من شفقتها كانت تنسيني  
لوعتي واشتياقي نحو بلادي التي تركتها رغم إرادتي إرضاء لها  
« خمسة أعوام مصت وأنا ساج في بحار السحاب الكثيف وعلى بصري  
عصابة تحجب الحقيقة ...  
« باريس بلاد الاريستقراطيين المالميين وإرادي لا يكفي معيشة الترف  
والفخفة ...

« بعد ثمانية عشر شهراً من ولادتك رزقت طفلة أخرى دعيت ريموند  
وكانت تشابهك جمالا ورقة وكنت أشعر بخنو غريب نحوها فصممت على  
تكريس حياي لراحة العائلة إلى أن داهمتني المصيبة ...  
« رسالة هائلة أنبأتني بأن زوجتي عشيقاً مثيراً ...  
« أشير علي أن أذهب إلى المنزل الرهيب الكائن في شارع باك ...  
« فقصدته وانزويت في أحد أركان غرفه . وذلك قبل أن يحين الوقت  
لاجتماع الحبيبين . كنت أفكر في حالي ومآلي ... وانتهاك عرضي ...  
« حتى ان الشاهد الذي يراقب تمثيل دوري على مسرح الحياة لا بد أن  
ينفطر فؤاده أسى ويندب سوء حظي ... وذلك العاشق الولهان لم يدر  
أن للجدران آذاناً صاغية بل أخذ يبوح بما يكفه فؤاده  
« فأدرت أمراً خطيراً ولغزاً فكككت رهوزه بفضل العناية الثاقبة  
« أدركت أن إبنتي الأولى هي إبنتي الحقيقية ... والثانية إبنة طار  
إبنة قاهرة .. إبنة زناه ..

« لم تمض بضعة أيام على هذه الحادثة حتى بعث المزرعة ... بنتاي كما  
كنت أعتقدهما على بساطة نيتي ... ريموند تركتها بعناية أناس هاملين كي تضل  
أبحاث من يبعث منها ... أما أنت فأخذتكم معي إلى أمريكا حيث قضينا

الأعوام الطوال بعيدين عن كل ما يكدر صفاء المعيشة ...  
 « هجرت هذه المرأة لاني شعرت بضمف إرادتي أمامها وأني سأخضع لها إذا داومت على الكتمان وعدم الاهتمام  
 » قطعت كل العلائق التي تربطني بها . إلا أنني تكدرت كثيراً لفقد ريموند التي شاءت الأقدار أن تحببها ...

« هناك في الأراضى المتوحشة أقمت ولم يهنأ لي نوم أو طعام فسئمت الحياة وندبتها ونحولت غرامي إلى بغض شديد وأقسمت «لانتقام  
 » انتظرت حتى رحل الكونت ساعدها الأيمن فقدمت إلى فرانسوا كي أرشف كأس الانتقام فأعلمتها بفقد ريموند وأذرتها حتى إذا سمعت للتقرب منك شرحت لك تاريخ حياتي كي يتولد فيك حب الاحتمار لوالدتك ولكي لا يكون عندك شك في صدق كلامي

ثم أخرج رسم زوجته ومزقه وقال : لقد رافقتي هذا الرسم في رحلتي ...  
 الآن لا أريد شيئاً من هذه المرأة  
 وأخرج رسالة الأقرار وقرأها بصوت طال :

« أشهد أن هموم المركيز دي بورد هو عشيقتي منذ أكثر من سنتين وإنه بدون شك والد الطفلة ريموند وكان زوجي غائباً مدة ولادة هذه الطفلة  
 تریز تونلييه زوجة ردون

تحريراً في باريس في ٢٣ يونيو سنة ١٨٧٦

--- والآن لك الخيار أن تتركى والدك الذي انتشك من هوة العار ولا ملامة لذلك . . . إن رغبت إمنعني عن مشاهدتك واذهي مع والدتك واقسمي معها العار . . . أنت طليقة الرأي . . . تروي في الأمر ثم أحكمي بما يروق لك

والنتف جون نمو تریز وقال مازحاً : تدهشني جسارتك واقدامك على معانقة جان . . . (بجدة) شقية أنت . . .  
 فتمتمت جان بجزن : كنى يا والدي . كنى . . .

ثم انقلبت على ظهرها فاقدة الصواب فأرادت تریز أن تتقدم نحوها

لتضمها فقال جون بخشونة : أمنمك بناتاً من التقرب منها . . . والآن مهما فعلت فهي تحمقك وستحتمقك حتى آخر نسمة من حياتها وتجلدت الكونقبس وانتصبت قائلة : أنت تقتلني بيدك . . . الوداع إلى الأبد . . .

حشت على ركبتيها وقبلت جمين جان وقالت : إعتن بها ثم قامت وركبت جوادها وسارت إلى قمة النل المبني على سفحة قصر سوفاجير وحوله المزرعة وانتظرت طويلاً مترقبة . فأبصرت عربة تقف أمام الباب ورجل يترجل منها حاملاً بين ذراعيه شابة فوضعت يدها على صدرها وتنهدت ثم أطلقت لجوادها العنان وفتت أمام منزل الدكتور رنول وكان واقفاً عند بابه فاستقبلها فقالت له : اذهب إلى قصر سوفاجير لمعالجة إبنتي جان وأرجو أن تفيدني بعدئذ عن حالتها

- ماذا حدث لها؟
- إنها تتألم . . .
- وأنت؟
- لا أشكو من بأس . . .

## الفصل التاسع

### بريق الأمل

عند التاسعة ونصف من صباح يوم السبت التالي ليوم الحادثة التي سبق ذكرها للقراء كان الدوك دي لوسي مصحوباً بمخفيدة وهما سائران في الطريق الصغير المؤدي إلى المحطة على مسافة كيلومتر واحد . ويظهر من سياء المركيزة أنها حزينة شاحبة . فلما اقتربا من رصيف المحطة قالت المركيزة : أظن أنك ستنفذ ما أوصيتك به ولا تنساه ؟

— تقي بي دائماً

— إذهب أولاً إلى أصحاب شركة فريبورج الذين يخدمون الناس وأخبرهم أنني مستاءة جداً من نتائج أبحاثهم وأن ما بذلته قد ذهب سدى . . .  
— ستكون زيارتي الأولى لهم . . .

— وبعد؟

— أتناول الغذاء إذا سمحت؟

— بدون شك وبعد؟

— أذهب إلى كارولين لأجل قبعتك . . .

— وبعد؟

— أؤنبها على صنعها

— ليس الأمر بذى أهمية . . . متى تعود؟

— ربما عدت هذا المساء أو غداً في النهار

ركب الدوك القطار إلى باريس ولم تأت العاشرة ونصف حتى كان قد

ركب عربة أقلته إلى شركة فريبورج

كانت قاعة الاستقبال خالية وبوسكاري جالساً على مكتبه ينقش رسماً

نصيفياً على قبضة عصا

دخل الدوك واقترب من بوسكاري وأخذ يتأمل ثم قال مازحاً : بكم

تبيع العسا؟

— ما فيش فرق .. بلويسين فقط

— متى تنتهي منها؟

— هذا المساء

— أرسلها إداً إلى فندقى غداً صباحاً ولا تتأخر عن العاشرة ونصف ..

سأزيد على القيمة نصف لويس

— أشكرك كثيراً يا سيدي

بعد انتهاء الحديث فتح فريبورج باب غرفته وحيا الدوك ثم تنحنى قليلاً

وقال : ليتفضل سعادة الدوك بالدخول

فألقى بوسكاري نظرة على رقعة الدوك وكانت غير معنونة فقال في نفسه :  
لا بد أنه آت به أن المسألة العظمى  
وكانت عربة الدوك بانتظاره فذهب بوسكاري إلى الحوذني وقال له : أين  
يقوم الدوك ؟

— في الجهة الغربية لصاحبة سان أونوري

— شكراً لك يا عزيزي

خرج لدوك من وكالة فريبورج فلقى بوسكاري فقال له : لاتنس العصا ؟  
— نعماً وطاعة

كان مجمل حديث الدوك مع فريبورج أن هذا الأخير كان يماطله بوعوده  
الباطلة

وركب الدوك العربة فسارت إلى منزل كارولين فترجل وذهب لمقابلة  
الكسندرين وسألها : أين سيدتك ؟

— في غرفتها

دخلت الكسندرين إلى مخدع كارولين وكانت تصرف سوزان وتقول  
لها : إنها هدية مني فأقبلها

انصرفت سه زان بينما كان الدوك يقترب من كارولين وهو يقول لها : من  
تلك الشابة التي صرفتها ؟

— هي التي خاطبتك عنها منذ بضع أيام . كيف تجدها ؟

— جميلة جداً . . . من أين أتتك ؟

— أرسلتها لي صديقتي مدام كرانبل

— لماذا ؟

— لان أحوالها كانت عسرة . وكانت هذه الشابة فوق ذلك تعيل

والدتها المحتلة المشعور

— أراك تعاملينها بكل عطف كأنها إبنتك

— كيف علمت ؟

— لأنني أراك تهدينها شيئاً . . .

- أهديتها دراجة لأنها مولعة بركوبها . . . كنت أخشى طاقبة استعمال هذه الآلة الجهنمية
- هل همك بقاؤها عندك ؟
- كثيراً . لأنها تذكّرني بيوم قدومي إلى باريس . . .
- ماذا تدعى ؟
- سوزان
- جئت بشأن القبعات . . .
- هل لم تمحب حفيدتك ؟
- كلا
- سأرسل لها غيرها
- لقد انتهت إذاً مهمتي
- متى تعود ؟
- في هذا المساء إذا تمكنت . . . إلا إذا تكرمت بقبول تناول الطعام

ممي

- اني طوعاً لك في كل ماتأسرني به
- هذا المساء إذاً
- أين ؟
- في المكان المعتاد
- متى ؟
- عند الثامنة

قام الدوك وقال مودعاً : إلى الملتقى يا عزيزتي  
 لم يمن الزمن المضروب حتى كان الدوك مع كارولين لدى مائدة الطعام  
 يتجادبان أطراف الأحاديث السارة  
 كان الدوك يشرح لكارولين سبب الانقلاب الذي طرأ على عائلة المركز  
 وذهابه إلى شركة فريبورج وكيف أنه لم يحصل إلى الآن على نتيجة مرضية  
 — تقول بأن الأرملة بريطانية الأصل ؟  
 — نعم

- ماذا قيل عن الأرملة ؟  
 — قيل أنها عادت إلى بلادها . . .  
 — في أي مقاطعة ؟  
 — المورهبان  
 — ماذا كانت تدعى هذه الأرملة ؟  
 — زوجة بلير رفين القليل  
 — تقول بأن الأبنه تدعى سوزان ؟  
 — نعم  
 فشعرت كارولين بقشعريرة وقالت : وما يكون لقبها ؟  
 — تلقب بلقب والدها ريدون  
 — غداً يزورني رجل قائم حديثاً من بريطانيا فأسأله عن هذه الامة  
 — ماذا يدعي ؟  
 — كрдانييل  
 — الملازم بدير ؟  
 نعم وهو ابن صديقتي المسكينة وقد وصلتني رسالة منه تفيد بأنه  
 سيعود في خلال هذين لليومين  
 نهض الدوك وقال : غداً أسافر  
 — متى ؟  
 — بعد الظهر هل يمكنني أن أراك قبل سفري  
 — بدون شك . إنه يوم أحد لم لا نتناول الغذاء معاً ؟  
 — إذا شئت  
 — أنا التي أدعوك  
 — أين ؟  
 — في منزلي  
 — إلى الغد إذاً عند الظهر . . .  
 ركبت كارولين عربتها وهي تقول في نفسها : هل تكون سوزان الضالة  
 التي يبحثون عنها . . . إلهي ! هل يكون ذلك حقيقياً

## الفصل العاشر

### جلاء الحقيقة

أضحى بوسكاري منذ تحادث مع الدوك يتقلب على فراش من القناد وهو يتمعن في الرقعة فلا يصدق ما أبصرته عيناه فأخذ يؤمل في مستقبله ويشيد القصور، ولكنه مع ذلك كان يخشى مما كسبه الأقدار له أنهى صنع القبضة ولم يمتن بها كثيراً لآلاف أفكاره كانت شاردة فلم تعجبه ورمى بها فطمها

في السابعة من صباح يوم الاحد ارتدى بوسكاري ملابسه ونزل يتمشى حتى حان الوقت فسار إلى ميدان مادلين وكانت الساعة تشير إلى عشرين دقيقة بعد الثامنة

عند العاشرة ونصف وقف بوسكاري أمام باب القصر الحديدي وأخذ يتأمله ويتعجب فأتاه خادم وسأله : ماذا ترغب ؟

— مقابلة سيدي الدوك دي بوسي لأمر ذي شأن  
كان الدوك جالساً في إحدى القاعات المفروشة بأفخر الرياش والأثاث المتين فلما رأى بوسكاري قال له : لقد أتيت في الميعاد تماماً ؟

— لذلك أسباب أخرى تحملي على القدوم إلى قصر سيدي الدوك  
فسأله الدوك منذهلاً : أسباب ؟ لا أدري إلا سبباً واحداً منها  
— العضا ؟

-- بدون شك . وأين هي ؟

— وآسفاه لم أجدها تليق بمقامك السامي فرميت بها . . . . وسوف أصنع عصا أخرى لأقدمها لك . . . . وإنما أتيت لسبب خطير جداً . . . .

— تفضل بالجلوس أولاً . ولنتحدث

— لم نك . قدومك لأزواج الدوك . . . .

- لا بأس لنا مدة ساعة تقضيها كما نشاء
- لا أدري هل يمكنك أن تثق بي تماماً لأنني أود أن أطلعك على ما يفيدك . . .
- وماذا يفيدني؟
- أمور في غاية من الأهمية . . . ألم تذهب إلى وكالة فريبورج للبحث عن فتاة ضالة . . .
- وكيف علمت؟
- لقد تنبأت . . . أليست تدعى سوزان؟
- نعم
- وأهلها من الاغنياء المليونيين؟
- كيف علمت؟
- لأن هذه الوكالة كانت تأخذ الأموال لتخزينها في خزائنها فقط
- هل أطلعوك على شيء من هذه المهمة . . .؟
- كلا . لكنني تمكنت بالصبر والروية من القبض على رأس الافعى
- أخبرني بحلية الامر
- ليسمح لي سيدي الدوك بسؤال ألقيه عليه
- سل ما نشاء
- ألم تكلف شركة فريبورج للبحث عن فتاة وضعت بعناية خطاب يدهى بليزر رفين؟
- بلى
- وقد هجرت أرملة البلاد ولا أحد يعلم أين ذهبت . . . في امكاني إطلاعك على مقر هذه الارملة الآن . . .
- والفتاة؟
- بموجب معلوماتي يمكنك أن تجدها في خلال ثمانية وأربعين ساعة
- نصريحك هذا يكفل لك ثروة تقطنها وحدك

فتنه بوسكارى عن ارتياح وقال : لقد أخطأت نحو الشركة التي كلفتمني بهذه المهمة لاني أخفيت عنها أموراً عديدة . . . ولم يكن ذلك إلا فرضاً مقدساً عليّ . . . . .

— وكيف ذلك ؟

— لقد أقت طويلاً في خدمة هذه الشركة ودرست أحلاق الشريكين ومناقبهما فوجدت أنهما يسعيان وراء المال فقط يمدان ويملان . . . ويقتنان إذا ما وجدت الفتاة في حوزتهما إحتفظا بها إلى بعد الاستيلاء على ثروتها أو ما يقرب من ذلك

— فهمت الآن . . . تدعي أن الفتاة ذهبت إلى المورهبان . . .

— نعم . مع صريبتها

— ها أبصرت الفتاة ؟

— نعم وكانت طفلة جميلة في الثالثة من العمر

— كيف كانت معيشتها في لندون ؟

— كعميشة أهل القرى الحفاة الأقدام وهم ص يادون وهي حرفة السواد

الاعظم منهم . . . لكنهم امناء مخلصون ، لا يخدعون . . . وقد عاشت بينهم مملوءة بصحة وطافية . . .

— ماذا كنت ترجو من أمرها ؟

— كنت آمل أن يحين الوقت فأسلمها لاهلها . . . أما شركة فريبورج

فإنها تأمل بيعها لمن يدفع غالباً أو تحتفظ بها وبذا تعود ثروتها إليهم .

هذه هي خطة هؤلاء الاشقياء المنافقين . . .

— ماذا تعلم الآن عنها ؟

— وآسفاه . لقد قصصت القرية منذ مدة قريبة فوجدت الارملة ولم

أجد الفتاة

— أين ذهبت ؟

— لا أعلم

- ماذا يقول القرويون ؟  
 -- لاشيء سوى شيخ طاهن يدمى الأب كرجوز رفض إفاذتي ببعض  
 معلوماته بشأن سفر الفتاة  
 — وماذا كان جوابه لك حين خاطبته عن المعلومات ؟  
 — أجب بيروود : إذا رغب والداها أن يعلما الحقيقة فليأتيا الهى في لندن  
 — أين تكون لندن ؟  
 — على بعد سبعة فراسخ من لندن دورى  
 — لقد أدت الآن خدمة عظيمة تستحق عليها المكافأة يجب أن تساعدنا

إذا حتى النهاية ؟

- لا تفيد مساعدتي ياسيدي الدوك . . . .  
 — أين ترجع وجودها الآن ؟  
 --- في باريس . . . لكنها لاتصلح للشابات الفقيرات مثلها . . .  
 -- هل يمكنك أن تكون رهن الإشارة ؟  
 — من غير بد  
 — كيف أطلبك إذا احتجت إلى مساعدتك ؟  
 — عنواني في شارع بروفنس نمرة ٦٧ ( بيس )  
 فأخرج الدوك صرة من الاوراق المالية بقيمة ألف فرنك وقال له : خذ  
 هذه الاوراق فانها تعينك ( مؤقتاً ) على سد بعض النفقات  
 قام بوسكارى وشكر الدوك كثيراً ثم حياء تحية عسكرية وانصرف  
 جلس الدوك إلى المنضدة وكتب الرسالة التالية إلى حفيدته  
 حفيدتي العزيزة

لدى وصول رسالتي إليك أسرعى بالسفر لمقابلتي في منزلي فاذا لم تجديني  
 اذهبي إلى منزل كارولين فانها ستعلمني على أمر يهمنى كلينا  
 لاتدعي زوجك يعلم شيئاً عن أمر سفرك السريع وأظن أنه في إمكانك  
 تناول طعام العشاء سعي في قصري  
 جدك  
 لوسى

أطبّق الدوك الرسالة وأعطاها لخادمه وقال له : هل أكلت ؟

— كلا ياسيدي

— إذا خذ هذه الرسالة لحفيدتي . . . خذ ما يلزمك من الطعام واركب القطار إلى لوسي . واحذر أن يراك أحد . . . خمسة وعشرين دقيقة إلى المحطة انصرف الخادم فارتدى الدوك ملابسه ثم ركب جواده وسار به إلى منزل كارولين . وكانت الساعة عشرين دقيقة بعد الظهر . فوجدها مرتدية بأحسن ملابسه المزخرفة خياها وقال : ستعذريني لتأخيري متى علمت السبب — إنني لا ألومك على تأخيرك بل أعد نفسي سعيدة بمرآك اليوم . . ؟ أعدت كارولين المائدة فجلس الدوك وجلست هي معه لتناول الطعام فقال الدوك : لقد أعلمتك عن سبب الانقلاب . . .

— بدون شك

— إعلمي أيضاً : أولاً : قابلت عاملاً في شركة فريبورج فأطلعني على حقائق شتى كنت متشوقاً لمعرفةا . ثانياً : وكانت الشركة المذكورة قد كلفت هذا الرجل في الأعوام المنصرمة بالبحث عن ضالطنا فعرف مكان الأرملة والطفلة . ثالثاً : وأن سوزان عاشت في كوخ حقير على شاطئ البحر كأمثال القرويات المعدمات تسير حافية القدمين . رابعاً : أن أرملة بليز رفين المقتول قد اختل شعورها وأصبحت منذ ذلك الوقت لاتدري شيئاً عن الماضي

— ما اسم هذه القرية ؟

— أظن لندفن

— لقد سمعت ترديد هذا الاسم مراراً على مسامعي

— من حدثك عنها ؟

— القبطان كروانيل

— وهل يقيم فيها ؟

— نعم

— لو كان هنا الآن لاطلعنا على بعض معلوماته بشأن قضيتنا

- إنه حائد إلى باريس  
 — متى؟  
 — لا أعلم . فاني بانتظاره
- يظهر أن الجو يصفو لنا والأقدار تساعدنا لنماس الحقيقة بأيدينا  
 وترشدنا إلى مقر الفتاة التي ستسبب سعادة العائلة . ما أحلى لي مفارقة الحياة  
 بعد انتشاع هذه الغمامة . . .
- هل عزمت على تنفيذ مشروع التحقيق؟  
 — أجل السفر الى المورهبان وهو قراري الأخير  
 — لقد عزمت أنا على تأجيل سفرك  
 — لماذا؟
- بهذا الفعل إما أن أكون مخدوعة تماماً أو مصيبة كبد الحقيقة . وما  
 أشد سروري إذ ذاك . . .
- أنا لا أفقه حرفاً مما تقولين . . .  
 — ألسنا نبحث في موضوع شابة جميلة؟  
 — بلى
- ومتحلية بكل ما ينبغي للفتيات أن يتحفن من آداب وتربية وتعليم؟  
 — هذا مما لا أشك في صحته
- هذه الفتاة التي تبحث عنها ستأتي لديك وتقبل يدك . . .  
 — لعلك تسخفين بي . . .
- بل أكلك بالحقيقة  
 — وأي حقيقة تعنين في هذا الموقف الجدي الخطير  
 — أن الفتاة التي تبحث عنها قد رأيتها بنفسك مراراً  
 — أين؟  
 — هنا
- أعمل ضاللتنا تلميذتك سوزان؟  
 — هي بعينها . اعلم أن هذا الظن خطر على بالي من قبل فلم أجراً على

التصريح به لك . وخشيت أن يكون ظني كاذبا فأسبب لك فرحاً وقتياً  
أردت زيادة التثمت فأرسلت في طلب سوزان فقبل لي أنها ذهبت للتنزه  
مع صديقات لها . . .

وفيما هما يفكران في الأمر أقبلت الخادمة تقول : الملازم بيير يطلب  
مقابلة سيدتي

فنهضت كارولين وذهبت لاستقبال الملازم الذي دخل فقدمته كارولين  
للدوك وقالت : أظنكما تعارفا من زيارة قبل هذه  
ثم وجهت الخطاب للملازم وقالت : إني أراك خلاف عادتك . هل تشكو  
من علة ؟

كان وجه الملازم مظلماً على غير ماتعمده كارولين من البشاشة وطلاقة  
الحيا فقالت له : مالي أراك متغيراً ؟ . . .

— لا شيء سرى أن طبيبي أكد لي أن في إمكاني العودة إلى الخدمة  
العسكرية فلا يمر علي بضعة أيام حتى أبرأ تماماً  
— ما الذي يكدرك إذا ؟

— لقد أظهرت حباً عميقاً لسوزان . . .

— وهل هذا يكدرك ؟

— كلا . بل كنت أظنها فتيرة مثلي وإذا بها إبنة ذي الملايين . . .

— من أخبرك بذلك ؟

— الاب كرجوز من لندن . . . لقد أطلعني على كل ما كان يخفيه بين  
طيات فؤاده عن أصل هذه الشابة وقدمها مع امرأة الخطاب إلى بلادنا . . .  
منذ أكثر من عشرين عاماً . . .

— ومن أطلع الاب كرجوز على حقيقة حال سوزان ؟

— عامل في شركة الاستعلامات كان يتردد إليه خلال هذه المدة

— ماذا يدعى ؟

— بوسكاري

— فماذا يحزنك إذا ؟

- كوني ملازم طائداً من الجندية لا أمتلك سوى منزل حقير وقطعة أرض محدودة هيئات تكفي لسد رمقي فيما بعد . . .
- أنت تهواها إذا ؟
- منذ أمد بعيد . . .
- وهل بثنت لها غرامك ؟
- منذ أيام معدودة
- هل عرضت عليها أمر الاقتران ؟
- وآسفاه . لقد طلبت منها هذه التضحية العظيمة . . .
- ماذا أجابت على اقتراحك ؟

فأخرج الملازم رسالة سوزان وقدمها لكارولين فتلتها ثم ناولتها للدوك وقالت : أتلى هذه الرسالة منعم النظر . . .

فأخذها الدوك وتلاها ثم قال : أعلم أيها الصديق أن بنات الأشراف الآن يسعين وراء اللقب فلا أخالك تجهل أنه يرفع مكانة المرأة التي تلقب به . . . كان الواجب أن تتروى في قافية مافعلته . . . سوزان شابة مهملة في الحداثة لولا الاعتناء الذي بذلته نحوها . . . والآن أرجوك أن تجيبني على ما أطرحه عليك من الأسئلة ؟

- إني رهن الاشارة
- أتعرف هذا الشيخ ؟ ( يريد به كرجوز )
- منذ طفولتي عرفته
- ماذا يحترق ؟
- يبيع الدخان وله منزل يكرري غرفه بأجور زهيدة
- هل مربية سوزان هي حقيقة أرملة بلير رفين الخطاب المقتول في غابات شفان ؟

- لا رب في هذا
- هل غادرت سوزان منزلها مرة ؟ . . .
- كلا . إلا حين قدومها إلى باريس في المدة الأخيرة وأذكر أيضاً أنها

سافرت مرة برفقة والدتي إلى سنتان دوري

— ظهر لي من خلال أسطر الرسالة إنها تثقت وتعلمت ؟ ...

— أجل . إن والدتي عنيت بأمر تربيتهما ما استطاعت وعظفت عليهما

عطف الأم الحنون وثقتها ببعض العلوم والآداب الاجتماعية والتدبير المنزلي ولقنتها فيما يجب على الشابة نحو الله ونحو القريب وهو الصلاة والبر والاحسان

ثم استولت السكينة على الجميع كأني رأيتهم الطير مدة قصيرة وكل يفكر في حل هذه المشكلة إلى أن أقبلت الخادمة تنبئ بقدوم المركيزة دي بورد دخلت المركيزة فقام الدوك بنفسه لاستقبالها وقال: لقد أبكرت في الحضور فقالت: وصلتني رسالتك وكان زوجي قد غادر المنزل على جواده قاصداً أولني لتناول الغذاء فيها . فركبت القطار السريع إلى باريس ومنها ركبت حربة أقلتني إلى هنا ... ماذا حدث ؟

— أمور كثيرة ...

— تسر ؟

— بدون شك

— أخبرني عما تعلمه بفأني ...

— إن الأقدار بمساعدة هذه السيدة النبيلة ( كارولين ) وهذا الملازم

الصنديد ( بيير ) قد ألهمتنا إلى ما يسميه المؤمنون العناية الالهية فأطلعتنا على ما بسببه يمكنك أن تسعدي زوجك

وببضع كلمات شرح الدوك لحفيده تفصيل الخبر . فقالت مستفهمة :

وأي هي الآن ؟

— لا أعلم

سوزان ليست هنا

سوزان ليست في منزلها

سوزان لم تعد

مضت الساعات، وكانت الكسندرين غائبة أيضاً ..

ودت المرкитеز لو كانت سوزان حاضرة فتأخذها بنفسها وتقدمها لزوجها  
قائلة : لقد كنت حزينا لعقدها وها أنا قد أحضرتها إليك ليعود إليك السرور  
والهناء ...

وكان جيرك غائبا ...

## الفصل الحادي عشر

### خطة شقي

أشرقت الشمس ترسل أشعتها الذهبية وجعلت تسعى سميًا بطيئًا. وكان  
مارسيال قد ارتدى ملاسه وهو بتأهب لتنفيذ مهمته الشيطانية التي استعان  
لأجلها بالكسندرين وهذه تسعى لفائدتها الخبوسية وهي استرجاع ما فقدته  
بواسطة خليها المحبان فكان يقودها كما يشاء وكانت له أطوع من بنانه  
لم تستوال الغيرة على نفسها حين خاطبها بشأن زواجه لأن الرابطة التي  
بينهما لم تكن إلا كشملة نار انظفأ لهيها فجأة . فلم تعلم كيف تكون خطته  
وكيف يكون سعيه سوى أن التي سيقترن بها من صاحبات الملايين  
استعان أيضا بفاني خليلته الثانية وكان يقول لها : أريد أن أزي ...  
ستفعلين كذا وكذا ...

فكانت تجيبه دائما : سأفعل ما يصفو لك

كانت الكسندرين وسوزان في صبيحة هذا اليوم تتنزهان وها تتجاذبان  
أطراف الأحاديث فوصلتا إلى حديقة « كافيه رويال » وجلستا إلى خوان  
وتناولتا القهوة معاً

كان الطقس جميلاً فساركا حتى مدخل الغابة حيث قابلتا مارسيال فحياها  
بكل أدب ...

سار الثلاثة ومارسيال يتكلم بلشانه السيال ويطنب عن نفسه وعن

مستقبله . وكانت سوزان تصني إلى أقواله وكأن هيكل جسمها حاضر وروحها هامة تناجي نفسها بهذه العبارة : غداً يأتي بيير ... بيير الذي تراه نفسي ولا ترى أحداً سواه . تنصت إلي كلامه ولا تصني إلى قول آخر ... ماذا تكون يا ترى كلمته الأخيرة ؟

قارب الظهر فتناولوا الطعام في مطعم بقرب جسر أستبر ومارسيال يقوم بأداء كل ما يلزم ...

بعد تناول الطعام قرر مارسيال بالاتفاق أن يذهبوا إلى أنجيين لتضية بقية النهار

سار الثلاثة على دراجاتهم يجدون في السير . وفي خلال الطريق اتفق مرور عربة تقل امرأة جميلة (هي فاني) فحياها مارسيال فمدت يدها وصاحته وقالت : إلى أين أنت ذاهب ؟

— إلى حيث تسوقنا الأقدار

— هل تقصد الذهاب إلى أنجيين ؟

— هذا عزمنا اليوم

— إن زيارتك ستسبب لي فرحاً عظيماً

سارت المرة فأنم الثلاثة سيرهم. فقالت الكسندرين لمارسيال : من هذه المرأة ؟

— هي إحدى زبائناتكم

— لا أعرفها

فقاطعت سوزان الحديث قائلة : أتذكر جيداً أنني رأيتها قبل الآن ... لقد أتت لقياس القبعات ...

فقال مارسيال : لقد أبصرها سائح أمريكي فشغف بها وبجملها وعرض عليها مرافقته وغمرها بالدولارات فلم يسعها إلا إجابة طلبه ...

كان مارسيال يفتنم الفرص فيبتسم لسوزان لسكنها لم تكثرت له ...

ماذا تم هذه الابتسامات ؟ تم عن شعور كاذب وعواطف خداعة ...

ابتسامات شيطانية وشعور صادرة من أعماق فؤاد أخمده الهوى فلم يبق منه إلا رماد بارد

بلغوا مطعماً في انجيين فجلسوا في الحديقة إلى خوان قريب من الشارع وكان رجل طاعن في السن واقفاً بالقرب منهم فأخذ رسالة من جيبه وقدمها لمارسيال وقال: أظن سيدتي ترغب في مقابلتك فأخذ مارسيال الرسالة وتلا ما يأتي:

عزيزي

إن حظوتي بقدومك مع صديقتيك لتناول العشاء في منزلي سيكون كأسر ليالي حياتي فليكن ميعاد الزيارة الساعة السابعة وإن شئت فلا بأس إذا كانت قبل هذا الميعاد بربع ساعة ...

المتشوقة لرؤيتك

فاني

كان الرجل العجوز واقفاً ينتظر الرد فالتفت مارسيال نحو الكسندرين وسألها وهو يقدم لها الرسالة: ما رأيك في هذه الدعوة؟

— لا أرى بأساً في الذهاب

لم يستشيرا سوزان في هذا الأمر لأنها كانت تائهة في بحار المناجاة الواسعة ...

تناجى بحر لندفن الزمردى اللون وصخوره السوداء المتجمعة على شاطئه تناجى القرويين الذين يزرعون ويستثمرون خير ما أنبتت بلادهم موطنها

العزير

هندئذ قال مارسيال للشيخ: سنجيب طلبها بعد برهة

ولم تمض بضعة دقائق حتى كان الثلاثة على دراجاتهم يجدون في السير قبل ادلهام الظلام

كان الباب الخارجي للمنزل مفتوحاً على مصراعيه. فدخل الثلاثة إلا سوزان التي عثرت بحجر فوقعت على الأرض وانزعت قليلاً

فأسرعت فاني لانهاضها وقالت لها بلطف: الحمد لله على سلامتك ...

— لا بأس. ليست هذه الصدمة الأولى بل كثيراً ما اصطدمت وأصبحت

برضوض خطيرة ...

عجبت فاني بجمال سوزان فأخذتها على انفراد وقالت لها : أنت جميلة جداً  
وجمالك يوقمك في هوة الفساد إن لم تتبصري جيداً . لأن باريس لا تصلح  
للفتيات التقييات أمثالك ... إني أعرف باريس جيداً وشبانها على الاجمال  
شياطين ... لا نخضمي للأصدقاء الذين يتملقون ويظهرون الحشمة والاداب  
فهم ليسوا إلا عقارب يمهدون السبل لأغراضهم ثم ينفذون سمومهم حين  
تسنع لهم الفرص ...

أصغت سوزان بكل انتباه إلى نصيحة فاني

لم يطل موعد العشاء . وفي التاسعة ونصف ذهبت فاني إلى غرفتها فارتدت  
ملابسها وجاءت إلى زوارها وقالت لهم : إني ذاهبة إلى الأوبرا . خذوا حريتكم  
كأنكم في منازلكم

فأبرقت أسرة مارسيل وكاد يرقص من شدة الطرب  
فرافقتها سوزان إلى عربتها وعادت وهي تجد الخطي . وكانت تحسب  
لكلامها ألف حساب

في العاشرة صعدت سوزان إلى غرفة الراقصة لتأخذ قبعتها وقفازيها  
تأهباً للرحيل ...

ثم زلت وركبتها ترتجفان من غير أن تدرك لذلك سبباً وكانت  
الكسندرين تتبهما ...

وعند عتبة المنزل أوقفها مارسيل قائلاً : برهة إذا سمحت لي بهما  
يا عزيزتي

— والكسندرين ؟

— تكون معك أيضاً

— لكن ...

— هل كلامي يربك ؟

— كلا البتة ...

— أريد التحدث معك برهة بأمر يخصك أكثر مما يخصني ...

فتذكرت سوزان قول الراقصة فأخفت اضطرابها وقوت عزيمتها وقالت

له : إلهي . ماذا يكون لديك أعظم من مسألة العودة ؟

— ألم تفهمي بعد ؟

— ربك كلا

— سأخبرك حالا . إنما اصني إلي بكل انتباه

— هل يطول حديثك ؟

— كلا . عشرة دقائق أو ربع ساعة على الأكثر

— إن انتظارنا يضجر الكسندرين

— لقد اتفقت معها فهي تدرك مقدار حيي لك ...

— ماذا تدرك ؟

— الحب الذي أوقع في فؤادي ...

— إن الأمر يتعلق إذاً بالحب ؟

— وهل يكون خلاف ذلك ... ألم تفصح عيناى بما يزيد عن الوصف

ويغني عن الكلام ؟ لا تعتقدي إني أظهر عواطفي كما يظهرها الآخرون

كشرارة نار نشتمل ولكنها لا تلبث أن تنطفئ بعد قليل ... فهي شهوات

حيوانية تهيج لها الأعصاب فجأة ثم تخمد ... أو هي أشبه بالزهرة التي

تتطف فلا تلبث أن تذبل ويزول بهاؤها ورائحتها ... إني أجسم لك آلهة

الحب الحقيقي وأقدمه لك لأكون الساعي في سبيل سعادتك المرضية ...

إنك لا تقدرين مبلغ التأثير الذي لحق بي عند رؤيتك لأول وهلة في نافذة

غرفتك ...

رأيتك فشعرت بالحب الحقيقي ينفذ بين مسام فؤادي العذري ...

أنت هي ضالتي التي أنشدتها منذ صباي ...

أنت التي تحوزين أساس السعادة ومفتاح أبواب المد تقبل فهل تتكرمين

وتنعمين علي بكلمة رضى ؟ ؟

فوجفت سوزان خيفة لكنها تجلجت وقالت كأنها لم تسمع شيئاً : لقد تأخرنا

فالأوفق أن نعود ... ماذا تريد ؟

— تكوين سعادتك

— وكيف يكون ذلك ؟

— باقتراي بك

فسخرت وقالت : أنت في ضلال . .

— لماذا؟

— لأن الحب الحقيقي لا يتولد بهذه السرعة . . .

— صدقت . لكن ألا تعلمين أن نظرة واحدة تكفي للوقوع في شرك

لهوى ؟

— صدقتي . أنا لا أعرف هذا الضرب من الغرام ولا أخاله حقيقياً . . .

أنت تعرض علي أمر الاقتران ؟

— بدون شك

— حاشا أن أقبل منك هذه النعمة لأني شابة فقيرة وربما كنت لقيطة

ولا أمل لي في المستقبل

— إن جمالك يعني عن كل أموال العالم

— ما الفائدة الآن من المجادلة في مسأله سبق فيها السيف العذل ؟

— لقد وعدت شخصاً قبلي :

— نعم

— ألا يمكنك إلغاء هذا الاتفاق ؟

— كلا البتة . إنما تذكر أن الشابة المخلصة هي التي تمد وتفي . . .

— ماذا يدعى هذا الموعود ؟

— وماذا تفيدك معرفتك به ؟

همت سوزان أن تخرج فأوقفها مارسيال ثانية وقال بصوت أجش : لم

يحن الوقت بعد . . .

فصعدت سوزان إلى الغرفة التي كانت فيها آنفاً فتبعها مارسيال وهو

يفرك يديه كأنه فاز بغنيمته وحقق آماله

كان للغرفة نافذتان وبينهما شرفة واسعة . فقالت سوزان : يجب أن

ننهي الحديث . ماذا ترغب أيضاً ؟ . . .

— أتضرع إليك للمرة الأخيرة أن ترفقي بحالي

- لا تسمى عبثاً في اقناعي فان إرادتي قوية  
 — ألا تعلمين أن وجود منافس لي يزيدني تعلقاً بك ؟  
 — لقد تغيرت طباعك وانقلبت صداقتك وهذا غير ما أعهدته فيك  
 — السبب أنني لا أصدق كلمة مما تقولين الآن  
 — كيف ذلك ؟  
 — لا أدري أن ابنة شريفة مثلك لم يمض على إقامتها أربعة أشهر تماهد  
 زيدا من الناس على الاقتران به . فأما أنت لا تبردينني ورفضك هذا إهانة لي أو ...  
 — لا تزدي من هذا الكلام المؤلم لأنني بريئة مما يجول في خاطرك  
 — ألا تعلمين أن شبابت باريس تحسدك متى صرت لي زوجة ؟  
 — أنت تعرض عليّ أمراً مستحيلاً  
 — لا سبيل إلي التلصص من أحكامي  
 — لقد صممت على عزمك ؟  
 — وهو الاقتران بك هذا المساء عينه  
 — صه . أو أدعو ...  
 — تدعين من ؟  
 — الكسندرين ؟  
 — الكسندرين غادرت المنزل منذ مدة قصيرة ... والبستاني في منزله ...  
 والخدمة على مرحلة منا ...  
 — فهت الآن . لقد نصبت لي شركا ..؟  
 — ما أرغبه منك سيكون إما باللين أو بالقوة ...  
 ثم فهته وهو يوصد باب الغرفة أما سوزان فانها ارتدت إلى الوراء قليلا  
 وهي تلازم الهدوء فقالت مستسلمة : لماذا تعلق أهمية عظمى على فتاة حقيرة  
 مثلي ؟  
 — لقد أوضحت لك السبب  
 — أنت تهواني حقيقة ؟  
 — ويقرب حبي لك من العبادة

— لا بد أنك تخني عني أمراً هو أخطر مما أعتقده  
كانت الغرفة في الطبقة الأولى . فقفزت سوزان فجأة من إحدى النافذتين  
إلى الشرفة بينما كان مارسيال يوصد النافذة الأخرى  
فهز مارسيال رأسه ساخراً وقال : أخشى أن سقوطك يشوه أحد  
أضلاعك الناعمة التي يفديها العاشق بحياته

فلم تعبا سوزان بأنذاراته وقفزت إلى السلم الخارجية فزار مارسيال زئير  
الأسود وقفز وراءها فلم تمهله سوزان حتى يقبض عليها بل صعدت بحفنة  
ورشاقة على سور الحديقة وصاحت بعلى فيها ثم ألقت بنفسها في البحيرة  
وتوارت تحت المياه

ممع صوت هو صدى صيحة سوزان

\* \* \*

كان جيرك الرفيق الأمين حاضراً وبرفقته الكسندرين ...  
لم يهدأ بال جيرك منذ المحادثة الأخيرة التي دارت بين الشقيين في حدائق  
الغازيليزيه

في نفس هذا المساء عاد إلى المنزل الذي تسكن فيه سوزان فقيل له فادرت  
المنزل ولم تمد . فخامره الخوف وسار لا يمي ...  
فاتقن أن رأى الكسندرين على دراجتها حائدة وحدها فأوقفها وقال  
بمخشونة : أين سوزان ؟

فوجفت الكسندرين لهذا السؤال وحاولت الانكار فأكرهها جيرك  
فاضطرت أن تعود إلى الفيلا صاغرة

\* \* \*

وكان مارسيال قد تسلق سور الحديقة فقبض جيرك على عنقه بعنف  
فكاد هذا يخنق فقال له : يالك من شقي سافل ...

فرفع مارسيال مدية ليطمن خصمه بها قائلاً : إرفع يدك أو ...  
فلم يممه جيرك بل تنحى عنه قليلاً ثم رفع عصاه وهوى بها على اليد التي  
فيها المدية فكسرها . فنظر الشقي إلى الكسندرين شزراً وقال متوهداً :

تخونيني يا فاجرة سوف تذوقين من يدي كأس انتقامي وأي انتقام يكون...  
فارتعدت فرائص الكسندرين . أما مارسيال فانه هوى فاقداً الصواب  
من شدة التأثير

\* \* \*

عند ما عاد لمارسيال وعيه أبصر نفسه موثقاً وحوله نفر من رجال ونساء  
لا يعرفهم ولمح سوزان وإلى جانبها المركيزة دي بورد تقول لها : لقد انتهت  
ألامك يا عزيزتي . غداً تشاهدين والدك وأنا آخذك إليه  
أنت في تلك اللحظة كارولين فوجدت الجمع يتحدثون والكسندرين  
واقفة وحدها تضطرب . فاقتربت منها وقالت : ماذا حدث ؟  
— غداً تملين كل شيء ...

بعد خمس دقائق أتى بوسكاري فاقترب من مارسيال وقال له : ألم أخبرك  
بأنك ستفسد الطريق الذي نسير عليه ؟  
ذهبت سوزان لمصاحفة الملازم الذي كان يلججها تارة وإلى الرجل الموثق  
تارة أخرى

بعد بضع دقائق نقلت عربتان أبطال هذه الحادثة إلى منزل شارع السلام  
ولدى وصول النبأ البرقي إلى المركز أسرع إلى باريس فوجد الجميع  
في انتظاره فحياهم وأخذ سوزان بين ذراعيه وطاقها ثم ذرف دمعة حارة  
وأخرج نبأ برقياً أعطاه لزوجته قائلاً : لقد وصلني منذ ساعة  
فتلت المركيزة ما يأتي :

« الكونتيس دي بوسي على فراش الموت وهي تطلب حضورك  
لمشاهدتك في آخر لحظة من حياتها وهي تطلب من زوجتك ألا تبخل  
عليها بهذه النعمة »

الدكتور ربول

وصلت رسالة الطبيب متأخرة

## الفصل الثاني عشر

### الانتحار

عقدت لجنة في وكالة فريبورج تعاقد الشريكان على أن يذهب هوشار إلى قصر الكونتيس دي بوسي . جمع هوشار الأوراق المختصة بقضية سوزان ووضعها داخل دوسيه ثم ركب عربة أقلته إلى محطة ليون . وهناك ركب القطار الذاهب إلى نيفر في الدرجة الأولى واختار مكاناً هادئاً كي يمضي بقية الليل بكل هدوء وسكينة

وفي الصباح وقف القطار في شاتوشينون فنزل فريبورج وقصد الفندق الذي نزل فيه جون حينما كان عائداً من أمريكا

فأعد له طعاماً فاخراً لاثقاً بمقامه فأكل حتى شبع ثم خرج وركب العربة التي كانت بانتظاره فمارت به إلى قصر الكونتيس . فدخل إلى فسحة الدار فقابل رئيس الخدمة وسأله عن الكونتيس دي بوسي فأجاب : هي في غرفتها . من يرغب في مقابلتها ؟

— المسيو هوشار من باريس

— حسناً

فغاب الخادم برهة ثم عاد يقول : هل لسيدي أن يتبعني ؟ كانت تریز في غرفة قريبة من مدخل القصر فلم يكذب يدخل هوشار حتى أبصر رجلاً يتأهب للانصراف وهو يقول : إلى الملتقى

— إلى الملتقى أيها الصديق

هنا ابتسمت الكونتيس ابتسامة اليأس

وجلس هوشار إلى جانبها وقال بادئاً الحديث : آه لو تعلمين ياسيديتي الكونتيس عظيم أسنى خيبة مسعاي ... لقد علقت أهمية كبرى بهذه المسألة التي أخذت دوراً كبيراً ولاسكن ...

كانت الكونتيس مسندة يدها إلى المائدة وقد أثر هذا الكلام في نفسها وزاد في ياسها

قال هوشار : منذ مدة غير بعيدة عولنا على وضع حد لهذه المسألة التي لا نرى فائدة من طول مدتها... أنت والدة وعواطفنا لا تسمح لنا بقطع الأمل . إلا أن هذا الأمر أضر بنا لما سمعناه من رسائلك من التأييب على إهمالنا وفتور همتنا مع أننا بذلنا جهدنا وهذا لا يؤدي سممتنا ولا يقلل ثقة زبائننا بنا

— والنتيجة ؟

— النتيجة مؤثرة فتريني متردد للأفصاح عنها

— هل توفت ريموند

— ...

— زدني إفصاحاً... لقد قضي الأمر اليس كذلك ؟

— هذا هو اعتقادنا الراجح

— أين قبرها إذا ؟

— في أعماق اليم أو في أجواف الأسماك

— كيف تعتقد أنها ماتت ؟

— سأقرأ عليك تفصيل ما جاء في مذكراتي التي كتبتها حينما ذهبت

بنفسي إلى فرنسا ونقبت آثار الفتاة المفقودة وهي :

« في المعهد الذي غادرت أرملة رفين باريس يرى الناظر في ضواحي اسيس امرأة بلباس الحداد وبرفقتها طفلة وهي تنتقل بها من قرية إلى قرية دون أن تستقر في إحداها . وكانت تبحث عن فندق تقطن فيه ولم تمض بضعة أشهر حتى اختل شعورها لكنها كانت لا تؤذي أحداً حتى إذا سئلت عن أصلها وعن أصل الفتاة التي معها كانت تضحك.. وكانت لا تقصر عن دفع أجره الغرفة التي تقطن فيها حتى أصبحت موضوع حديث أهل القرى من حيث الامانة والوداعة . وكان رسمها الحقيقي يوافق وصفها في مذكرات الطبيب ربول التي أرسلها

إلى صديقه جون ردون . أما الفتاة فكانت كما قال عنها مشاهدوها : جميلة حتى أنها تفتن الشاب والشيخ معاً . وكانت شقراء اللون وشعرها ذهبي نادر المثال أما عيناها فزرقاوان

« إذا قارنا الفتاة بمربيتها التي نعتقدها والدتها ألقينا بونا شاسعاً بينهما من حيث المشابهة

« بعد شهرين من إقامة الأرملة مع سوزان في قرية لندفن لم يسمع عنهما ما يثبت وجودهما . بالرغم من أن إدارة الامن أقلت اهتمامها قد قدمت التقرير الآتي وهذا خلاصته :

« وجد على شاطئ نهر اللوار وعلى مسافة قصيرة من كوخ شرجي ملابس فتاة . . . واكتشف صيادو ميناء سانجيان لوجران قبعة طائفة على وجه المياه على مسافة ثلاثة فراسخ من اسنيس ويؤكد أهل القرية أن سوزان كانت تلبس هذه القبعة . . .

— والأدلة على ذلك ؟

— أليس مافلته كافياً ؟ لقد علمت قبل الخوض في ذكر هذه الحادثة المؤلمة إنها ستؤثر عليك وبما أنها خطيرة فأثرت نقلها بالحرف الواحد لئلا تلوميني . . .

ثم أعطها قطعة من جريدة وقال : خذي . إقرئي الحقيقة . . . فأخذت تبرز الجريدة بيدين مضطربتين وتلت قطعة في الصحيفة الثانية محاطة بدائرة حمراء . ولم تبلغ إلى آخرها حتى ظهر عليها التأثر واليأس فأعدت إليه الجريدة فوضعها هوشار بين الأوراق وقال وهو يبسطها بين يديها : أتفيدك هذه المستندات ؟

— لعلها تفيدك أنت أما أنا فلا أرى فائدة بعد قطع الأمل

— سأحتفظ بها إذ ربما تحتاجين إليها يوماً ما . . .

— هل تعتقد أنها ألقت بنفسها في المياه ؟

— هل من اعتقاد آخر يرجح على هذا الاعتقاد ؟

فنهض هوشار يريد الانصراف فقالت له تيريز: أنتظر برهة . . .  
ثم أخذت ورقة وكتبت عليها مانصه :

سيدي الفاضل

لقد وعدت السادة فريمورج وهوشار وشركاءهما رؤساء وكالة البحث  
والتنقيب السكائنة في شارع بروفنس بمبلغ مائة ألف فرنك إذا أتاني أحدهم  
بوثائق تؤيد وفاة إبنتي المسكينه ريموند وبما أن حامل هذه الرسالة (المسيو  
هوشار) قد أيدى صحة هذا الأمر: أنا الموقعة إنني أدناه الكونتيس دي  
بوسي أرجو منك أن تدفع بموجب هذا المستند لأمرهم مبلغ مائة ألف  
فرنك من الساقى لي بالحساب ما  
المخلصه

تيريز دي بوسي

عنونت تيريز الغلاف وأعطته لهرشار قائلة له: ما عليك الا تقديم هذا  
الغلاف فتقبض المبلغ  
لم هوشار أشياء ونطق آعير كلمة تمزيبة تنم عن عواطفه الرقيقة وأنصرف  
شاكراً

وقمت تيريز أمام نافذة غرفتها الخصوصية وسرحت بصرها في حديقة  
القصر وما يجاورها من المزارع المخضرة والمواشى ترعاها  
نظرت إلى كل هذه الأشياء نظرة الحزن والأسى . . .  
ماذا تفيد السعادة اذا كان فؤاد المرء مجروحاً؟

طعن فؤاد الكونتيس طعنة بسيطة في بادىء الأمر ثم أزع الجرح على  
كر الأعوام وتهمجت الأعصاب حوله وكان الطعنة قد أصبحت نجلاء  
بعد الحادثة التي مر ذكرها على الفأىء

مضت ساعة من الزمان والكونتيس يخيل لها أنها واقفة على صخور لندفن  
تشرى على البحر وترى ريموند تنخبط في المياه ثم تهوى إلى الأعماق . . .  
يالتمس المرأة التي تماكسها الأقدار عند ابتغائها أصعب الصعوبات  
فلاتلها . . .

جلست أمام مكتبها وأخذت ورقة وقلماً وكتبت الرسالة التالية :

سيدي

لقد أذنت لديك كثيراً وارتكبت هفوة كانت سبباً لشقائك فأطلب الصنم . . . تأكد أنه في الخطوة الأخيرة نحو العالم الآخر تتحطم كبريائي أضفى عندئذ وراء الراحة والسكينة التي لم أجدها في هذا العالم لقد تأرت لنفسك وكان انتقامك رهيباً . . . انتقمتم من المرأة التي أنارت هداك . انتقمتم من المرأة التي لم تنزل إلا لراحتك هوت فهوت . تضرعت فأبيت . أصررت فتركتها كالطير المقصوص الجناح لا تجب من يصاحبها في اختراق مفاوز هذه الحياة . . .

أبكي بكاء الثاكلة . . . أبكي بكاء مرأ . . .

جفت مقلتي من كثرة البكاء ولم يبق الآن إلا ذرف الدموع الطاهرة أرجو من الله أن يمحو عنك لما سببته لي من الشقاء وأن يلطف حرارة الميران المتأججة في فؤادك  
الوداع

تريز

أطبقت تريز الرسالة وعنوان الغلاف باسم جون ردون في مزرعة سوفاجير وأخذت ورقة أخرى وكتبت الرسالة التالية :

والذي العزيز

هذه رسالتي الأخيرة التي تسلم اليك فهي رسالة الوداع لن تراني بعد اليوم

إن طريق الحياة مسالك وعرة لا طاقة لي على احتيازها لراحة لي في هذا العالم بعد فقدهما ( تعني إبنيتها )

الراحة الأبدية هي التي ينشدونها الممدبون المضطهدون في هذه الحياة الوداع . الوداع . . .

إبنتك الشقية

« تريز »

ثم أخذت ورقة أخرى وكتبت الرسالة التالية :

عزيزتي جان

لقد فصلنا إلى الأبد

سببت لي سعادة في طفوليتك بوجودك بقربي أضحك بذراعي عطفاً ...  
هل تذكرين الليالي التي قضيتها ساهرة حول فراشك الصغير أبكي  
وأشفعك بنظراتي الوالدية التي تنعشك وتخفف من آلام سقمك  
إن عطف والدة هو أشد تأثيراً في نفس الأبنة من أي حب آخر . فهو  
يخلد في فؤادها ولا تنساه حتى بعد مضي الأجيال المقبلة ...  
مسكينة أنت يا جان ...

سوف تعلمين كم تشقى الوالدة حينما تفقد أحد أولادها فترثين إذ ذاك  
الحالي وتندبين حظي ...

لقد خدعت والدك ولعبت دوراً مؤثراً في تاريخ حياتي فكان انتقامه  
وحشياً !!!

بجب أن تعلمي أبي جاهدت وتألمت كثيراً لأنني كنت أعبد كما ورغبت  
لو أفقد ثروتي كلها لايجاد كما ولو بعيدتين غني ومتمتعين بتمام الصحة ...  
وتفكران بي ولو بعض أوقات الفراغ ...

خاب أملي لدي عودتكما الأولى إلى فرنسا ... إحدى إبنتي مفقودة  
والأخرى تخالي مائتة ... فبحثت عن ريموند ...

اعتقدت أنه سيخفي عنك أثر الماضي المؤلم ... فأتمكن بذلك من  
مواعدتك سرراً وأحظي برؤيتك فتعود إلى الروح الخالدة الهادئة التي أبحث  
عنها فلا أجدها ...

أصر وأراد فانتقم ووضع حائلاً بيني وبينك وهو الاحتقار ... هذه  
هي إرادة الرجل ...

جاءني أحد المكافين بالتفتيش عن سوزان وأعرب لي عن الحقيقة وهي  
أن الفتاة قد أغرقت نفسها في الماء تخلصاً من متاعب الحياة المملوءة بالتعاسة  
وقد وجدت ملابسها على شاطئ البحر وقبعتها طائفة على وجه الماء

لقد قضي الأمر . لم يبق لي أحد . . .

لا أطيق الحياة لأني ضعيفة ولا أقوى على أحكامها القاسية . . .

بكيت ولا أزال أبكي حتى تجف دموعي وتتحول إلى دماء . . .

حاولت إلى وراء الراحة فلم أتمكن . . . هل ياترى أجدها في العالم الآخر؟ . . .  
وبلاه بمن أستمعين في تمزيقي؟ أبوالدي؟ مسكين! لقد نحل جسمه لعظم

مصائبه وقد تدانى إلى اللحد . . .

أبي لم يمد يعرفني لأن الضعف الشديد أثر على عواطفه وعقله . . .

عطفاً بي يا إلهي! لم يمد لي مطمع في هذه الحياة سوى رحمتك . . .

إلهي! لماذا تعاكسني الأقدار؟

سأموت يا بنتي بملء ارادتي وفي ربيع حياتي فائقة الغنى بحبني جميع الفقراء

الذين سيدفنون الدموع الحارة على قبري أسفاً وتحسراً

إني ذاهبة أبحث عن الراحة الحقيقية التي لا يكدر صفاءها مخلوق . . .

إلى اللحد . . . بين جميع من استراح فيه قبلي . . .

إذا زرت المقابر يوماً فألقي بصرك على هامات بنيانها تجدي رسوماً . . .

كم من شابة قصفت يد المنون غصن شبابها وهذا من غدر الزمان الخثرون . . .

تعتبروني ضحية من الضحايا لكنكم في ضلال . . .

الآن خذي مني نصيحة: إذا طلبت للزواج ففكري طويلاً قبل القبول

وإذا تزوجت يوماً فليكن وعدك صادقاً ولا تخضعي للتجربة

فكري في والدتك الشقية . . .

فكري أيضاً في شقيقتك ريموند التي قضت على حياتها . . . شقيقتك

التي كانت تحبك وتلمب معك في حدائق التويلري وكان افتراقكما بدءاً

لتعاستها . . .

الوداع يا عزيزتي

حينما تصلك رسالتي أقصدي الصخرة الدامية التي استحقت هذا الاسم

الرهيب هذه المرة . . . هناك على قمها تضعين قبلك على جبيني البارد . . .  
عندئذ تدركين ماهية التصحية التي بذلتها

الوداع  
والدتك  
ترين

أطبقت ترين الرسالة وعنوت الغلاف باسم جان في مزرعة سوفاجير  
في الثالثة ابتدأت جيوش النهار تضحل والتحففت السماء بالغيوم الكثيفة  
والضباب

لمحت ترين ببصرها قمة الصخرة المشهورة . . .  
هناك على قمة جبل الجلجثة . . . تقضي على نفسها . . .  
هناك ابتدأ دور تمثيل الرواية على مسرح الحياة . . . وهناك ينسدل  
الستار عن إنتهائه . هناك تاهدت جون على الحب الخالص . . .  
وهناك أقر بكل شيء . . . فالفضيحة والعار . . .

\* \*

حان الوقت . فارتدت " ترين " ملابسها وتزينت للموت جميلة  
دخلت إلى غرفة زوجها وجثت بقرب فراشه وشرعت تبكي بكاء مرأ . . .  
أخذت المسدسين اللذين كان يحتفظ بهما الكوننت جيداً لكونهما أثرين  
تقيسين

كان السائس في انتظارها فأمتطت الكوننتيس الجواد فقال : هل ترغب  
سيدتي رفياً للطريق ؟

-- كلا . فاني ذاهمة لمقابلة إحدى صديقتي  
سارت الكوننتيس بالجواد إلى سفح الصخرة وأجالت بصرها في ماحولها  
فأبصرت علي مسافة منها الأب انطوان وهو حطاب القرية فاقتربت منه  
وقالت : أنت هنا يا انطوان ؟

-- نعم يا سيدتي الكوننتيس  
-- إلى أين أنت ذاهب من هذه الجهة ؟

- إلى سوفلي  
 — كان غرضي الذهاب إليها لكنني غيرت عزمي فهل في إمكانك تأدية خدمة ؟  
 — بكل سرور  
 — سلم هذه الرسائل لأصحابها  
 ثم أعطته الرسائل ولو يسين فمال : هذا شيء كثير . . .  
 — لا بأس فان عمل الخير يسرني  
 — قبل عشر دقائق أكون في سوفاجير . . .  
 سارت تيريز بالجواد حتى قفة الصخرة وهي تبتغي ألا يفاجئها أحد عند مباشرة عملها . . .  
 عندئذ ربطت جوادها بشجرة قريبة . . .

## الفصل الثالث عشر

### وقوع الصاعقة

ركب البارون بانيل قاصداً سوفاجير ليشاهد جان وتفسه تحذنه بوقوع خطب جمل لما يعلمه عن صديقه من غريب أطواره  
 وصل إلى المزرعة فامتقبله جون بكل ترحاب . أما جان فانها بعد أن لثمت فراشها مرة بسبب تأثير المفاجأة في الصخرة تمكنت من الخروج من غرفتها لأول مرة باذن الطبيب ربول  
 خطر لجان لأول وهلة أن تستشير من هو أسد منها رأياً ومن تنق به وكانت تنظره بفارغ الصبر لأنها أدركت أن والدتها تألمت كثيراً من فظاظة والدها وكان لهذه المفاجأة أشد تأثير في نفسها  
 بعد ساعة من الزمان أخذت جان البارون وسارت معه إلى إحدى جوانب المدينة وإذ ذاك أهشت بالبكاء وقالت وهي تتألم : أواه يا صديقي  
 — ماذا حدث ؟

— أمورا هائلة

تمكن البارون بعد الجهد من تسكين روعها فقصت عليه ما حدث منذ  
قدومها إلى سوافجير

كان البارون يصغى ونفسه تحذنه بأمر سينتجج من وراء الفضيحة  
انتقام صديقه الرهيب

ماذا يحكم ولمن ينصف ؟

بين والد غضبان حاقد . ووالدة منبوذة يائسة ..

إذا كان لجون حقوق الوالدية فحقوق الوالدة أعظم وأقدس

فقال البارون : سأراه . سأحدثه . ولعل ...

فتعلقت جان بذراعه وقالت : قد تمتقد (تمني والدتها) أي أهملتها  
أو أحتقرتها ...

— اكتبي لها رسالة

— سأفعل

— بضعة أسطر تفيد بأنك إبنتها ولا تزالين تحبينها ...

— هل أبصرتها ؟

فأخبرها كيف إنه أبصرها من نافذة عرفتها وقال أخيراً : إنها تماثلك

المتجسم يا عزيزتي

— من يأخذ الرسالة ؟

— أنا آخذها بنفسى إذا شئت

— سأعطيك جوادى « جيم » فهو يسير بك إلى قصر والدتى كلمح البصر

— حسناً

— فتقول لها حينئذ : هي لا تتجاسر على الهجىء إنما تمددك بذلك بعد

أن تهدأ العاصفة

كانت جان بعد استشارة البارون مسرورة بأنها ستحيى آمالاً طالما أشتتها

والدتها ...

لم يكذب البارون يعدو بالجواد حتى كان الأب انطوان قد وصل وأعطى

جان الرسالة فأخذتها منه بلهفة ولم تكذب تأت على بعض الأسطر الأولى حتى صرخت صرخة دوت لها سوفاجير بأكملها وكان البارون قد تواري فلحقت به عند سفح الصخرة

عندئذ سمع صوت طلق ناري وعقبه طلق آخر . . .

فتمتم البارون بحزن : لقد قضي الأمر . . .

فشحب لون الفتاة وصعدت إلى أعلى الصخرة حيث شاهدت منظرًا مؤثراً شاهدت الكونتيس دي بوسي مستلقية وقد اصفر لونها وذبلت نضارتها وكانت لا تزال قابضة على المسدس . . . فثبت جان على ركبتيها وأجهشت بالبكاء وأي بكاء يفقد والده تعيسة

اقرب البارون من جثمان الكونتيس ووضع أذنه على صدرها فسمع نبضاً يبطن وكان الدم يتدفق بغزارة من جانبها الأيسر ويروي الحشائش الغابتة على قمة الصخرة المشهورة

كانت جان تفرك يدي والذتها الباردة لتولد بعض الحرارة وهي تنادياها بأعذب الألفاظ

تأثر البارون وكان التأثير ظاهراً على مجاه

أهكذا تنتهي حياة والده تعيسة حال بينها وبين بنتها رجل لا يحق أن يدعى رجل لأنه خليف أن يعيش بين الصواري . . .

هذه هي الارادة الفولاذية التي تقاوم أحكام الهيئة الاجتماعية

أبصر البارون المائتة يعود اليها رمق من الحياة فتفتح عينيها الغائرتين لتشهد إبتها التي أحبها حباً يعجز عن وصفه اليراع . . . تفتح عينيها لتسمد وأي سعادة في دقائق حياتها المعدودة

سمع البارون أيضاً تمتمة جان في أذنيها : أنا بقربك يا حبيبي . . . لا أزال أحبك . . . كيف تموتين وأنا لازلت محافظة على العهد البنوية ؟

في هذه الآونة سمع وقع عجلات عربية وحوذيها يحث جواديه على الجري وصوت امرأة تصرخ مرتعبة

هي ليوني خادمة الكونتيس ذلك لأن سكوت تيز أدهشها فهرعت إلى

غرفتها ووجدت الخزانة مفتوحة والأثواب ملقاة بغير انتظام بعضها على فراشها والبعض الآخر على أرض الغرفة وأوراقاً منتثرة في فضاء الغرفة وغلافاً على المكتب معنوياً باسم الكاتب بوشين واشتمت رائحة الشمع الأحمر المحروق فأدركت أن سيدتها كتبت وصيتها

لقد أوصتها بأن تلحق بها إلى سوفلي لأنها ستعود مع والدها فزاد الشغال بالها وأخذت معها بعض خدمة القصر وركبوا عربة ووقت العربة عند سفح الصخرة فسمع نداء استغاثة وطلب مساعدة فقفزت ليونى من العربة وصعدت بسرعة إلى حيث كانت الكونتيس تن على الأرض وكان رجل قد أتى قبليها يتبعها ورجلاه تصطكان وشعر رأسه منفوش والعرق البارد يتصبب على جبين ناصع وعيناه تقدحان شرراً

هو جون ردون الرجل الرهيب  
وصلت إليه الرسالة حيث أقرت له بعزمها الأخير فهروا كالسكير الذي  
صحا من نشوة غفلته

هروا كالقاتل الذي تخدر عصبه من شدة تبيكيت ضميره  
أسند جون ذراعه بشجرة قريبة متمثلاً أمام شبح المائة . أما ليونى  
فانها جثت على ركبتيها وقالت مستعطفة : سيدتي . لقد أتيت . . .

وكان رمق حياة على أبواب الأبدية أشبهه بالطيف الضئيل عاد إلى  
الكونتيس ففتحت عينيها وابتسمت ثم تنفست فكان تنفسها زفيراً متقطعاً  
هل لمحت ببصرها الخامد ذلك الشقي المسند ذراعه إلى الشجرة ؟  
أجل . . . فرفعت رأسها وأشارت لجون أن يقترب

فاقترب وهو يرتعد كالقصببة ثم جثا على ركبتيه وتناول يدها الباردة  
وأقربها من شفتيه وألقى عليها قبلة حارة وبألفها من قبلة . . .

هذه هي قبلة يهرذا حينما خان السيد المسيح . . . هذه هي قبلة من سعى  
إلى زوجته بيده

هذه وقعت الكونتيس في ثبات قربها إلى النزع  
ارون بملء فيه : ليذهب من يأتينا بالطبيب

فخل جون ردون جواده واعتلا صهوته فسار به يطوي الارض طياً  
 وتمكن البارون بمساعدة بعض خدمة الكونتيس من نقلها ولما اقتربوا من جهة  
 القصر قالت وهي تجاهد نفسها : ليس هنا . . . إلى منزل والدي  
 عند الخامسة كانت تريز نائمة على فراشها الذي كانت تنام فيه وهي عذراء  
 أما جان فانها كانت جائية تبكي والبارون واقف بقرب الفراش يتمم هذه  
 الكلمة : تشجمي  
 كان القبطان تونيليبه جالساً في إحدى زوايا الغرفة يفتل شاربيه ويهز  
 رأسه تحسراً  
 أما المائة فكانت تفتح عينيهما من آن الى آخر لتشاهد ابنتها الجائية ولسان  
 حالها يقول : إني سميدة بوجودك بقربي  
 وكانت ليوني واقفة خارجاً تنتظر قدوم الطبيب بفاغ الصبر وهي تقول :  
 هل يأتي ؟

## الفصل الرابع عشر

### مخدر الغرام

أتى الطبيب ربول ولما امتحن الجرح المصاب قال بعزم : قد تسلم الروح  
 الآن أو بعد حين  
 الطبيب ربول ماهر في حرفته وأمثاله نادرون في هذه البلاد . فاختلا  
 بالقبطان والبارون وقال لهما : ليس علي الآن سوى تلطيف آلامها الممدودة  
 المدى  
 تمكن الطبيب بعد الجهد من ازالة بعض الخطر فأخذت الجريحة تتنفس  
 بارتياح وطادت إليها بعض الذاكرة وأخذ الألم يخف تدريجياً  
 كان جون ردون متكئاً على جدار زاوية الغرفة لا يتجاسر على مشاهدته  
 فريسته . . .

لم تبد بشائر الفجر حتى كانت تریز تتبين خيال الرجل الذي أذاقها مر العذاب  
فهتت في اذن جان هذه الكلمات : دعيه يأتي فاني أرغب في محادثته  
فسمع جون هذا الكلام الخافت وهو يرتجف فرفعت تریز  
بصرها وقالت وهي تنتهد : اتركونا وحدنا

وقم بصر الزوجين على بعضهما فجمد الدم في عروق جون فأمتثل خاضعا  
لذلك التمثال الجميل المنحوت بأيدي الطبيعة الجائرة . تریز التي طالما اشتهاها في  
غربته وأرادها لولا أرادته التي أماتت عواطفه . . .

جثا جون على ركبتيه وتناول يدها وأوسعها القبلات الحارة وقال وهو  
يصعد الزفرات : أطلب عفوك يا حبيبتي

— لقد عفوت عنك . . . ألم يصدق ظني بأنك لاتزال تهواني ؟

— أجل . إني أهواك بكل جوارحي . لم تكن حياتي إلا أمادات عذاب

مستمر وعراك بين عواطفي وإرادتي . . .

« كفي دليلا على مبلغ حبي لك أنه لم يسغ لي شراب ولا لدلي طعام في بلاد  
غربتي . . . وأنا أفكر بك وأتمسك على فراقك وأتمنك في يقظتي وأحلم بك  
في نومي . . .

« أجل أهواك ولا يمكنني أن أعيش بدونك . فاذا خطفتك يد المنية فلا  
يبقى لي غير التكفير عن مساوتي البربرية بعقاب أقرب إلى العذاب الذي ذفته  
خلال السنين الطوال . . .

« باريس أذاقتك من تفاحة حواء

« باريس مدينة العبودية والاسترقاق

« باريس مدينة الخلاعة والفساد

« يالتماسة حظي . . . لقد عذبت من كنت أعبدها وسيكون عذابي أمر

بنقدها . . .

فحمر جون عندئذ بضغظ ضئيف على يده وسمع صوت تریز الخافت  
يقول : لقد فقدت سعادتنا بسبب هفوتي . . . إن خطأي لا ينسى ولا يتسنى

لأحد إصلاحه ولا يمجوه غير الموت . . . وأطبقت تيرز جفونها فصاح  
عندئذ جون بالطبيب قائلاً : لقد فارقت الحياة . . .

فأجابه بهدوء : لم تزل في قيدها . . . نامت لتستريح . . .  
والحقيقة أن النوم قريب الراحة والراحة قريبة النزاع والنزاع الضئيل  
يؤدي إلى الموت بدون ألم  
مرت الساعات كالحيال . . .

عند الظهر ووقت عربة أمام المنزل وترجل منها خمسة أشخاص أدرك  
جون أحدهم وهو ابن عمه روبرول  
من هو ذلك الكهل الذي معه ؟ ومن تلك الشابة الشقراء الجميلة ؟ ومن  
هو ذلك الشاب بلباسه المسكري ؟

عند دخولهم إلى قاعة الاستقبال قدّم المركز الطبيب ربول إلى الجراح  
الشهير ريشارد الذي قال : ماذا يترأى لك أيها الرصيف ؟  
— أخشى أن تكون الطلقة صائبة والقضاء هو الأخير . لكنني سعيد  
بقدموك . . .

دخل المركز وسوزان إلى غرفة الكونكتيس ففتحت هذه عينها وأجالت  
ببصرها في ماحولها فأبصرت المركز واقفاً لا يحرك ساكناً فقالت بصوت  
خافت : ما وراءك يا عزيزي ؟

— وردتني رسالة برقية . . . أسرعت لأرى ماذا فعلت . . .

— لقد بيّست فانتحرت . . .

— لأنك أعتقدت بوفاة ريموند . أليس كذلك ؟

— وواحسرتاه !

— لقد خدعوك

— هل لا تزال على قيد الحياة ؟

— نعم

— هل وجدتتها ؟

— مساء أمس

— أين كانت ؟

— في باريس

— والآن ؟

— هي بقربك

— ريموند فلذة . . . . .

— والذي . . .

فاقتربت ريموند من والدتها فطوقتها بذراعيها وكانت جان بقربها فقالت لها : أحبا بعضكما كما أحببتكما أنا . . . . .

عند هذه الكلمة أسلمت الكونتيس الروح دون أن تتألم

كان الجميع حولها إلا جون فإنه كان حائماً حول المنزل وهو في حالة يرثى

لها من الاضطراب

أدرك جون وفاة تريز عند ماسمع شهيق الشابتين وكان مسنداً أحد

ذراعيه إلى عمود فسحة المنزل فأتاه الدكتور ربول فبادره بالسؤال : لقد

انتهى الأمر أليس كذلك ؟

— نعم . لكنها أسلمت الروح بدون تألم . . . تعالى معي

— لا أريد

في هذه اللحظة خرج المركيز ورفقته البارون والملازم بيير فاعترضه جون

قائلاً : الحمد لله الذي متعني بمقابلتك لقد كنت أبحث عنك من زمان

— لم أختبئ عن أعين الناس قط

— إن بيني وبينك حساب لا ناقشك به

— إني رهين إشارتك

— إني حاقد عليك . . . لقد كنت سبباً في عذابها ( يعني زوجته )

— وما تفيدني كل هذه المعلومات . . . ألم أقل لك . . . . . ؟

فقاطعه جون قائلاً : متى ؟

— في الزمن الذي يحلو لك

— والأسلحة ؟

- ما تختاره
  - والمكان؟
  - ما تراه موافقاً
  - في المكان الذي انتحرت فيه خليلتك . . .
  - فليكن
  - وشهودك؟
  - هذان الرجلان
  - حسناً جداً
  - بعد ساعة أكون هناك
- عند عتمة المنزل أشار جون إلى الصخرة وكان القبطان قد خرج ليرى ما كان من أمر هذه المناقشة فأمره بالسكوت فابتعد دون أن يذبس بابت شفة حدثت الدعوة إلى المباراة في أقل من بضع ثوان . . .
- وكانت جان وريموند تسهران على جثة والديهما
- بعد بضع دقائق دخل جون إلى الغرفة فوقف أمام تمثال المائنة وزفر زفرة كانت تخرج روحه . فتناول يدها وقبلها بحرارة ثم أخذ الابلتين بين ذراعيه وقال لهما : أحبا بعضكما . . .
- أنصرف وهو كالضائع لا يدري كيف يسير وكيف يكون اتجاهه

## الفصل الخامس عشر

### البقعة الحمراء

- كانت الثانية بعد الظهر وقد أعد الشهود المعدات للمبارزة من غير أن يفكروا في مصالحة الفريقين؟
- سار المركز متجها نحو الصخرة التي لا يعرفها ولا يريد أن يعرفها لهول اسمها وفي الطريق قابل الملازم بيير فسأله بقوله : ماذا تم؟

— لقد اتفقنا . طلقين على بعد عشرين خطوة . . . بعد نصف ساعة على الاكثر

— أين خادمك ؟

— لقد فارقتنا منذ برهة وسيلاقينا عند الصخرة بعد بضع دقائق . . . سارا والمركز مشنت البال فقال : إن إنذهالي أشد وأعظم من تأثيري أيها الصديق من حقد يدوم عشرين عاماً في نفس رجل فلاح مثل هذا . . . بعد بضع دقائق كان الغريمان عند رأس الصخرة وكل يستعد للمبارزة الهائلة . . .

كان البارون يقيس المسافة التي يجب أن تكون بين المبارزين وبالاتفاق كان نصيب جون الجهة التي سقطت فيها الكونتياتس مضرحة بدمائها ألتمى جون بصره على مزرعة سوفاجير بصره الظافر لأنه عاد فامتلكها بعد سنين طوال قضاها بالمثابرة والاجتهاد في بلاد الغربية . . .

لقد حانت الساعة . . . ساعة الانتقام . . . ساعة الاقتحام . . . فأخذ جون المسدس وخصه جيداً ثم رفع بصره إلى غريمه ورمقه بنظرة منكرة خفق لها فؤاد البارون . . . لأنه تذكر يوم أطلق مسدسه على أفمى على بعد عشرين خطوة فقتلها للحال . . . سدد جون مسدسه دون أن يطلقه . . .

في هذه اللحظة ألمحني وكأن أمراً غريباً جفله جفله يرتعد من رأسه إلى أخمص قدميه ذلك لأنه أبصر على العشب الأخضر بقعة من الدم لم تجب بعد هذا دم الكونتياتس . . .

هذا دم تريز الفتانة . . .

طال إنحاء جون وهو يتأمل الدم . . .

رفع بصره وقد أظلمت الدنيا في عينيه فسرد مسدسه وقال منتهراً : لم لا تطلق ؟

ولما لم يجب المركز سدّد جون مسدسه إلى رأسه وأطلقه وللحال وقع على الارض يتخبط بدمائه . . .

فامتزجت دماء الزوجين وتسربت إلى الأشجار القريبة لثروبيها . . .  
كان زهول الشهود أمام هذه الحادثة الجديدة يفوق حد التصور . . .

\* \* \*

عند الصباح دقت أجراس كنيسة سوفي دقات الحزن . كما دقت منذ نيف  
وعشرين عاماً دقات الفرح احتفالاً باقترانها . . .

هرع سكان سوفي إلى الكنيسة ذات المشاعل الموشحة بالسواد  
الكنيسة لا تقبل أجسام المنتحرين غير أن كاهن القرية أظهر عطفاً وصلّى  
على روحهما وفعل ما تقتضيه السنة الكنسية وطلب من جمهور الحاضرين أن  
يصلوا ويتضرعوا من أجلهما ففعلوا

شيعت الجنتان حتى سفح الصخرة . عندئذ احتمل ثمانية من القرويين  
الاشداء التابوتين وصعدوا بهما حتى قمتها حيث أودعاهما على الارض  
على قمة تلك الصخرة تماهدا على الحب الخالص ونقشا اسميهما على أشجارها  
القريبة تذكراً لمهد وثيق . . .

فرقت التجربات العالمية بينهما فأتحددا على الموت على قمة هذه الصخرة عينها  
وجرت دماؤها في الأرض تلعبن باريس الجائرة التي دست سموها في شرايينهما . . .  
ما يفرق في الحياة يلازم في الموت . . .

بعد أن ووريا التراب وقطنا لحديهما وحلقت روحاهما في الفضاء السماوي  
الواسع عادت الشابتان وهما يرددان هذه العبارة اللذيذة : أحبا بعضكما بعضاً  
كان المسيو بوشين في انتظارهما يصحب البارون والملازم بيير . . .

ولما استوى المقام بدأ الكاتب الحديث فقال مخاطباً الوارثتين : يجب أن  
أطلعكما على وصية الكونتيس دي بوسي وهذه الوصية قد أودعت عندي في  
نفس اليوم الذي انتحرت فيه والدتكما . . .

« قد قسمت ثروتي وأملاكي التي ورثتها عن زوجي الراحل إلى شطرين :  
أحدهما يعود إلى الفقراء المقيمين في باريس والضواحي المجاورة لبوسي . هذا  
الشطري يربو على العشرة ملايين

«والشطر الآخر وهو يربو على الاثني عشر مليوناً يقسم بين ابنتي جان وريموند . فالقصر وأراضي بوسي وفندق باريس ومحتوياتهم وأربعة منازل في ضاحية سان أونوري ومبلغ مليونين ونصف مليون كل هذا يختص بحقوق الوراثة وغيرها لريموند . وإذا مضى عشرة أعوام دون أن يظهر أثر لريموند تعود تلك الممتلكات وغيرها لجان أما باقي الشطر من أموال ونفائس وحلى وغيرها فتختص بجان

ختم الكتاب حديثه قائلاً : وسيكون الميراث الذي بورد منفذاً شرعياً للوصية  
أبصرت جان البارون واقفاً إزاء شجرة فلتحقت به وسألته قائلة : ما بالك واقفاً؟

— إنني بانتظارك

— آه لو تعلم يا عزيزي كم إنني تمسة

فسارا سوية يتجاذبان أطراف الأحاديث فقال البارون : هل تنبأت عن حدوث هذا الخطب قبل وقوعه

- كلا . والآن لقد أصبحت وحيدة في هذا العالم . . . .

.. كلا فاني لأزال بجزواك أراك بنظراتي الأبوية

وهل تعتقد إنني أعيش بغير صديق لي مثلك ؟ ... إن الموت أفضل ...

فأخذ البارون يهدى روعها فقال : إن كلامك هذا يؤلمني ! . كيف

تموتين وأنت حديثة السن ؟ . . من يحوز صحة وجمالاً وغنى مثلك ويفارق

هذه الحياة عن طيبة خاطر ؟ . . أعلمي أيضاً أنني لن أدرم لك الحارس الأمين

فيجب والحالة هذه أن تشجعي لأن لك شقيقة أحدث منك فترشدينها

وتساعدنهما لحوض هذا المجتمع الحيوي . . .

— سيأتي يوم نغادر شقيقتي منزلنا ولست بتابعة لها أينما ذهبت . . .

— إذا رغبت أخذناك معنا إلى نورمانديا حيث تعتنني بك مدام بريفييل

وتكون لك كأم ثانية

— وجدى أتركه ؟

فلم يجب البارون . فقالت جان : لماذا أراك مضطرباً هكذا . . . أليس لأنه تعز عليك مفارقة صديقتك جان ؟

« أليس لأنك غير متزوج وستعود إلى بلادك منفرداً ؟

« أظنني على الحقيقة . فقد عشنا معاً مدة طويلة وأنت تكتم حبك لي

فهل هذا يمد أنفة منك أم كبرياء ؟ »

— لا هذا ولا ذاك

— إذا سأجد دواء يحول دون افتراق أحدهنا الآخر

— وما هو ؟

— أن تقترن بي

— دعي عنك المزاح . . .

— أنا أجد في كلاهما . . . العادة أن يفتح الرجل المرأة ولكنني انتظرت

طويلاً دون أن أرى منك اهتماماً نحوي . فهل ترغب من جان امرأة مطيعة

تشاطرك حياتك ؟ أنا لا أتركك مطلقاً . فإذا رفضت امتنعت أنا عن الزواج

بتاتا . . .

— أجل إنني أهواك يا عزيزتي ولكن هل كنت تجيبين اقتراحي لو كنت

اقترحتي ؟

— بدون شك لم لم تبج لي به من قبل ؟

— خشيت أن ترديني خائباً . . .

\* \* \*

على بعض خطوات قريبة منهما كانت ريموند والملازم بيير يتحدثان

فقالت ريموند : على ماذا صممت يا عزيزي ؟

— الحقيقة أنني لأعلم

— هل تعود إلى باريس ؟

— بدون شك

— إنني تعبة . . . بماذا تفكر يا عزيزي ؟

— بوجوب مفارقتك بأقرب وقت

— لماذا؟

— لانك غنية وأنا فقير معدم

— أنت تؤلمني بهذا الكلام وتزيدني حزناً على حزني

عندئذ أخرج الملازم رسالة ريموند وقال : أنت طليقة من هذا الوعد

فأجهشت ريموند في البكاء وقالت : لقد نشأ الحب بيننا وأنا فقيرة فهل

فصل الثراء بيننا؟ اذا كنت حقيقة لانهوانى فرد لي رسالتي وبلا فضع يدك

أي بدني لنشاهد على الحب الخالص . . . أما اذا رفضت فقد أضفت مصاباً آخر

لى مصابي

فجأ الملازم على ركبتيه وأخذ يديها وأدناها من شفتيه وقال : حقيقة

أني أهواك يا حبيبتي لكنني كتمت عنك شغفي بك لارى هل أخذت هذه

الملايين نيران حبك لى . . .

## الفصل السادس عشر

بعد الخاتمة

دنت الساعة الحادية عشر في الصباح وقد خرج هوشار بعربته قاصداً

مكتب بوشين وهو يؤمل أن يقبض المائة ألف فرنك التي منحتها اياها

الكونتيس في ذلك اليوم المشؤوم

قرع باب البناية وكان فريبورج يصفق طرباً لاعتقاده بأن هوشار قد أتى

بالغنيمة فقال : أدخل يا هوشار الحبيب

وكان الطارق بوسكاري فنظر فريبورج اليه شذراً وقال : من دعاك

إلى هنا؟

— لا أحد وانما أريد أن أطلعك على شيء

— سار

— قد يكون ساراً

كان بوسكاري قد قبض الالف فرنك التي وعده بها اللوك دي بوسي

فتزيا بما يليق بمقامه. فقال فريبورج وهو يمين النظر فيه : يلوح لي يا شقي أنك  
أثريت؟ . . .

— قليلاً

— على ماذا عازمت؟

— على ترك وكالتكم الغراء

— بعد أن اغتنمت ثروة من وراءها؟

— نعم

— أطلعني عما تخفيه في بواطنك

— اعلم أنني اكتسبت بحمد الله نذرة من المال سأعيش من أيرادها

— متى جاءتك هذه الغنيمة؟

— يوم الاحد الاخير

— عن أى مهمة؟

— عن مهمة سوزان

— هل وجدتها؟

— نعم

— كيف وجدتها؟

— كانت في بريطانيا أولاً ثم قدمت الى باريس منذ بضعة أشهر . . .

— هل تعرف أهلها؟

— أجل وهم : الدوك دي لوسي والمركيز دي بورد والكونتيس

دي بوسي

— ألا تعلم يا شقي أن مافعلته بعد خيانه؟ . . . ان ماربحته هو من اراد

الوكالة فكيف تتعدى على حقوقها وأنتك حامل عندنا . . .

— أعلم والله أعلم أنك سعييت لمعرفة مكان الفتاة وطمعت بربح لنفسك

دون أن تفكر في الذين بذلوا جهودهم لمنفعتكم . . .

فأراد فريبورج أن يقفز على بوسكاري وقد اشتد به الحنق فأوقفه هذا

وقال له : عفوك يا سيدي المحترم أو أحطهم رأسك بهذا المصا . . . لقد أتيت

لمصاخنتك وإلقاء التحية عليك وليس لتريني هذا الجفاء ؟  
فهدأ روع فريبورج وقال : أنا لا أريد منك شيئاً . . . وإنما أريد أن أعلم

هل قبض المبلغ . . .

— ممن تتكلم ؟

— عن هوشار

— وأي مبلغ تعني ؟

— أجرة النبأ الذي أطلعه على الكونتيس

— وما هو ذلك النبأ ؟

— أن الفتاة ريموند ماتت . . .

— ألا تدرك أن مثل هذا الأمر يعد جريمة ؟

في تلك اللحظة دخل هوشار فانتصب فريبورج واقفاً وقال ووجهه طافح

من السرور : خير انشاء الله ؟ ؟ ؟

— لاخير ولا شرفان الكاتب أبي الدفع بحجة أنها دعوى كاذبة . . .

— أتعلم أيها الرفيق من كان سبباً في افول نجمنا ؟ . . .

— كلا . . .

— هذا بوسكاري الخائن . . .

وكان بوسكاري يتأهب للانصراف وهو يقول : كونا أبيض الأيدي

نحو مستخدميكما كي ترفرف السعادة عليكما وتنال ما كنتما نلجمان به . . .

وبعد ان انصرف بوسكاري قال فريبورج : الحق معه

عندئذ جمع هوشار الأوراق التي تتعلق بهذه المسألة المشؤومة ووضعها

في الموقد ثم تنفس الصعداء وقال وهو يحاذر : بشرط ألا تتداخل العدالة بيننا

\* \* \*

عند العاشرة من هذا المساء وقف نفر من الناس حول باب فيلا أنجيين

ينظرون إلى رجل ملقى على فراش وهو يئن أنيناً مؤلماً

عند نصف الليل عادت فاني إلى منزلها فوجدت خليلها الأيركي بانتظارها

فقال وهو يلازم الهدوء : عند عودتي أبصرت هذا الرجل في غرفتك فأردت

أن ألقيه من النافذة فاسترحمني البستاني وقال لي بأن لاقدرة له على المشي فوضعنا عند عتبة المنزل . فمن هو وما شأنه هنا ؟

فلم تجب بل أخذت فرائصها ترتعد بشدة فظهرت على وجهه الامريكى علامات الغضب وقال : لا تعيدي الكرة لأن أمثال هؤلاء الشبان خطرون . . .

فندمت فاني على مصاحبتهما مارسيال وحلقت ألا تجتاز عتبة حانة شارع بروفنس مرة أخرى

أما مارسيال فانه حزن جداً لنكد طالعه وندم لعدم قبوله نصيحة بوسكاري ولات ساعة مندم

وأضطرت وكالة فريبورج وهوشار أن تنتقل من البناية الشاخمة إلى حانوت حقير في الطبقة الأرضية وصارت أشبه بمكتب للاستخدام

وتمكن بوسكاري أن ينتفع بالمباغ لترقية حرفته التي قد تكال بالنجاح بالاستمرار والمثابرة

أما ربول فبقي في خدمة المركز وأدخل خادمة الكونتيس في الخدمة بعد أن اقترن بها

هما الآن غنيان ولم يبقيا في خدمة المركز الا لتعلقهما به

أما كارولين فانها تركت محل الازياء لالكسندرين وأنسحبت إلى منزلها في الخلاء لتمضي بقية أيامها في مجبوحة الرفاهية

وتزوج فريمون بقروية فلاحه رزقت منه طفلا صبور الوجه

وانخرط جيرك في سلك الجندية ليدافع عن الوطن العزيز

وأنفذ المركز وصية الكونتيس حسب إرادتها المقدسة

وتزوجت الشقيقتان بعد مرور بضعة أشهر على هذه الحادثة المحزنة

وأحتفل بعقد قرانهما في كنيسة سوفلي وكانتا إذ ذاك متشحتان بالسواد

لدي دخول ريموند إلى الكنيسة سمعت قروية تقول لرفيقتها : من أجل

هذه انتحرت الكونتيس . . .

فلم تتالك ريموند عندئذ عن إخفاء عواطفها وأذرفت الدموع الحارة  
وسمع البارون قروية تشير إلى ريموند وهي تتمجب وتقول: إنها هلى  
شاكلة الكونتيس تماماً  
وهلى أثر خروجها من الكنيسة تعانقتا عناقاً طويلاً  
ثم افترقتا وكل منهما تتمنى لشقيقتها الهناء والرفاهية . . .











